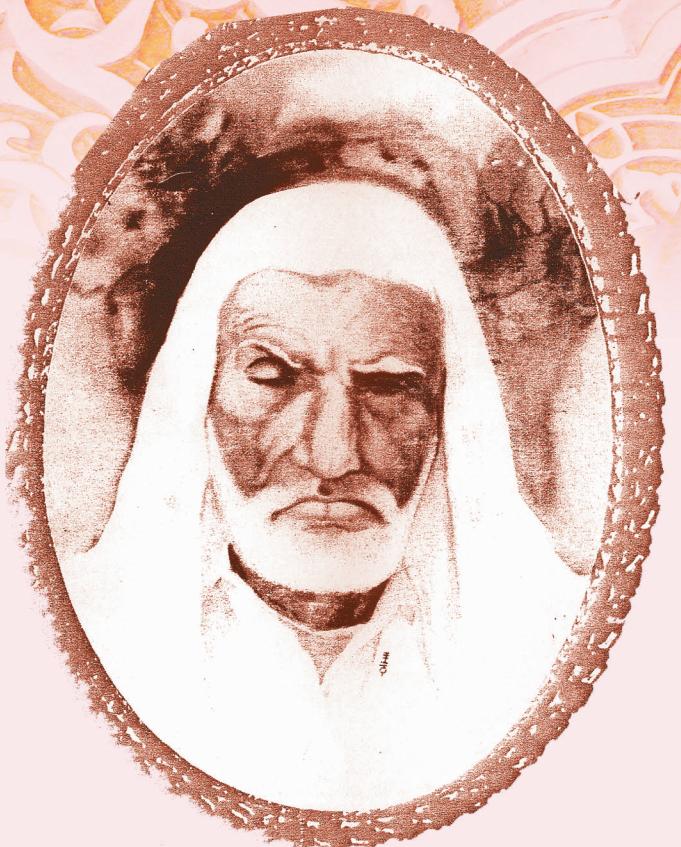


ديوان صقر الشيب

جمعه وقدم له

أحمد البشر الرومي



الطبعة الثانية

أعدها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم



ديوان صقر الشيب

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الطبعة الثانية

الناشر

مؤسسة جازة عبد العزیز سعید الابطین للبراعم العربي

الكويت 2008

ديوان صقر الشيب

جمعيه وقدم له

أحمد البشـر الرومي

الطبعة الثانية

أعدها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

٢٠٠٨

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر \$ الأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الغلاف

محمد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشيب، صقر.

صقر الشيب: الديوان/ أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط 2. - الكويت: مؤسسة جائزة

عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2008

736 ص؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف.

ب. العنوان.

ردمك: 1 - 54 - 72 - 99906 - ISBN : 978 - 99906

Depository Number: 2008 / 250 رقم الإيداع :

حقوق الطبع محفوظة



هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

كان صقر الشيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليدي من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخرين فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتماماً خاصاً لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكرييا الأنصارى، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطال الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشيب من مظانه ومصادره ليكون بكليته بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملازم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزاً لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثميناً للفترة التي عاشها الشيب مبدعاً بين ظهرينا، ولنا أن نقدر فترة عطائه الأشمل، فشاورنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدثت فيها الحرب الكونية الثانية واحتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمة الله متوقعاً على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويعود ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٢ يوليول في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعه ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الشعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطويًا على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهم كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبسًا آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرققت أحاسيسه وتتوعد، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويئس وأمل وسعادة وشقي وآمن، وكراه البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجلاته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وحرق هدوئهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجافي والغلاء، وتأدى لمشاهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عزيزي القارئ

وإذ نثمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي \$ جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعنابة الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشملان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الدين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثرم في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعاً وبيئة وحياة وتطوراً.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 18 رجب 1429هـ

الموافق 21 يوليو 2008م

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبليغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع علىّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتياطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرأة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتابع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بচقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨ حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصاً على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محباً لচقر الشبيب مداوماً على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوبًا في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيراً في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨ م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفاً مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلٌّ من جانبه فيما يتعلّق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيرًا عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ / ٥٦٢) مدنى): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لجهود الجامع لقصائد الديوان وناشره، فإنهما قد أسدلا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشرا شعره على الناس وأطلاعاه على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقّة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جلّ جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناثر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن تَبَتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تأْتَى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعرًا فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويرکض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدّران الشاعر، وبعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسباً مادياً أم لم يفیدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

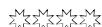
أما عن وفاة صقر الشيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣، فكتب أحمد البشير ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفي، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظاً أحاول أن أتسلى بأي شيء غير أنني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكرى وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضراً ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك آن آخر لقاء التقىته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقرير، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداهما قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ٥٣/٧/١٠ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع مقابلة

أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدرى متى أسلوه وتتصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تنسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصداقة من حقوق حتى أبسطها وأدقها، ويتفاني في ذلك تقانياً يقلق راحته ويُكدر صفوه.

إذا بدرت منه الكلمة واعتقد أنها ربما فيها إشارة إلى ما يسيء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلacak فيشرح لك شرحاً طويلاً وافياً ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم ثلاثة ثم رابعة حتى تزهد نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكّر في وفاة صقر».



حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقديمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء، ولم يترك شيئاً يتعلّق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلمي ما سبق أن كتبه الرومي ولكنني استحسنست الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلّي أن يقدمها، كما أنتي أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمنّي بها بعض الإخوان.

آمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيناها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،

د. يعقوب يوسف الغنيم



المدخل

الفرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبة:

سألته ذات يوم - وكنا نتناول شتى الأحاديث - عن نسبة، وذلك عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦ م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتمي إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الرياح ينبع الكلا في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد. وكانت حائل قبل خمسين عاماً تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخد الكويت موطننا له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٦ م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقاربه وجيرانه.

الولد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأختيه، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتاب الذي كان يُحفظُه القرآن الكريم، ولم يكن «الملاء» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئاً غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيراً ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغافون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قراءة الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرته إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفادياً لوم والده وتأنسيه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدرис علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتلقاوه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقفة لهذه الغاية، لكونهم أئمة في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين ذهاباً وإياباً في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما أخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معًا، وسافر الإثنان على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شراعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهر الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبد العزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحابه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبد العزيز العلجي فقيه، وله إمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفز راجعاً زاهداً في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

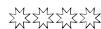
وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياها وزراعتها وطقوسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأنني في بيئه غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم مختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم مختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذاً لا يصح لي - حسب العادة هناك - أن أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعليًّا أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيرًا ما يقرّ الشیخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضًا عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضًا على الشیخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشیخ ونقمته.

ثم قال: وما يزهد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عمما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكره، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهدًا من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعقدوا اجتماعاً تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها - وهم فرجون بذلك - إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاة أحد الفقهاء، ومن أودع الله في قلوبهم شيئاً من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نسائه لخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها إذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الاحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلَت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نقموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها وال Herb العالمية الأولى على أشدّها، وقلت أبياتاً لا ذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يوماً فإبني
لألام خلق الله طرراً وأفجراً



وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريباً، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظاً في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظمهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذه على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوه لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إلمامه لزيارة اختيه والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكمل على إتمام حفظ متن الألفية دراستها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت من لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهماً جيداً، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يولي العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويزوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعوه في بعض الأحيان للغداء معه، وأنذر أنه دعاه يوماً على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمساً ولم آت نحوكم
فلا تنتظرنـي للغداء فيفسـدا
وكلـه هـنـيـاً غـير مـعـقـبـ تـخـمـةـ
مـريـاً وـقـمـ بـيـنـ الـأـخـلـاءـ مـنـ شـدـاـ
تعـودـ خـلـفـ الـوـعـدـ صـقـرـ وـإـنـماـ
(الـكـلـ اـمـرـيـ منـ دـهـرـهـ مـاـ تـعـوـدـاـ)

وامتدت الصّلات الوثيقة بين الاثنين حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٢٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأختيه البيت، ذلك البيت الخرب المتداعي، والذي لا يحجب من بداخله عن الشارع - إن صح أن تسمى تلك الخربة بيتاً - ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يوم واحد.

كان والده يزاول مهنة الغوص في أيام شبابه وقوته، ثم تقدمت به السن فامتنع صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقتضي عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بثمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده - إلى جانب شيخوخته - مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحًا للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنطاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٌ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنطاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزهر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا - وذلك قبل سفره إلى الأحساء - وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايق للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، وكانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بناته أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسرَ ما تحمله من بيض، فذلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

وَمُحْزُونَةٌ فِي الدَّرْبِ تَبْكِي وَتَلْطِمُ
وَتُعْوِلُ عَنْ عِظَمِ الْمَصَابِ وَتُرْزِمُ

وَمِنْهَا:

فَأَخْرَجَتْ مِنْ جَيْبِي دِرَاهِمْ خَمْسَةً
وَلَمْ يَكُنْ عَنِّي غَيْرُ هَاتِيكَ دِرَاهِمْ
فَنَاوَلْتُهَا مَا يَسِّرَ اللَّهُ قَائِلًا
خَذِي وَاعْذُرِي إِنِّي لَمْ تُكِنْ مُعْدَمَ
دَعْتُ لِي إِذْ نَاوَلْتُهَا ثُمَّ أَنْشَأْتُ
تَسْبُ الذِّي أَلْقَى الْمَيَاهُ وَتَشَتَّمَ
فَقُلْتُ أَظْنَنُ الشَّيْخَ لَوْ كَانَ عَالَمًا
بِمَا مَنَهُ نَشْقَى فِي الطَّرِيقِ وَنَسَمَ
لَشَدَّدَ فِي نَهْيِ الرَّعَايَا عَنِ الْأَذَى
وَهَدَدَهُمْ حَتَّى يَكْفُوا وَيُحْجِمُوا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم
بتتنفيذ ذلك.

فرأى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة
التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:
فِيَا فَرَحْتِي إِنْ نَلَتْ عَنْدَكَ حَاجَتِي
وِيَا حَسْرَتِي إِنْ لَمْ أَنْلَهَا وِيَا خُسْرِي

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها،
فسخر له شاعرنا قضية بيته المداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتاً كثيرة، في كثير من
أحياء المدينة، فاختر لك منها بيئاً صالحًا أسلجه باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير
المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبني من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلاً بusher في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبا الشهم عبدالله لو أنهم مشوا
إليه بجد لابتاؤه وتمموا
بعشرة أيام ولكنهم مشوا
إليه كما يمشي إلى السجن مجرم

فاستدعاى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثة عاملأ، ووقف معهم أياماً حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمنٍ طويـل.

فكانت الحادثتان، - حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت - ألفة متينة بين الشيخ سالم، رحـمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتـب عليه إذا تـأخر عن حضور مجلسـه عدة أيام، وكان يـحثـه على الاستـزـادة من علم اللغة العربية، ولم يـنسـ الشاعـرـ ذلكـ، فقد ذـكرـهـ فيـ إحدـىـ قصـائـدـهـ، قالـ:

جئت للرفـدـ وحـدهـ فإذاـ بيـ
منذ أحـظـىـ بمـرفـدـ وبـهـادـ
منذ حـرـضـتـنيـ علىـ بـذـلـ جـدـيـ
فيـ تـلـقـيـ الفـصـحـىـ وبـذـلـ اـجـتـهـادـيـ
كانـ شـغـلـيـ جـمـيعـهـ فيـ نـهـارـيـ
بلـ وـلـيـلـيـ تـطـلـبـاـ لـخـادـ
ولـقـدـ ذـقـتـ طـعـمـهاـ الـحـلـوـ حـتـىـ
لـيـسـ إـلـاـ مـنـأـلـهـاـ مـنـ مرـادـيـ
ولـكـ الـفـضـلـ لـيـسـ لـيـ أـنـ تـأـتـىـ
لـيـ مـاـ رـمـتـ مـنـ لـغـىـ الـأـجـدادـ

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبرهُ في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويُسرّ عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٩٢١هـ، كان جزع الشاعر عليه جزعاً شديداً، وكان يتذكرة في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجل الشاعر ويقدرها، فكان يستزيره ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، ينافشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعيّنت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، وكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعراً أو نثراً.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكثرة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحياناً إلى قصر الشعب للجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطاعها:

لَئِنْ لَمْ أَرْزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحْلٌ مِنْ
عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِدُ عَنِ الشَّكْرِ

ومنها:

فَلَا يُسْلِمُ لِصَقْرٍ أَنْ يُبَارِحْ وَكَرَهْ
إِذَا سَدَّتْ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ يَدُ الْخُرُّ
فَمَا طَارَ مَكْفُوفُ الصَّقُورَ فَسَالَتْ
جَنَاحِيهِ قَبْلَ الْيَوْمِ عَادِيَّةُ الْكَسْرِ

إلى أن قال:

لها تيكم الأسباب قلت زيارتي
وإن كنت من شوقي إليكم على جمر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف آنذاك أن تُجري له راتبًا دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحوالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيدًا، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن ترك المسجد سبيلاً لعاداته وإيمائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيمة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخلوا في الديانات افترقاً
يؤول بكم إلى الحرب العوان
ودينوا من تكاتفكم بدینٍ
لهم يلقى التقدم بالعنان

قامت قيمة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقاً بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكراً في كفره وتدهرها، أما الآن فقد اتضحت لي ذلك.

وقد ضويق مضائقه شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

أضأْتني بـ شرقِيِّ الكويت
خطوبُ الزمانِ بـ بيعِ بيتي

وَمَا بَيْعِيكَ يَا بَيْتِي بِسَهْلٍ
وَلَكُنْ فِيكَ خَفْتُ الْيَوْمَ مَوْتِي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:
تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسُ بِشَرْقِيِّ الْكَوْيِتِ ثُقِيمٌ
فقلت جزاه الله خيراً فهو حرك
لنفسِي به لـو تعلمون نعيم
على راحتي قد حثكم ومراده
شقاي ورببي بالخسيف رحيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفة مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي
الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:
وَكَفَاكَ أَنْكَ فِي بُؤْيِتِكَ لَابِدُ
وَسَنَاءُ شِعْرِكَ فِي الْكَوْيِتِ أَضَاءَ

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالملك بن صالح المبيض،
والسيد عبد الرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف،
وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ومن لم
أذكر أسماءهم.

وكنت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان
السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائدته التي كان يرتجلها
في ذلك المجلس، فتنتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت ردًا قاسياً على أولئك
المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبين بقصائدهم الركيكة، والمضحك أحياناً، على قصائد
السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمة الله يجيد الهجاء إجاده
منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرأها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم إلا عندما أفتى أحمد المعمين بکفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه الآيات:

إِنْ كَانَ لَا يَنْعُمُ فِي الْجَنَّةِ
إِلَّا امْرُؤٌ مَّذَّالِكَ ذُو جِنَّةِ
مَنْ يَصْبِّنُ عَطَاهُمْ
فِي جَيْبِكَ الْفَارِغِ ذِي الْفَسْحَةِ
فَلَا يَسْلِي فِي جِنَّةٍ مَّأْرُبٌ
فَاعْطِهِ مِنْ شَتَّى بَهَادِحَتِي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريباً، انهزم فيها المتعصّبون هزيمة ذكراً، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرّون به في الخفاء لاتباعهم، فتحول ذلك المجلس^(١) فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وذلك هو يوم الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم عبد الملك يرسل ابنه صالح عبد الملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديداً، قال لي: ما رأيك لوأخذنا سفينه وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح من الأثرياء، فقال أشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن لهم صلة صداقه بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحباً بها، وفي الحال ذهبنا للبحث عن سفينه، فوجدنا سفينه صغيرة، وأخذنا نعدها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلقنا بيته، وحملنا فراشه إلى السفينه، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة، وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للمينا الصغير

(١) المجلس المذكور ديوان عبد الرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماءً إلى أكثر من نصفها، وابتلَّ كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يوماً، لم نحصل في خلالها على شيءٍ ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبدالمالك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريباً على ما ذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكانت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبدالمالك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انقضت الجلسة، وخلا المجلس، أخذت استوضح الشاعر بما غمض علىِّ من النقاش، فيوضّح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «مبای» وبعد وصولي بشهر تقليت من الشاعر كتاباً ينعي إلى فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطأيرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألغتُ المرحوم عبدالمالك، ولأنني استفدت منه الكثير، فعبدالمالك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبدالمالك فوق ذلك، أنه كان عالماً جليلاً كثيراً الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهاك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزوله من الباحرة للسلام عليه، ولتعزيته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعتين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبدالمالك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألفه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتشمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطاءه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشاً القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهبون، وأن يتكلم بما يشاؤن، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواءً المتقدمون منهم والمؤخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له - وذلك دون مبالغة - إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقاسماً من ديوان البحري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضله على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجاً خاصاً بشعره حيث يجنب فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أتنني سأله في يوم من الأيام عن معنى لفظةٍ من لفظات اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواءً أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً.

كانت حافظته قوية جدًا، ويعرف ذلك عنه كل منقرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتاً من الشعر فيتابعك في ترديدها بيّتاً بيّتاً حتى يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها ورددتها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتاً لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عوicتها.

إن هذا الشاعر مجاهل من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القراءة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهناك شعراً تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تركت الورقة التي دون عليها بيضاء لكان خيراً من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراخاً وعوياً «فامازيد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافقه على إيثاره هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعاً، وإن كان يدعى أن هناك ما يبرر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباح وفي بدء تمرسِه على النظم، ولابد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، وكل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادته بناء القصيدة دربةً وتمرسًّا وإنماً واسعًّا بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتد بما نظمه في صباح وقد أتلف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجالات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجالات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأنني نظمته صغيراً،
أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا
يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح،
وحرّموا التعليم، وأثاروا الفتنة بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً
بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهما، فأنت من أهل
الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك
من أجل أن يتتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كَلَمَا زَارْنَا مَعْمُوسَوْءِ
رَدَّ مَنْظُومَ شَمَانَا مَنْثُورَا
وَثَنَانَا إِلَى شَقَاءِ مَبِيدِ
بِاسْمِ دِينِ إِلَهِ مَيْأَا وَزُورَا
لِي سُوقُ الشَّقَاقِ مَنَا إِلَيْهِ
مَارِجَاهُ مَنْ رَفَدْنَا مَوْفُورَا
مَسْتَعِيْنَا بِالْجَهْلِ مَنَا عَلَى مَا
نَحْنُ نَلَقَى عَقْبَاهُ شَرَّا كَبِيرَا

في ذكرى المولد:

رَفَعَ اللَّهُ مَجَدَ بَيْتِ الْخَادِ
وَذُوِّيهَا مَنْهُ بِخَيْرِ عِمَادِ

فَعَلَيْهِ مَعَ الصَّلَاةِ سَلَامٌ
 فِيهِ يُمَالِيْهِمَا جَمِيلُ اعْتِقَادِي
 سَيِّدُ الرَّسُلِ كَلَمًا رَمْتُ مَدْحَأ
 لَكَ أَرْجُو بِهِ صَلَاحَ مَعَادِي
 صَفَدْتَنِي يَدَاقَصَصُورِيَ عَنْهِ
 فَأَنَا عَنْهُ مِنْهُمَا فِي صِفَادِ

ومنها:

فَإِذَا مَا أَذْنَتَ لِي بِالْتَّشَكِّي
 مِنْ هَمْوَمٍ عَلَيْهِ ذَاتِ احْتِشَادِ
 فَشَكَاتِي إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مُغْوِيٍّ
 وَمُضْلِلٍ بِسَاغِي الْمَقَالَةِ عَادِ
 قَدْ أَضْلَلَوْا بِاسْمِ الدِّيَانَةِ مِنْ
 جَهَّهُمْ أَوْ كُلَّ رَائِحَةٍ أَوْ غَارَادِ
 كَمْ أَمَاتُوا لَكِي يَعِيشُوا نَفْوسًا
 لَمْ تَرْزُلْ بَعْدَ حَيَّةَ الْأَجْسَادِ
 فَادْعُ يَا خَيْرَ مَنْقُذِنَا عَلَيْهِمْ
 بِزَوَالٍ يَعْمَلُهُمْ وَنَفَادِ

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفياً حاد الشعور رقيق الحساسية، يتاثر لأقل شيء، وكان ينفر أشد التفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أتنا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمال، فإذا قلت له تم الاتفاق بيدي وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمال، ثم ذهب إلى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمال مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمل الأجر استدعى الحمال وأخذ يسائله، هل يحس بالألم في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبداً التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفاً، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسموس: هل يا ترى لم يصب الحمال بآذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافي؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفاً من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بائس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقوداً غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقوداً غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفاً من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجرؤ أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحتي له لم أسمعه أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهواً، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيراً، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعاً من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئاً طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح على بمراجعة الطبيب، وأنذر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تناصحني بالذهاب إليه؟ فقال: إبني أعرف بأمراضي وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عاماً، وأنذر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السيجارة لا يتكلم أبداً، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السيجارة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبع غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليلة وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاء على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعماً أنها لا تخلو من الأفواه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلات غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجنته بكل سرعة، والوجبة دائمًا من الأرز وأحياناً يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عاماً، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعاً من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤديه الأصوات حتى أنه لا يستطيعمواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد البااعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارعأطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيعمواصلة حديثه أيضًا ما دام الراديو مفتوحًا حتى لو كان صوته منخفضاً جداً.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتاً، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمها، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخّر عن عادته في زيارة إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيها عن صحته إن كان غائباً، أو عن سبب تأخّره إن كان حاضراً.

فمن هولاء عبداللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتاً ذكر منها:

مغيّبٌ عَنَا فِي اللَّيَالِي يَسْوُئُنَا

لأنك يا عبداللطيف بها بدر

يجوب ظلام الهم عنا طلوعه

فأشرق علينا في الدجى ولد الشكر

ولا تعذر إما تأخرت ليلة

فليس يرى عندي مكاناً له العذر

فأجابه عبداللطيف بهذه المقطوعة:

لَقَدْ هَيَّجَ الْأَشْجَانَ شِعْرِكَ يَا صَفْرُ

وَزَدَتْ هَمُومِي بِالْعِتَابِ وَهُمْ كُثُرٌ

فَأَقْسَمْ مَا هَمْتُ بِمَا قَدْ ظَنَنتُ بِي

مِنَ الْهَجْرِ نَفْسِي وَالْحَفِيظَةُ وَالصَّدْرُ

لَئِنْ بَعْدَ الجَثْمَانَ فَالْقَلْبُ لَمْ يَزُلْ

لَدِيكَ أَسِيرًا حَبَّذَا ذَلِكَ الْأَسْرُ

فَدَيْتَكَ مِنْ خَلْ صَفَا صِدْقُ وَدَهُ

عَلَى حِينْ قَلَ الصَّدْقُ أَوْ كَثُرَ الْخَرْ

وَشَبَهْتَنِي بِالْبَدْرِ لَطْفًا وَإِنِّي

كَذَاكَ وَأَنْتَ الشَّمْسُ مِنْ نُورِهَا الْبَدْرُ

وأنت لوردي إن أمخنني الظما
 نمير زكا عن أن يمازجه مُرٌّ
 وأنت لروحي إن تمادي ظلامها
 سراجُ أضاءاته خلائقه الغُرَّ
 وأنت أخي حقاً وصارمي الذي
 أذود به عني إذا نابني أمر
 لعمرك إن الشعر حين تصوغه
 يدب بأعضائي كما دبت الخمر

ومنهم المرحوم خالد الفرج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرج في البحرين، فأملأ على الشاعر أبياتاً لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَغَرِّي الْكَوْيِتِ وَبِشَارَهَا
 هَرَزَتْ مِنَ النَّفْسِ أَوْتَارَهَا
 وَأَلْسَتْهَا مِنْ دَقِيقِ الْخِيَا
 لِمَا كَانَ يُعْجِزُ أَفْكَارَهَا
 بَأَيَّاتِ سُحْرِهِتْكِنَ الْقُلُوبِ
 أَرْحَنَ عَنَ النَّفْسِ أَسْتَارَهَا
 وَلَوْ كَانَ (رِئَتِجُنُّ)^(١) مِنْ قَبْلِ ذَا
 كَرَأَى هَذِهِ الرُّوحَ لَاخْتَارَهَا
 هِيَ السَّهْلُ لِلْسَّامِعِ الْمُسْتَصِيخِ
 وَلَكِنْ مِنَ الصَّعِبِ إِحْضَارَهَا
 هِيَ الشَّمْسُ قَسْطَعَ فَوْقَ الْجَبَا
 لَوْ تَرْمِي إِلَى الْقَوْسِ أَنْوَارَهَا

(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أتاني شعرك مثل الحياة
فجدد للفنس تذكارها
وما كنت سال ولكنما
ألفت الخطوب وأكدارها

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القظيف، وقد اقتتنى له هناك أرضاً زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، فخسر الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهمًا القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشكوا القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن السعدي، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقه مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانقض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفة وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلاً دخلنا عليه، فإذا به يبكي ويتعلّم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملأ على هذه القصيدة:
يا خالد الفضل في أشعاره الغرر
رغم الأواني من الأحداث والغير
وبباقي الذكرة المثلى بكل فمٍ
إذا التقاصد أبقى جدة الذكر

لَمْ سَمِعْتُ بِمَنْعَكَ الَّذِي كَرَبَتْ
 تَأْتِي مَرَارَتَهُ مِنِّي عَلَى الْعُمُرِ
 طَفَقَتْ بَيْنَ زَفِيرٍ لَا تَنْهَى نَهَهُ
 قَوْيَ اصْطَبَارِي وَدَمَعَ غَيْرِ مَنْزَجِرِ
 أَصْوَغَ فِيكَ رَثَاءً كُلَّ ضَامِنَةٍ
 إِشْجَاءً أَفْئَدَةً الْأَفْرَادِ وَالْزُّمَرِ

ومنها:

وَقَدْ لَقِيْتَكَ حَيَا وَالْحَيَاةَ لَمَا
 قَدْ صَفَّتْهُ فِيكَ مَوْتٌ غَيْرُ مَنْتَظَرٌ
 فَفَرَحْتِي مِنْكَ بِالْحَيَا يَسَاوِرُهَا
 حَزْنِي لِمَوْتِ الْلَّوَاتِي أَنْجَبَتْ فِكَرِي

ومنها:

مَصِيبَةٌ طَارِدَتْهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ
 وَنِعْمَةٌ لَوْنَجَتْ مِنْ صَوْلَةِ الْكَدْرِ
 وَلَيْسِ يُمْكِنُ فِي الْعِيشِ اشْتِرَاكَكُمَا
 فَهَلْ تَخْلَيْ لِشِعْرِي ظَلْمَةَ الْحُفَرِ
 وَالرَّأْيِ عِنْدَكَ فَاخْتَرْ مَا يَلِائِمُنِي
 وَإِنْ تَبْرُقَ وَجْهَ الْحَزْمِ فَاسْتَشِرْ

وَمِنْ أَعْزَ أَصْدِقَائِهِ أَحْمَدُ الْمَشَارِي، وَكَانَ فِي بِمَبَابِي، وَذَلِكَ عَام١٢٣٩هـ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
 شَاعِرُنَا قَصِيدَةً فِي بِمَبَابِي يَعْاتِبُهُ فِيهَا، وَيُشَكُّو جَفَاهُ، فَأَجَابَهُ أَحْمَدُ الْمَشَارِي:
 سَلَامٌ كَوَصْلُ الْحَبِ لِلْوَالِهِ الصَّبِ
 وَإِلَّا كَرْشَفَ مِنْ لَمِي ثَغْرَهُ الْعَذْبِ
 تَحِيَّةٌ مَشْتَاقٌ إِلَى خَيْرِ صَاحِبِ
 خَلَائِقِهِ تَذَكُّرٌ عَلَى الْمَنْدَلِ الرَّطْبِ
 أَيَا صَقْرَ أَشْجَيْتِ الْفَؤَادَ وَزَدْتَ فِي
 تَبَارِيْحِ شَوَّقٍ أَذَكَتِ النَّارَ فِي قَلْبِي

فَمَا أَنَا مِنْ يَجْفُو عَلَى الْبَعْدِ خَلَهُ
وَيَوْمَقَهُ إِنْ كَانَ مِنْهُ عَلَى قَرْبٍ

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر بغداد، وكان يراسله، وقد نشر عدداً من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبد الرحمن البناء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأنذر أن الشاعر حياد ببيتين هما:

تَفْضُلَ بَنَاءَ الْقَوْافِيِّ بِزُورَةِ
عَلَيِّ فَلنْ أَنْسِيَ عَلَيْهَا لَهُ الشَّكْرَا
أَتَانِي وَصَدْرِي مِنْ سَرُورِي مَقْفُرُ
وَعَادَ وَمِنْهُ الْأَنْسُ قَدْ مَلَأَ الصَّدْرَا

فأجابه الشاعر عبد الرحمن البناء:

نَعَمْ زَرْتُ صَقْرَ الشِّعْرِ يَوْمًا بَدَارَهُ
فَالْفَيْتُ مِنْهُ الشِّعْرَ طَالَ عَلَى الشِّعْرِي
فَزَادَ سَرُورِي عَنْدَ لَقِيَا سَرُورِهِ
فَطَرَنَا وَأَتَى لِي بِأَنَّ الْحَقَّ الصَّقْرَا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفاته:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته ملأ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئاً عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يُخيفه أشد الخوف - هذا مع وجود مكيف في غرفته - وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمه.

وفي مطلع عام ١٩٦٣ م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الم Hazel باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلهف على الموت ويتمناه، ويردد دائمًا قول المعري:

موت يسر معه رحمة

خير من اليسر وطول البقاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلل إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يا قدرة سجنـت بجـسـمي روـحـه

ضـاقـ الخـنـاقـ عـلـىـ السـجـينـ المـضـطـهـدـ

إـنـ لـمـ تـفـكـيـ الرـوـحـ مـنـ جـثـمـانـهـ

فـتـدـارـكـيـ مـنـزـورـ صـبـرـيـ بـالـمـدـدـ

أـرـجـوـكـ لـاـ أـرـجـوـ سـوـاـكـ فـأـنـعـمـيـ

عـجـلـىـ عـلـىـ بـمـاـ قـرـىـنـ مـنـ الرـشـدـ

ثـقـلـ الـحـيـاـةـ ضـعـفـتـ عـنـ حـمـلـيـ لـهـ

ضـعـفـاـ بـهـ لـيـ الشـيـبـ أـعـدـلـ مـنـ شـهـدـ

ماتـ وـلـكـ كـيـفـ مـاتـ؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٩٦٣/٧/١٤ فقرعت عليه الباب فلم يجبنـيـ، فعزـوتـ عدم إجـابـتـهـ ليـ أـنـنـيـ بـالـأـشـهـرـ المـنـوـعـ زـيـارتـهـ فـيـهاـ، وـفـيـ مـسـاءـ ١٩٦٣/٧/٢٤ تـقـرـرـ سـفـرـيـ إـلـىـ الـيـمـنـ، فـذـهـبـتـ صـبـاحـ ذـلـكـ الـيـومـ إـلـىـ بـيـتـهـ لـودـاعـهـ، غـيرـ أـنـهـ لـمـ يـجـبـنـيـ عـنـدـمـاـ قـرـعـتـ بـابـهـ، وـفـيـ مـسـاءـ سـافـرـتـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ وـمـنـهـ إـلـىـ صـنـعـاءـ عـنـ طـرـيقـ عـدـنـ، وـعـدـتـ مـنـ الـيـمـنـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ

يوم الأحد ١٩٦٣/٨/١٨ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الدهول حتى أتنى لم أستطع النوم ثلث ليال حزناً عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيه، ولما علم أتنى غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحداً من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعةً واحدةً في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٨/٦ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحداً بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ١٩٦٣/٨/٧ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائماً على ظهره، وإحدى رجليه متثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشييعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحوك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يداك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البائس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتموا باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله باري النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلت قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكابر الله عما يدعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت الحق وهم المبطلون، سماوهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطوا، واهتديت وشطّوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الفرع الثاني

كتبه: الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هذا خيال امرئ قد شب ما اشتغلت
على المسرة حتى شاب أضلاعهُ
ما إن تناول من آماله سبباً
إلا رأى مدية الأيام تقطعهُ
وأي صادِ من الأحرار ما وقفت
دنياه عن كل ما يُرويه تدفعهُ

هذه أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اخترز كل ما مر به من معاناة في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من آماله قطعت مدية الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم ديناهم كل ما يرويهم ويبل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عده، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شکواه المستمرة لما يلاقي من بؤسٍ في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبيساً لا يرى أحداً ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلةً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتماً جداً بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلة (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقدم لابن أحمد كأس شاي
وودي أن أمدّ له خوانا
يضم من المأكل كل صنفٍ
به الطاهي قد افتئنَ افتئنانا

ومنها:

فأهلاً يا ابن أحمد ثم أهلاً
وسهلاً يا أعزَّ أخٍ غشانا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالمالك الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بচقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالمالك الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالمالك الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحبًا ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارته صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يوم الخميس لبست ثوب خدوع
حتى حس بتك غرة الأسبوع
ما زلت يكسوك التواصلُ بيننا
ثوب المسرة رائق التوشيع
إذ تلبس الأيام - غيرك - حلة
من نسجها يدُ شملنا المصدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عده، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرج اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبد العزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبالاً باهراً، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة ألقى فيها الخطب والأشعار ترحيباً بمقدمه، وألقى هو عدداً من الأحاديث وحضر شيئاً من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

**بالرغم مني كنت أمس مقصراً
في واجبي نحو الزعيم التونسي**

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مباراته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

**أكذا يكون تواضع الكبار
وتلطف العلماء بالشعراء**

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما وأشار إليه صقر الشبيب بقوله:

**إني همممت بأن أقبل أنفلاً
ركّب في يمني الزعيم التونسي**

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الشاعري فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الرعيم التونسي من بلاده.

٢٠١٣-٢٠١٤

اللحس فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشبيب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبّه البعض بالمعري رهين المحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى الجائة إلى الموضع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقتات منه. وقد حاول مراراً الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس لفترة محدودة، ولذلك كتب إلىأعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدةً يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبيّة شهرياً، وكانت قصيّته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوع والعري اللذين هما
شرُّ النوائب إيلاماً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباساً وإشباعاً

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
درّاً به مُسكة الحوباء إرضاعاً
ومن خلا القوتِ والملبوسِ لم أَرْ لي
فيها لَا يمسك الحوباء إقناعاً

وعندما رد على تهنئة الشاعري بالعيد قال:
أزعيمَ تونسَ والكويتُ فسيحةُ
قد ضاق بي منها الفسيحُ الأرجب

إن يُردنِي بؤسي فلوموا موطنِي
 بَعْدِي عَلَى تفريطِه بِي واعْتَبُوا
 حاولت إدراك الوظيفة جاهداً
 بالقوت من قومي فعز المطلب

٢ - العمى، وصغر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألمت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزاً في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

الأَعْمَى بِمَحَيَاه سَرُورُ
 وَهُل يَا صَقْرَ فِيهِ لَه حَبُورُ
 فَقَاتْ لَهُمْ عَمِيَانَ أَسْرُ
 وَهُل فِي الأَسْرِ يَبْتَهِجُ الأَسْيَرُ

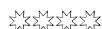
ثم يستنهض همم العميان قائلاً:
 عَلَيْكُمْ مِعْشَرُ الْعُمَيَانِ أَلَا
 يَمْسِكُمْ عَنِ الْعُلُّيَا فَتُورُ
 فَقَدْ يَبْنِي ضَرِيرَ الْقَوْمِ مَجْدًا
 يَقْصُّرُ أَنْ يَفْوزَ بِهِ الْبَصَيرُ

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبيل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تختلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزناً، وبخاصة وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطه حسين.

وفي قصيده «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيده في ذلك شيئاً. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.



لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهاً حديثه إلى أحد لائمه:

فإن سعدْ بِمَجْتَمِعِ الْبَرَّا
فإنِي بِإِنْفَرَادِي قد سُعِدْتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العداء، ولا تتيح له شيئاً مما تتخيه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحاً في توجيه حديثه إلى الناس جريئاً في قول الحق، وقد اكتسب شيئاً من عداء بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالى بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أَخَافُ إِذَا بَقِيتْ تَذَلُّ نَفْسِي
عَلَى طَمَعِ لَذِي مَالِ كَثِيرٍ
فَتَمْنَحُهَا مَدَائِحُهَا الْلَّوَاتِي
تَعْزُزُ عَلَى الْفَرْزِدقِ أوْ جَرِيرِ
وَكَنِي - كَمَا سُمِّيْتُ - صَقْرًا
وَهُلْ أَبْصَرْتُ ذَلًا فِي الصُّقُورِ

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثرين.

أسلوبه الشعري

لصغر الشبيب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكلاد تعرف قصيده منذ بداية قراعتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوى بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذى كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئاً بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للتزود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

و ضمن مطالعاته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم شِراً».

وكان محباً للغة الفصحى حريصاً عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جداً نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشبيب عن حبه للغة بقوله:

يَا أَيُّهَا الْلُّغَةُ الْجَمِيلَةُ إِنِّي
مُغْرِيُ الْفَؤَادِ بِحُسْنَكَ الْفَتَانِ

وقوله:

أَلْقَى جَنَانِي حُبَّ غَيْرِكَ مُذْ رَأَتِ
سَرِ الْجَمَالِ لِدِيكَ عَيْنُ جَنَانِي
مَا كَانَ مِنِي الْقَلْبُ لَوْلَا خَوْفَهُ
مِنْ أَنْ تُسْأَئِي دَائِمَ الْخَفْقَانِ

وهذه الدراءة باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقاناً وجودةً وجزالةً، وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.



وكان يملاً قصائده بالغريب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه القصائد عدداً كبيراً من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بـك قصيدة إلا وجاء فيها شيئاً من ذلك. كاستعماله كلمة (السبب) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في التراب، و(الهناخت) للمصابب، و(الروابت) للموانع، و(ماوغث) بمعنى يخاصم، و(لحز) بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكتفي الاطلاع على إحدى قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعذر في قصidته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصidته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكن استطُرد كثيراً - بعد ذلك - في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب، وصعوبة الحصول على قائدٍ يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى ما يقرب من سبعين بيتاً على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلاً:

لَهَا تِيكَمِ الْأَسْبَابَ قَلْتُ زِيَارَتِي
وَإِنْ كُنْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ عَلَى جَمْرٍ

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتاً بينما كان الاستطراد كبيراً، ولم يكن له داعٍ أبداً، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعرضة ما جاء في قوله:
سأبقي - مثل ما أتي قدِيما
بحبل الصبر معتصم - حديثا

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعرضة، حتى تؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:
فمن حربٍ تبرحَ - عن فنونِ
من الإفناء بينهمُ - الخفاءُ

ففصل بين قوله تبرح الخفاء بجملة طويلة معرضة وقوله:
قدومك سرّنا حتى أفلنا
- به مما جنى قبلُ - الزمانا

يريد أقلانا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملة معرضة، كما يكثر في أبياته التداخل
مثلا قوله:

كم قلتُ إن السيف ليس بغمدهِ
بل إنما هو حدهُ والمضربُ
لكن إلى الباب لهم ما قالته
ما كان من أسماعهم يتسرّب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرّب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما
قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:
وخصَ بالتحطيم أقلامَ الآلى
عقولهم حُبُ الصراحات سَبا

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:
بني يعربٍ من فاتهِ أمس سَلَهُ
حساماً به من قوتهِ يُحسن الذَّبَا

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فأصبحنا نقول وقد رأينا
جَنِيْ غَرَسَ الْمَتَاعُبَ إِذْ سَرِيْتَا
لَوَانَا، لَيْتَنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
نَقُولُ هَوَازِيْنَا هَيَهَاتَ هَيْتَا

ومن ذلك قوله:

وَكَيْفَ تَخَيَّرُوا نَفْرَا تُنَافِيْ
سِيَاسَتُهُمْ لِجَنِيْزِيْنَاهُمُ الْبَقَاءَ
رَجَاءَ زِيَادَةِ الْأَمْلَاكِ حَتَّىْ
لَا شَبَّةَ سَائِيْزِيْهِ الْكُلُّ دَاءَ

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.



وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحد قصيدةً في موضوع معين، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أَرِيَ الشِّعْرَ نَجْوِيَ النَّفْسِ وَالنَّفْسُ حُرَّةٌ
تَخَيَّرُ مَا تَهْوِي مِنَ الْوَقْتِ لِلنَّجْوِيِّ
أَنَادِيهِ أَحْيَانًا فِيَابِي إِجَابِتِي
وَمَا لِيَ مِنْ مُغْدِ عَلَيْهِ وَلَا عَدُوِّ



أغراض شعره

المطلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدراته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرق إليها في شعره ومن إسهاماته في عدد كبير من قصائده حتى لترى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيناً مثله، وكان في أواخر حياته قابعاً في بيته لا يتعاده. ولأنه كان ضليعاً في اللغة مكثراً من شعر الحكمة. ولكنني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، إلا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إِنَّ الَّذِي أَلْهَمَ الْأَقْلَاقَ مِقْوَلُهُ
وَالدَّهَرَ، لَا رَغْبَةٌ يَرْجُو وَلَا رَهْبَا
لَمْ يَنْسِ أَنْ تَشْمَلَ الْأَنْعَامَ رَحْمَتُهُ
وَلَا الطَّيْوَرَ، وَلَا أَفْرَاخَهَا الزُّغْبَا

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيداء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتکاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصد الأولاد لها:

كُلْ طَفْلٍ بِكَفِهِ عَصْفُورٌ
مِنْ أَذَاهَا يَكَادُ فِيهَا يَبُور

وفيها يقول:

أيَّهَا الطَّفْلُ أَنْتَ عَنِّي عَلَىٰ مَا
سُمِّيَّتِهِ الطَّيْرُ مِنْ أَدَىٰ مَعْذُورٍ
مَا لِأَمْرٍ تَمَرٌ عَقْبَاهُ أَوْ تَحْ
لَوْلَدِي ذِي طَفْوَلَةٍ تَقْدِيرٍ
لَسْتَ أَنْتَ الَّذِي جَنِيتَ عَلَىٰ الطَّيْرِ
رَوْلَكْنَ جَنِيْ أَبُوكَ الْكَبِيرِ
أَنْتَ لَوْلَاهُ أَمْرُكَ لَمْ تَقْ
رُبْ إِلَى الطَّيْرِ مِنْ يَدِيكَ شُرُورٍ

وتطرق في قصيدة له من الطوال إلى الحديث عن عنز أكلت بعض كتب أحد أصدقائه، وقد كان في البداية شديداً على العنз، ولكنه عاد بحكم طبعه إلى الاعتذار لها والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فَلَا تَهْمِلُوا حَقَ الْبَهَائِمِ وَاسْلُكُوا
بِهِنِ سَهْوَلَ السُّبْلِ وَالْمَرْتَعَ الْخَصْبَا

ولا حاجة هنا إلى عرض كافة الأغراض التي تناولها في شعره فهي واضحة في الديوان ولكننا نشير إلى بعضها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد الشاعر صياغة أشعارهم حولها، بل سنختار أموراً مثل الذي قدمناه هنا عن لقبه. ومثل الذي نشير إليه هنا:

كان صقر الشبيب محبًا للخير، ولكنه يسير في تعبيره عنه وفي تقديميه للمحتاجين على طريقته الخاصة، فهو لا يملك من المال ما يمكن أن يدفعه لحتاج، ولكنه لا يتأنّر عن عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لَكُمْ بِالذِّي أَخْفَيْهِ وَجْهِيْ يَنْطَقُ
صَرِيْحًا وَوَجْهِيْ مَا تَرَوْنَ فَحَدَّقُوا

أَجِيلُوا بِهِ الْأَنْظَارِ بَضْعَ دَقَائِقٍ
 لَكُمْ يَنْفَتِحُ مِنْ سِرِّ نَفْسِي مُغْلَقٌ
 فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي التَّفَرُّسِ حَاذِقًا
 فَوْجَهِي لَهُ عَنْ طَبْعِ نَفْسِي يَصْدِقُ
 فَإِنْ كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ فِي سُجِيَّةٍ
 فَقُولُوا لِي سَلِّمْ ذَا الضَّرِيرُ وَصَفَّقُوا
 وَإِنْ كَانَ حُبُّ الشَّرِ فِي غَرِيزَةٍ
 فَصَبَّبُوا عَلَى وَجْهِي الشَّتَائِمَ وَابْصَقُوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيداء الحيوان، كما بيناً قبل قليل، وقصيدته التي
 قدمها إلى بلدية الكويت شاكياً أصوات باعة الكيروسين الذين يمررون بين البيوت فيزعجون
 الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجن الناس
 في قيلولتهم، فينذرُون لهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدق بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون
 قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعياً إلى الاهتمام بغذاء
 الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصidته التي مطلعها:
 غَلَاءُ أَهْلَكَ الْفَقَرَاءَ جَوْعًا
 وَعُرِيًّا، أَهْلَكَ اللَّهُ الْغَلَاءَ

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد
 داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين،
 ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.

يحس قارئ شعر صقر الشبيب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو - أيضاً - ينصح قومه بالحرص على التكافف، وينصح أمته العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيراً بمساوة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه منادياً حاثاً مخبراً بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

الشكوى

أمضى صقر الشباب حياته شاكياً متذمراً لما مر به من مأساة منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقده لبصره، والإعلان عما يتحمله من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولو أني أستطيع وحدي ازدياره
لكنت إليه الدهر متصل السير
ولكنني ما سرت وحدي مرة
فعدت ولم تجرح جبيني يد الجدر
كأن لجدران الكويت جميعها
علي ترات غير منسية الذكر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ريبة في الشهر، فقال:

لا يدفع الجوع والعري اللذين هما
شر النوائب إيلاما وإيجاعا
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباسا وإشباعا

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينهى عليهم عدم اهتمامهم بالمحاجين الذين يحس هو ب حاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغْنِي الْأَلَى تَأْبِي غَرَائِزُهُم
 أَن يَذْخَرُوا نَفْعًا مَا أَوْتَوْهُ سَبْحَانًا
 كَأَنَّمَا اسْتَوْدَعُوا أَمْوَالَهُمْ فَغَدَوْا
 عَلَى الْوَدَائِعِ حَرَاسًا وَخُرَّانًا

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو
 مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك
 بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته
 قدم له أبياتا جاء فيها:

إِنَّ الْكُوَيْتَ أَدِيبَهَا فِي شَقْوَةٍ
 مُمْتَدَّةٌ لَيْسَتْ بِذَاتِ تَفَادٍ

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:
 كَأَنِّي فِي الْكُوَيْتِ عَلَى رُوَاهَا
 سَكَنْتُ مُفَازَةً حُفْتُ بِبَيْرٍ
 وَلَوْ أَنِّي حَصَلتُ عَلَى بَلَاغِي
 لَمَا أَعْمَلْتُ بِالشَّكْوَى قَصِيدَى

أما قصidته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز العالبي، فقد تحدث فيها
 عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أَنَّى يَرَى وَجْهَ الْمَسْرَرَةِ بِارْزًا
 مِنْ لَمْ يَزِلْ مِنْ أَبَاسِ الْبُؤْسَاءِ
 يَشْكُو طَوَاهُ مَعْلَنًا لَكَنْ إِلَى
 أَدْنِ - عَنِ الشَّاكِي الطَّوَى - صَمَاءَ
 قَلْبَ الْكُوَيْتِ مِنِ الشَّرَاسَةِ مَفْعُمٌ
 لَكَنْ عَلَى مَثْلِي مِنِ الْأَدْبَاءِ

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جَهَدْتَنِي صَرُوفٌ دَهْرِيٌّ حَتَّى
غَيْرَ شَكُوِيٍّ صَرُوفٌ لَا أَجِيدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فها هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو - آنذاك - في البحرين، فيقول له فيها:

فَلَيْتَكَ إِذْ رَحِلتَ إِلَى «أَوَالٍ»
جَذَبَتِ إِلَيْكَ مِنْ صَقْرِ زِمَامَةٍ
فَمُنْزَيَّتُهُ التَّرْحُلُ عَنْ بَلَادٍ
بِهَا مَشْقَاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَةً

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنـه كابـد ما فيه الكفاية، لقد عانى الفقر والإهمـال، ولـقي تهـجـماً شـديـداً من كـثـيرـين نـاصـبـوه العـداء دون وجـهـ حقـ، وما كان أـمامـه إـلاـ أنـ يـعـبرـ عنـ أحـاسـيسـهـ بماـ أـنـشـدـهـ منـ أـشـعـارـ كـانـتـ كلـهاـ صـارـقةـ لـماـ كانـ يـتـحملـهـ منـ شـقـاءـ طـوالـ حـيـاتهـ.

ومن أدـلـ أـشـعـارـهـ عـلـىـ رـغـبـتـهـ فـيـ مـغـارـدـةـ وـطـنـهـ قولهـ:
لـمـ يـحـلـ فـيـ قـوـمـيـ مـقـامـيـ سـاعـةـ
لـوـ أـنـنـيـ أـسـطـيـعـ مـنـهـ هـرـبـاـ
فـإـنـ أـقـمـتـ فـيـ الـكـوـيـتـ مـرـغـمـاـ
مـضـطـهـدـاـ مـنـ أـهـلـهـاـ مـكـتـئـبـاـ

وقولـهـ:

فـإـنـ تـضـقـ الـكـوـيـتـ الـيـوـمـ عـنـيـ
وـمـاـ ضـاقـتـ بـأـمـثـالـيـ الـدـيـارـ
فـكـمـ بـلـدـ لـقـومـيـ الـعـربـ فـيـهـ
سـيـحـلـوـلـيـ مـنـ السـعـةـ الـقـرـارـ

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشبيب لما يتعرض له المتنورون عادةً، فأولئك الذين نشأوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تفتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصة فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشبيب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وَخَلَاوَةُ الْدِيَانَاتِ افْتَرَاقٌ
يَؤُولُ بِكُمْ إِلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ

ومن ثم أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ عبد العزيز الرشيد «ثم تملاً هو وأسافلة مثله على قتلها، ولكن الشاعر وقد علم بما يبيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقیماً فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكافف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله ويقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فِيَامَنْبَهَأَمَنْتُغَيْرَمَقْلَدِ
أَدْمِبِكَإِيمَانِي بِعَيْدَأَعْنَالَخَطَرِ
فَكَمْشَبَهَةَدَكْنَاءَجُبْتُظَلَامَهَا
فَكَدَتْأَصْلَالَخَرْقَفِيهِإِذْأَعْتَكَرِ

ولو لم تذر سُرْجُ العناية ليلها
لأنفنيتُ فيه العمر أسرى على غَرَّ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصبونه العداء دون سبب جوهري، بل دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

وَمِمَّا يُزِيدُ الْحَزَنَ فِي الْقَلْبِ ضَعْفَهُ
وَيُلْهِبُهُ بَيْنَ الظَّالِمِ وَفِي الظَّاهِرِ
صَدُودُ بَنِي قَوْمٍ إِذَا قَامَ مَرْشِدٌ
يَذْكُرُهُمْ بِالشِّعْرِ طَورًا وَبِالْخُطْبَ
وَفِي الصَّدَّ مَا يَثْنِي عَزِيمَةً مِنْ غَدَا
لَنْصَاحِهِمْ تَقْرِيبُهُ الدَّهَرَ وَالْخَبَبَ
فَكَيْفَ إِذَا مَا زَنْدَقُوهُ وَأَسْبَلْتَ
عَلَى رَأْسِهِ مِنْ مَزْنَ غَيْظَهُمْ سُحْبَ

وهذا الذي (يُزندق) على حد قوله هو الذي يقول:
تأملتُ أديانَ البريةِ كَلَّا
فَمَا رَكِنْتُ إِلَّا إِلَّا إِسْلَامَهَا نَفْسِي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتقادى الهجاء، أو الإقداع على الرد على من أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفاً عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويلية جبن» تحدث فيها عن الذين يتهمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إِذَا مَا كَاتَبَ أَصْنَاهَ حَقْدُ
عَلَى قُرَنَائِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ
هَجَاهُمْ ثُمَّ سَمِّيَ الْهَجَوْنَقَدَا
لَيْبَقِي خَافِيَا سَوْءَ الْمَرَامِ

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوى الشريف يشاركونه شعراً غزيراً معبراً، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصidتة «أمع الحياة سعادتك».«

يَا رَبْ فَاعْفُ فَلَا يَسْ لِي إِلَّا إِلَى
 تَأْمِيلْ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي مِنْ مَرَدْ
 يَا مَنْ يَؤْمِلْ عَفْوَهُ الْجَانِي وَإِنْ
 فَاتَتْ لِكَثْرَتِهَا الْجَنَاحِيَاتُ الْعَدَدْ
 خَوْفُ الْحَسَابِ عَلَى ذَنْبِي هَذِينِ
 وَعَلَيْكَ فِي التَّأْمِينِ مِنْهُ الْمُعْتَمَدْ

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتداولها مع الأستاذ عبد الملاك الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما يفهمه البعيدين عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها «يوم الخميس» تحدث عن لقاءه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبد الملاك وقد حضر لصاحب ما يعتقد أن الشاعر يحب أن يستمع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يمضيان وقتاً في تدارسها. وقد ضمت هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم الخميس. وفيها نرى تمكناً صقر الشباب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى إليه جميلاً لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه - بالتأكيد - ليس له أثر سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحد الفكر لا لتغييبه.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدة له بعنوان «نظرة في السر الإلهي» تحدث فيها عن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤونخلق جميعاً، دون أن يعلموا شيئاً عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في بحار الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنعم في جنان اليسر ومن هو يصطلي بنار العسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر، ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

إِلَّا جَرَّدُوا حَسَدًا وَغَيْظًا
 عَلَى الْمُثْرِينَ لِلْحَرْبِ الْحَسَامًا

فلم يدعوا براحته غنّيًّا
 ولم يذروا على أرضٍ سلامًا
 ولكن جَلَّ من أجرى فأرضى
 برأيه بحكمته النظاما

هذا النظام الذي عجز الحكام عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما
 يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:
 يقول بِكُنْهِهَا الْحَكْمَاءُ ظَنًّا
وعلم الكنه عنهم قد ترامة
 إن النُّظمَ قد استعصت على الدرایة.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيده «لحكمة أتينا الدنيا» يبديها بنعي السعادة قائلًا:
 ليس في الأرض من طريقٍ يؤدي
 سالكيه أو بعضهم لمسعاده
 فالها اسمُ بين الأنماط شهيدٌ
 ومسماه مسْتَحْيلُ الشهاده

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا
 حريصون على زيادة نسلنا وكأن الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في
 دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم
 يكونوا ضدًا له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤالهم منه شيء.. إذًا فإن هذا التدفق
 البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:
 أوجَدَ الْوَالِدَ الْقَدِيمَ لِأَمْرٍ
 سايعَ الْكَثْمِ يَقْتَضِي إِيجادَه
 فَأَتَى الْوَالِدُ الْقَدِيمُ إِلَى الدُّنْ
 يا اضطرارًا كما أتتها الجرادة

ثم ينتهي إلى موضوع آخر يبنيه على ما تقدم، مؤكداً أن كل إنسان يسير في حياته وفق الطياع المركبة فيه.

وفي قصيدة «يا عقل» نداءً إلى عقله الذي وجَدَ أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عُرض عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متّركاً
ما لم يكن وفقة من كل من قول
فقلت لو لم يُرِدْ هذا مكتوّنا
مني ومن كل معروفٍ ومحظوظٍ
ما حشا الهم بالآباب قائمةً
بالفرق ما بين مسمومٍ ومعسولٍ

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فأينْ
ما غاب من وجه تحريرٍ وتحليلٍ
وسدّ أذني عما القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيلٍ

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحتها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يُمحض العقول ويعرضه على المنقول فیأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزًا للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصغر الشباب الذي لم يكن شاعرًا فحسب بل كان عالماً قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدة «ظن جميلاً بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد راقت هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصارى فأوردها في صدر كتابه «صغر الشباب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرأة لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سر عان ما يطأطئ رأسه عجزاً.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرأة ارتياحها مهما أورتى من عقل، وفي مطلع الأبيات:
ولله فيما يفعل الله حكمة

يفوت بها كتمانها العقل والحسنا
فمن حكمة فوق العقول سما بها
أطاف بنا خشن الحوادث والمُلسا
يُطيف بنا سعد الخطوب ونحسها
ويمنعنا تعليانا السعد والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الانصارى الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٢٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الانصارى واسعة، تقى بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتق» فقد شرحها شرحاً وافياً، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلி دلالاتها دون أي لبس.



هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجدى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأى حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.



هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرخ فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقرًا قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي

كان يكتمها، فلما جاءته قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:

إِنْ شَجَاكَمْ مَنِي الْأَنْيَنُ الْمَدِيدُ
فَعَذَابِي بِالْفَقْرِ جَدًا شَدِيدُ
كَلَمَا قَاتَلْتُ ذَاتَ يَوْمِ سِيمْضِي
مَنْهُ عَنِي اشْتَدَادُهُ أَوْ يَبِيدُ
عَنْ خَطْبٍ يَقُولُ إِنِّي كَفِيلٌ
أَنْ سَتَبَلِي يَا صَقْرُوهُو جَدِيدٌ

والقصيدة طويلة جداً كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصاً عزيزاً عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمة عبرت أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم وبالفقر وبالعزلة في وقت واحد:

أَنَا مَا زَلْتُ فِي الْكَوْيِتِ أَغْنِيٌّ
كُلُّ صَوْتٍ يَشْجِي بِهِ الْجَامِودُ
وَهِيَ تَزَدَادُ قَسْوَةً فَغَنَائِي
لِشَقَائِي تَتَمَّمَةً وَمَزِيدٌ
فَكَانَ الْكَوْيِتُ مَا دَمْتُ فِيهَا
قَفْصٌ فِيهِ بَابُلُ غَرِيدٌ

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يتربصون به الدوائر ويريدون تشویه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعاديه قد وصفته بما ليس فيه:

وَصَمَّتْنِي حَتَّى بِجَحْدِ إِلَهٍ
مَا تَمَشَّى لَهُ بِبَالِي الْجَحْوُدُ
وَيَقِينِي بِأَنْ رَبِّي - مُدِيلِي
مِنْ ذُوي الظُّلْمِ - عُدُّتِي وَالْعَدِيد^(۱)

وفيما ذُكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضحت من ذلك يؤكّد إيمانه العميق.

(۱) مديلي: ناصري.

القسم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعلم المرحوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.
نماذجٌ هذى من قريضي أرْفُها
هديَّةٌ من لم يَقُنْ شِينًا سُوى الشِّعْرِ
ومن لم يجد غير القوافي هديَّةٌ
فأهداى القوافي كان من بالغى العذر
إلى روح من لو عاش ما بتُشاكِيَا
من العسر ما قد كاد يأتى على عمرى
إلى سالم الأخلاق والعذر كاسمهِ
ومسالم ما تحوى يداه من الوفر
فام نَشْكُ في أخلاقه قَطْ عَلَىَّ
سوى فتكه في المال بالنائل الغَمْر
فما زال حتى مات يُحيى عُفَاتَهُ
بإرداء صنْفِي ماله البيض والصُّفَر^(١)
فأمواله تشكى وتسأط كفه
وسؤاله تقفو الشكية بالشكر
فما فرقَت ما بين جزل نواله
وقصاده شکوى اللُّجَىنِ ولا التُّبُر^(٢)
وما كان عن شکوى سوى المال وحده
إذا ما شكا الشاكى إليه بذى وقر^(٣)

(١) العفة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفر: كنایة عن الذهب والفضة.

(٢) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.

(٣) الوقر: ثقل في الأذن.

كَانَ قَدْ حَمِتْ سَمْعَيْهِ شَكْوَى ثَرَائِهِ
عُفَافُ أَيْدِيهِ بِشَكْرَهُ الْكُثُرُ
فَذَاكَ الَّذِي لَوْلَمْ يَغْيِبْ قَبْرَهُ
لَا عَدْتُ مِنْ بُؤْسِي أَحْنُ إِلَى قَبْرِي
فَقَدْ خُبِّثْتُ مِنْ دَاءِ عَسْرِي بَعْدَهُ
حَيَاتِي الَّتِي طَابَتْ بِأَيَامِهِ الْفُرُّ
وَلَوْلَمْ يَرْزُلْ حَيَاً لَأَتَبِعَ عَالَتِي
مِنْ الْعَسْرِ يُشْفِيْهَا دَوَاءً مِنْ الْيُسْرِ

الإيمان عون لتحفيض الأعباء^(١)

عطفت على البصرة الفيحة
والساكنون ربوعها الگرماء
من كل ذي كرم يحل بنفسه
قمم الثناء المجد والعلiae
جُبوا على حب المكارم والورى
- لولا المكارم - والوحش سواه
وجلائل الأفعال الإنسانية لها
عن حسن ما جُبوا عليه جلاء
تلك التي لولا إبانتها استوت
في قدرها الگرماء واللؤماء
والذر لم يبد سر جماله
ما كان دون مقامه الحصباء
الكل يهوى أن يكون لباسه
 مما يحوك الحمد والإطراء
وببيت يشغل مدحه السمراء ما
باتت تسامر بعضاها السمراء
ومن الصعوبة في مكان نيل ما
مالت إليه بأهلاها الأهواه

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصره فيه على ما كان يشكوا منه.

والصعبُ مهما شاقَ دون منالٍ
 يمنى الائِمَّ من السُّورِ شَلَاءَ
 أَنَّ يفوزَ بِلِئِيمٍ عِرْضَةً
 لِهُطامِهِ مِن سَائِلِيهِ فِداءَ
 يهُو اقتناَءُ الْحَمْدِ ثُمَّ يعوْقَهُ
 عَنِهِ مِن الْبُخْلِ الْذَمِيمِ إِباءَ
 فَالْمُقْتَنُونَ جَمَالَ مَا نسَجَ الثَّنَاءَ
 قَوْمٌ لَهُم بِالْمُنْفَسَاتِ سَخَاءَ^(١)
 لَهُمْ عَلَى فَقْرِ الْفَقِيرِ إِذَا غَداَ
 مَسْتَعْدِيَا جَدَوَاهُمْ إِعْدَاءَ^(٢)
 يَجِدُ الرِّجَاءَ مِنَ الْمُقْلِ حَيَاَتَهُ
 بِهِمْ إِذَا أَلْوَتْ بِهِ الْبَخَلَاءَ^(٣)
 لَهُمْ إِذَا سُرَّ الشَّحِيقُ بِمَنْعِهِ
 حَاجَ الْفَقِيرُ بِبَذْلِهِمْ سَرَاءَ
 مَتَسَابِقِي بِذَلِ المَعْوِنَةِ مَا أَتَتِ
 تَرْجُوا الْمَعْوِنَةَ مِنْهُمُ الْفَقَرَاءَ
 وَمَتَى يَضُقُّ مَيْسُورُ وُجُودِهِمْ بِمَا
 مِنْهَا لَأَمِلِ رَفِدِهِمْ قَدْ شَاءُوا^(٤)
 عَمِدُوا إِلَى اسْتِخْدَامِ جَاهِهِمْ لِهِ
 حَتَّى يَرَى مَا ضَاقَ وَهُوَ فَخَاءَ
 هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي بِسَلْوَكِهِ
 مِنْهَاجَ تِنَافِسِ النُّبَلَاءَ

(١) المنفَسات: الأشياء التَّفَيسَة.

(٢) استعداء: استنصره واستعنَاه، والمستعدي الطالب النَّصْرَة، وأعداء إعداء نصره. والجدوى: العطية.

(٣) ألوى بالشيء: ذهب به.

كَمْ حَمِدٌ طِهِ الَّذِي بَالَّفَتْ بِهِ
 خَيْرَ الْأَنَامِ النَّسْبَةُ الْغَرَاءُ
 مِنْ لَوْشَكَنَا أَنَّهُ مِنْ جَلَّ
 مِنْ دِينِهِ ظُلْمَ الْخَلَالِ ضَيَاءُ
 عَنَّتْ تُبَدِّلُ شَكْنَابِيَّةَ يَنْنَا
 فِي ذَاكَ مِنْهُ السِّيَرَةُ الْحَسَنَاءُ^(١)
 وَالسُّحُبُ تُوقِنُ أَنَّ مَصْدِرَهَا إِذَا
 غَمَرْتَكَ مِنْهَا بِالْحَيَا الدَّأْمَاءُ^(٢)
 لِلَّهِ (طِهِ) مِنْ طَبِيبِ طِبَّهُ
 لِلْعُقْلِ وَالْجَثَمَانِ فِيهِ شَفَاءُ
 إِرْشَادُهُ يَشْفِي النُّهَى وَيَعْرُفُهُ
 تَلْقَى شَفَاءَ جَسَوْمَهَا الْبُؤْسَاءُ
 دَاوِي بِخَيْرِ النَّصْحِ عَقْلَيْ وَانْبَرِيَ
 مِنْهُ لَجْسَمِي بِالْجَمِيلِ دَوَاءُ
 هَذَا هُوَ الْطِبُ الْمُفَيَّدُ لِمَنْ بِهِ
 مِنْ فَقْرَهُ أَوْ جَهَّهَ أَدْوَاءُ
 مَا كَانَ لِلَّدَائِينِ فِي أَهْلِيَّهُمَا
 - لَوْشَاعُ - ذَاكُ الْفَتَكُ وَالْإِبَلَاءُ
 لِكَنَّهُ طِبٌ يَعِزُّ وَجُودُهُ
 فِي بَيْئَةٍ نَدَرَتْ بِهَا الْفُخَلَاءُ
 وَيَقِلُّ أَهْلُ الْفَخْلِ فِي الْوَسْطِ الْذِي
 لَاجَهَهُ وَالْإِمسَاكُ فِيهِ ثَوَاءُ^(٣)

(١) عَنْ لَكَ الشَّيءِ؛ ظَهَرَ أَمَامَكَ.

(٢) الْحَيَا: الْمَطَرُ. وَالْدَّأْمَاءُ: الْبَحْرُ.

(٣) ثَوَاءُ: طَولُ إِقَامَةِ.

فِي الْجَهَلِ وَالْإِمْسَاكُ إِنْ عَكَّافَا عَلَى
وَسْطِ فِمَا لِلْفَخْلِ فِيهِ بِقَاءٌ
وَأَرَى مَحِيطِي مِنْهَا لِمَا يَزَّلُ
فِيهِ بَلَاءٌ فَادْحُ وَبَاءٌ
فَإِذَا عَلَى قَوْمِي جَرِيَ مِنْ مَقَاتِي
طَوْعَ الشَّجَنَ الْجَرِيَاتِ - الْمَاءُ
فَلَآنَ ذَلِكَ كُلُّ مَا أَسْطَيْتُ عَيْنَهُ
جَهْدَ الْمَقْصُرِ فِي الْخَطْوبِ بِكَاءٍ
مِنْ لَيْ بِكَالْفَيَاضِ يَشْهَرُ فِيهِمُ
قَلْمًا جَنَاهُ حِكْمَةً وَجِجَاءً^(١)
فَعَسَاهُ يَبْلُغُ مِنْهُمْ الْأَسْمَاعَ مَا
فِي الْعَالَمَيْنِ لَهُمْ بِإِحْيَاءٍ
فَلَذَّاكَ أَحْرَى أَنْ تَعُودَ قَارُبَهُمُ
مِنْهُ لِغَالِي النَّصْحِ وَهِيَ وَعَاءٌ
حُرْرِيَّ خَفْ عَلَيْهِ مِنْ إِرشَادِهِ
مَا لَا تُقْلِ الْهَضْبَةُ الشَّمَاءُ^(٢)
وَإِذَا تَوَلَّتِ الْمَرْءُ مِنْ إِيمَانِهِ
عَوْنَ عَلَيْهِ خَفَّتِ الْأَعْبَاءُ
مَا انْفَكَ يُتَبِّعُ بِالنَّصِيحَةِ مُثَلَّهَا
كَأَجْلٍ مَا تَأْتِي بِهِ النَّصَاحَاءُ
إِقْرَأْ «صَدِي الشَّبَّانَ» تَعْرُفُ فَخْلَهُ
فَإِذَا فَخَلَهُ إِضْمَارُهَا إِبْدَاءٌ
وَالزَّهْرُ لَا تَخْفِي حَقِيقَةَ طَبِيعَهُ
مَا مَرَّ بِالْأَنْفَافِ مِنْهُ شَذَاءُ

١) الحِجَّا: العُقْل.

في كل أسبوع تُعيد رنيتها
 بالخير من ذاك الصدى أصداه
 إني لأصفى نحوها في زينتي
 مِقَّةً (لطه) ذلك الإصفاء^(١)
 ولحس بُنا منه نصائحه التي
 لـالـخـير منها في النـفـوس نـمـاء
 لكن «طه» ما أكتفى حتى انتـنـى
 ولـعـرـفـه مع نـصـحـه إـسـداء
 منه تـدارـكـي ومن إـخـوانـه
 في الفـضـل سـعـي نـافـع وـحـباء^(٢)
 حين المـضـ من الخـصـاصـة أحـدـقـتـ
 بي منه - أو قد كـادـت - الأـسـوـاء^(٣)
 فـلـهـمـ على مـعـرـوفـهـمـ شـكـريـ وهـلـ
 لـلـعـرـفـ من شـكـرـ الشـكـورـ كـفـاءـ
 كـلـاـ ولكنـ منـ حـقـوقـ جـمـيـلـهـمـ
 أنـ لاـ يـكـونـ لـشـكـرـهـمـ إـلـغـاءـ
 فـلـذـاـ سـأـبـقـىـ شـاكـراـ مـاـ لمـ يـعـقـ
 بـالـصـمـتـ جـائـلـ مـقـولـيـ الأـرـداءـ

(١) المقة: الحب.

(٢) الحباء: العطاء.

(٣) الخاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبدالله الخلف الدحيان^(١)

ما بعد فقتك لا كويت عزاءُ
أَنْتَ وَأَنْتَ بِجَسْمِهَا الْحَوْيَا^(٢)
ما مِتْ أَنْتَ وَإِنْ حَوْتَ حَفِيرَةُ
لَفْظُكَ فِيهَا الْأَلْهَادِيَاءُ
كَلَّا وَلَكِنَ الْكَوْيَتُ هِيَ الَّتِي
مَاتَتْ وَمَاتَتْ خَمْنَاهَا الْأَحْيَاءُ
ما كَانَ مَوْتُكَ غَيْرُ سُلَمٍ جَنَّةٍ
فِيهَا تَدُومُ لِثَلَكَ النَّعَمَاءُ
عَجَلْتُ فَمَدَّتُ لِي فَضِيَّ مَسْرَعًا
بِكَنْحُونَهَا مِنْ رِبِّ الْآلَاءِ
أَصْبَحْتُ لِلْفَرْدُوسِ عَنِ الرَّاحَلَةِ
عَجْلَانَ مِذْمَنَهَا أَتَاكَ نَداءُ
فَغَدَ رَحِيلَكَ لِلْكَوْيَتِ وَأَهْلَهَا
مَوْتًا زَوَامًا مَا بِهِ إِبْقَاءٌ
كُنْتَ الْقِوَامُ الْمُعْنَوِيُّ لِوَطَنِ
فَدَحْتَ عَلَيْهِ بِبِيَنَكَ الْأَرْزَاءِ^(٣)
إِنْ فَرَزْتَ بِالْمَحِيا الْمُؤْبَدُ بَعْدَهُ
فَالْبُعْدُ مِنْكَ أَتَاهُ وَهُوَ فَنَاءُ

(١) كان المرحوم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار غزيرة يوم وفاة الشيخ عبدالله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة.
(٢) الحوابي: النفس.

وِلِقَامَةُ الْعُلَمَاءِ مَحِيَا شَعْبِهِ
وَحِمَامُهُ أَنْ تَرْحِلَ الْعُلَمَاءِ
فَإِذَا عَنِ الْأَقْوَامِ مِنْ عَالَمَائِهِمْ
غَرِبَتْ بِجَنَّاتِ الْخَلْوَدِ نُكَاءً^(١)
فَأَبْسَطَ إِلَى الْأَقْوَامِ كَفَّ مُودَعٌ
فَلَقِدْ تَنَبَّهَ فِيهِمْ إِرْدَاءِ
غَادَرَتْ أَمْوَاهُ الْعَيْنَ جَوَارِيَا
أَسْفَافًا عَلَيْكَ تُمْدُهُنَّ دِمَاءِ
فَاعْجَبَ لِأَمْوَاتِ أَسَالَ دَمَوْعَهُمْ
حَيٌّ أَتَاهَهُ دُعَاءً
وَلَقَدْ بَكَتْكَ وَقَدْ أَحْسَتْ قَبَانَا
مِنْكَ الْفَرَاقَ الدَّيْمَةُ الْوَطَفَاءِ
قَدْ غَاضَ مَاءُ جَفَونَهَا حَتَّى إِذَا
أَزْفَ الْتَّرَحُّلُ مِنْكَ فَاضَ المَاءُ
أَحْشَاؤُهَا ذَابَتْ بِنَارِ تَنَهَّدٍ
تُدْعَى الْبَرُوقُ فَسَالَتِ الْأَحْشَاءُ
حَتَّى لَخِفْنَا أَنْ يَعْمَمْ بِسِيلَهَا
دُورَ الْكَوَيْتِ الْهَدْمُ وَالْإِبْلَاءُ
وَغَدَا يَرِي الْغَيْثَ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ
كُلُّ مَنْ الـ... كَانَ وَهُوَ بَلَاءُ
وَكَذَا الْفَرْطُ مُزِيدَهَا أَوْ نَقْصَهَا
عَنْ حَالِهَا تَحْوِلُ الْأَشْيَاءُ
لِبَثَتْ تَنَوُّحَ وَتَكْتُمَ السُّرِّ الَّذِي
نَاحَتْ لَهُ مِنْ فَوْقَنَا الْأَنْوَاءُ

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حتى رحلَ فعاد سِرُّ نواحها
 يوم الرحيل وما علىه خفاء
 فثني رحيلك كل مقالة مسلمٍ
 بالدموع هي سحابة غراء
 حتى اثننت طوع الشجون عيوننا
 هي والسحائب في البكاء سواء
 إن كان وصفي أمس عندك شاعرًا
 فالاليوم وصفي النائح البَكَاء
 أو كنتُ قبل نواك بُلْبُلَ معاشرٍ
 فيهم قريضي سار وهو غناء
 فالبعد منك أعادني بنياحتي
 وأنا حماماتٌ أيكَةٌ ورقاء
 لو كان شعبي بالتناسخ مؤمناً
 يا (صخر) أيقن أنني (الخنساء)^(١)
 ما عن أبي خلفِ لنفسي سلوةٌ
 مالم يتح لي من علاه لقاء
 ما زلت أخشى من صروف منيتي
 أيام أدنو منك حين أشاء
 واليوم قد أصبحتُ أستشفى الردى
 والموت في بعض الظروف شفاء
 إن كان داء الخلُّ نهجُ لحاقه
 بالخل فالداء المميت دواء
 شققت بك الغبراء يوم هجرتها
 ولطالما سعدت بك الغبراء

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائم البكاء على أخيها صخر.

جَنْتُ عَلَيْهَا بَعْدَ بُعْدِكَ لِيلَةٌ
 مُرْبِدَةً أَرْجَاؤُهَا لِيَلَاءٌ^(١)
 ضَلَّتْ بِحِنْدِسِهَا سَبِيلَ عَزَائِهَا
 إِنْ كَانَ بَعْدَ لِلْعَزَاءِ بِقَاءٌ^(٢)
 لَا نَغُوكَ إِلَيْ أَحْيَا قَوْلُهُمْ
 فِي الشَّجَنِ فَمَاتَتِ الْأَعْذَاءِ
 وَإِذَا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دَائِرَةً عَلَىِ
 جَسْدِي تَضَمِّنِ إِطَارَهَا الْأَسَاءِ
 فَسَجَدْتُ فَوْقَ التَّرْبَ لَا لِتَعْبُدِ
 لَكُنْ لِأَمْرِ شَاءِهِ الْإِغْمَاءِ
 فَلَبِثْتُ فِي الْإِغْمَاءِ بَضَعَ دَقَائِقٍ
 فِيهِنَّ مِنْ حَسِيْ أَسْتَبَّ جَفَاءَ
 ثُمَّ انتَبَهْتُ بِحَالَةِ مَرْهُوبَةٍ
 مِنْهَا غَدَتْ تَرْشِي لِيَ الْأَعْدَاءِ
 مَتَمْنِيَا أَنْ لَمْ أُفْقَ مِنْ صَعْقَةٍ
 مَرَتْ وَزَعَزَهَا عَلَيْ رَخَاءٌ^(٣)
 نَبِأْ أَمَاتِ الصَّبْرِ إِذْ أَحْيَا الْأَسَاءِ
 فَاعْجَبْ لِمَوْتِ طَيْهَ إِحْيَاءَ
 فَكَانَهُ دَمُ الْفَمَائِمِ إِذْ أَتَهُ
 وَلَهَا عَلَيْكَ تَاهُفُّ وَبَكَاءَ
 شَقَ الْثَّرَى عَنْ كُلِّ رُوضٍ مَيِّتٍ
 مِنْهُ بِجَوْفِ التَّرْبَ طَالَ ثَوَاءَ

(١) جَنْتُ: أَظْلَمْتُ، مَرْبِدَة: مَظْلَمَة.

(٢) الْحِنْدَسُ: الْخَلَامَة.

(٣) رَيْحُ زَعْزَع: شَدِيدَة. وَرَيْحُ رَخَاء: لَيْنَة.

وَثَنِي الْمَبَانِيٍّ وَهِيَ صَرْعَى لَمْ تَكُدْ
 مِنْ جُلُّهَا تَتَمَاسِكُ الْأَجْزَاءِ
 حَتَّى كَانَ قُوَى مَشِيدِ بَنَائِنَا
 سَأَمُّ عَرَاهَا مِنْهُ أَوْ بِغَضَاءِ
 فَتَجَرَّدَتْ مِنْهُ لَسْـ، كَنِيْ غَيْرِهِ
 فَإِذَا النِّبَاتِ يَدْبُّ فِيهِ ذَمَاءَ^(۱)
 فَأَتَتْهُ أَوْيَةً إِلَيْهِ فَانْثَنَى
 نَشَأْ بِـسْـ كَنَاهَالَهُ وَذَمَاءَ^(۲)
 فَالنِّبَاتِ يَعْلُو وَالْمَبَانِي تَنْحَنِي
 بِـنَـوَـكَ فَهِيَ الْخَفْضُ وَالْإِعْلَاءِ
 فَمِنْ الْمَبَانِي فِي الْبَلَاءِ شَكِيَّةً
 وَمِنَ الْمَنَابِـتِ فِي النِّمَاءِ ثَنَاءً
 فَهِمَا لِفَقْدِكِ يَنْظِمُـانِ مَرَاثِيًّا
 فَالشَّكْوَـيْصَـبِـهِـ الـثـنـاءـ رـثـاءـ
 مـاـ إـنـ رـأـيـنـاـ قـبـلـ فـقـدـكـ عـالـمـاـ
 تـرـثـيـهـ قـطـ مـنـابـتـ وـبـنـاءـ
 وـإـذـاـ غـدـتـ تـرـثـيـ الـمـنـابـتـ وـالـبـُـنـيـ
 عـادـتـ كـأـخـرـسـ مـاـ تـرـىـ الشـُـعـرـاءـ
 وـإـذـاـ عـيـيـتـ عـنـ الرـثـاءـ وـلـمـ تـكـنـ
 بـالـعـيـيـ تـعـرـفـ مـقـولـيـ الـلـأـوـاءـ^(۳)
 فـكـذـاـ غـرـيـبـ الـفـخـلـ يـأـتـيـ نـأـيـهـ
 وـبـهـ لـكـلـ غـرـيـبـةـ إـدـنـاءـ

(۱) الذماء: الحركة وبقية النفس.

(۲) النشا: الصغير الذي ينشأ.

(۳) الاؤاء: الشدة وضيق المعيشة.

إِيَهِ أَعْبُدُ اللَّهَ قَلْ لِي هَلْ أَتَتْ
 عَنْ أَنْصَافِ سَمَعَكَ الْأَنْبَاءِ^(١)
 فَعَالَمْتَ أَنِي مِنْ نَوَّاكَ بِحَالَةٍ
 مِنْ مَثَاهِاتٍ تَمَثِّلُ الْأَسْوَاءَ
 مَا بَيْنَ أَحْزَانٍ إِذَا أَخْفَيْتَهَا
 أَضْحَى لَنَا بِدَمْوعٍ وَبِالْأَسَاءَ
 تَبَدُّو وَتَخْفَى بِالدَّمْوعِ وَبِالْأَسَاءَ
 هَذَا لِنَاسٍ تُرُوكَ جَلَاءَ
 فَكَانَنَا سَفْنُ لَنَا مِنْ حَالَنَا
 مَوْجٌ مُخْتَبَرٌ بِسَكُونَةِ نَكْبَاءِ^(٢)
 جَزَعَ تَمَشِّي مُوْغَلًا بِنَفْوسِنَا
 وَبِهَا تَمَهَّدُ سُبُّا هَا الْبُرَحَاءِ^(٣)
 حَتَّى غَدَ وَلَهُ عَلَى أَعْمَاقِهَا
 بِوَطَائِهَا وَغَطَائِهَا اسْتِيلَاءَ
 مِمَّا أَرَادَتْ كَبْتَهُ أَوْ طَرَدَهُ
 عَنِ الْأَسَاءِ وَأَعْانَهُنَّ حَجَاءَ
 غَضِيبَ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمَا مُسْتَبْقِيَا
 جَزِعًا لَهُ بِصَوَابِنَا إِلَوَاءِ^(٤)
 إِنْ كَانَ حَظُكَ مِنْ نَوَّاكَ سَعَادَةً
 فَنَحْسِبَ قَوْمَكَ مِنْ نَوَّاكَ شَقَاءَ
 فَاهْنَأْ أَبَا خَلْفَ بِمَنْزِلَكَ الَّذِي
 أَبْدَأَ يُجَلِّ جَانِبِيَهُ صَفَاءَ

(١) إِيَهِ: كَلْمَةُ اسْتِرَازَةٍ وَاسْتِنْطَاقٍ أَيْ زَدَنِي وَأَخْبَرَنِي.

(٢) النَّكْبَاءُ: كُلُّ رِيحٍ انْحَرَفَتْ وَوَقَعَتْ بَيْنَ رِيحَيْنِ وَهِيَ تَهْلِكُ الْمَالَ وَتَحْبِسُ الْقَطْرَ.

(٣) الْبُرَحَاءُ: الشَّدَّةُ وَالْمَشْقَةُ، وَخُصُّ بَهَا بَعْضُهُمْ شَدَّةُ الْحَمْىِ.

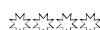
(٤) الْأَلْوَى بِالشَّيءِ إِلَوَاءُ: ذَهَبَ بِهِ.

فـهـنـاكـ لـا حـسـدـ وـلـا حـقـدـ وـلـا
 مـكـرـ وـلـا غـدـرـ وـلـا شـحـنـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا كـذـبـ وـلـا غـشـ وـلـا
 زـورـ وـلـا كـبـرـ وـلـا خـيـلـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا شـخـعـ وـلـا ذـو نـعـمـةـ
 عـنـهـا تـذـادـ بـجـوـعـهـاـ الـبـؤـسـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا تـاقـىـ وـدـادـاـ صـاحـبـهـ
 يـتـاـونـونـ فـكـاـهـمـ حـربـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا كـيدـ وـلـا ذـو حـيـلـةـ
 بـشـبـاكـهـاـ بـلـهـ الـورـىـ أـسـرـاءـ^(١)
 وـهـنـاكـ لـا جـبـنـ وـلـا ذـو صـوـلـةـ
 وـجـلـاـ تـحـبـابـيـ رـأـيـهـ الـآـرـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا ظـلـمـ وـلـا ذـو قـوـةـ
 مـنـهـ تـخـافـ السـطـوـةـ الـخـفـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا طـمـعـ وـلـا ذـو ثـرـوـةـ
 تـعـنـوـلـوـجـهـ ثـرـائـهـ الـبـسـطـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا أـغـرـاضـ تـمـنـعـ أـهـلـهاـ
 أـنـ يـنـصـرـواـ حـقـاـ وـلـا أـهـوـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا نـسـبـ بـهـ يـعـلـوـ الـفـتـىـ
 إـنـ خـانـهـ حـسـبـ وـلـا أـزـيـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا اـسـتـهـزـاءـ يـنـسـجـ ثـوـبـهـ
 إـلـمـامـ حـادـثـةـ وـلـا إـزـرـاءـ
 وـهـنـاكـ لـا بـؤـسـ تـشـيرـ رـيـاحـهـ
 تـهـمـاـ عـلـىـ الـعـافـيـ وـلـا خـرـاءـ^(٢)

(١) البـلـهـ: جـمـعـ الـأـبـلـهـ، وـهـوـ الـذـيـ لـاـ عـقـلـ لـهـ.

(٢) الـعـافـيـ: طـالـبـ الـمـعـرـوفـ.

وهناك لا حشرات في صور الورى
 مـنـهـنـ يـؤـذـيـ مـنـ طـقـ وـرـوـاءـ^(١)
 وهناك لا تـقـضـيـ الخـيـانـةـ أـنـ تـرـىـ
 ذـمـمـاـ تـدـاسـ كـأـنـهـنـ حـذـاءـ
 وهناك لا مـلـقـ وـلـاـ مـذـقـ وـلـاـ
 أـشـرـ وـلـاـ بـطـرـ وـلـاـ فـحـشـاءـ^(٢)
 تلك التي قد كنت تـمـقـتـهاـ وـمـنـ
 مـرـأـيـ نـوـيـهـاـ فـيـ الـأـنـامـ تـسـاءـ
 أـصـبـحـتـ تـأـمـنـ أـنـ تـرـاهـاـ مـرـةـ
 أـخـرـىـ فـمـنـهـنـ الـخـالـوـدـ خـلـاءـ
 مـاـثـمـ مـنـ كـدـرـ وـلـاـ عـكـرـ وـلـاـ
 عـيـشـ تـمـرـ بـصـفـوـهـ الـأـقـذـاءـ^(٣)
 فـاهـاـ وـطـبـ نـفـسـاـ فـقـدـ نـلـتـ الـتـيـ
 فـيـهـاـ يـحـفـ السـاكـنـينـ هـنـاءـ
 مـضـتـ الـلـيـالـيـ الـأـرـبـعـونـ وـكـلـهـاـ
 مـنـهـاـ الدـقـيقـةـ حـجـةـ شـهـبـاءـ^(٤)
 طـالـتـ فـمـاـ نـدـريـ أـضـلـتـ قـصـدـهـاـ
 فـغـدـتـ تـدـورـ كـأـنـهـاـ أـرـحـاءـ
 أـمـ أـنـهـاـ اـفـتـقـدـتـ عـلـاـكـ فـعـاقـهـاـ
 عـنـ سـيرـهـاـ فـيـ بـحـثـهـاـ اـسـتـقـحـاءـ
 أـمـ أـنـهـاـ عـلـمـتـ بـبـيـنـكـ فـاعـتـرـىـ



(١) الرواء: المنظر الحسن.

(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشر: البطر أو أشد البطر.

(٣) ثم: هناك. والأقذاء جمع قذى وهو ما يرعى به.

(٤) الحجة: السنة.

يَا مَنْ عَلَى جَزْعِي أَتَانِي لَأَنَّمَا
 إِنْ شَئْتَ بِي أَنْ تَجْدِي الْأَلْوَمَاءِ
 فَمُرِّ الشَّجَونَ يَدْعُنَ قَلْبِي إِنْ يَكُنْ
 مِنْهَا إِلَى قَوْلِ امْرَأٍ إِصْفَاءِ
 فَلَقَدْ غَدَامَا بَيْنَهَا وَكَانَهُ
 كُرَّةً تَنَاوِبُ قَذْفَهَا الْأَغْبَاءِ
 أَوْ لَا فَدَعْنِي جَازِعًا مَتَلَهَّفًا
 وَاهْبَ فَمَا لِأَنْوَمْ بِي إِجْدَاءِ
 فَلَقَأْمَا اَنْتَفَعْتُ بِكَحْلٍ - ذَرَّهُ
 فِيهَا الطَّبِيبُ - الْمَقَالَةُ الْعُمَيَاءُ
 يَا مَنْ إِلَى الْجَنَّاتِ سَارَعَ إِنَّا
 مَذْسَرَتُ فِي نَارِ الْأَسْيِ حَأْفَاءِ
 أَغْرَتْ بِنَانَارَ الْأَسْيِ مِنْكَ النَّوَى
 فَلَهَا بَنَاطْوَعَ النَّوَى إِيْرَاءُ^(١)
 خُطَّبَا وَأَشْعَارًا يَخَالُ كَلَامَنَا
 فِي مَثْلِ هَذِي الْحَفَّةِ الْجُهَلَاءِ
 وَكَلَامَنَا هَذَا الْعَمَرُ فَقِيدَنَا
 مِنْ حَرَّنَارِ شَجَونَنَا ضَوْضَاءِ
 يَا مَنْ بِمَنَاهِ التَّتَظَّلَ أَشْجَانُنَا
 أَيْتَاحِ يَوْمًا مَالِهَا إِطْفَاءِ
 أَمْ هَكَذَا نَبَقَى فَتَبَقَى تَشَتَّكِي
 لَفَحَاتِهَا الشَّعَرَاءُ وَالْخَطَباءُ
 إِنِّي عَهْدَتْكَ لَا تَجِيءُ بِغَيْرِ مَا
 مَنَهُ لَمْ ثَلِي فِي الْوَرَى سَرَّاءُ

(١) أورت إبراء: اتفقت.

فعلام جئتَ من الرحيل بما به
 عَمَّ الْقُلُوبَ مِنْ الْغَلَيلِ عَفَاءٌ
 ماذا أرابك والقلوب جمِيعُها
 لوداك المحضر الصريح وعاءٌ
 فرميَتْ عن قوس الفراق صميماًها
 بسهام حزن شأنها الإصماء
 ما كنت أحسب أن تَحُولَ لحادثٍ
 فتَحُولُّ مِنْكَ الْفَادَةُ الْحَسَنَاءُ
 هذِي الْكُوَيْتُ بِمَنْ بِهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
 نَشْوَى تَمِيدَ وَمَا بِهَا الصَّهَباءُ^(١)
 عَكَسَتْ بِنَا العَادُ الْجَمِيلُ يَدُ النَّوْى
 فَمِنْ الدَّوَاءِ بِهَا أَتَانَا الدَّاءُ^(٢)
 لَوْلَمْ تُنْرِ شَمْسُ الْخَصْحَى سُبْلَ الْوَرَى
 لَمْ تُشْكِنْهُمْ بِأَفْوَاهِهَا الظَّلَماءُ^(٣)
 لَوْلَمْ تَكُ الدَّائِمَاءُ مَحِيَا حَوْتَهَا
 مَا ضَارَهُ أَنْ تَنْخَبَ الدَّائِمَاءُ^(٤)
 فَازْهَبْ عَالِيكَ تَحِيَّةً مِنْ رَاحِلٍ
 بِكَتْ الْكُوَيْتُ رَحِيلَهُ جَمِيعَهُ
 فَبَكَاكَ مُصَلِّحُهَا ابْنُ عَيْسَى عَالِمًا
 أَنَّ الْبَكَاءَ عَلَى عُلَّاكَ وَفَاءُ^(٥)
 وَبَكَاكَ مَبْكَى يَوْسُفٍ أَهْلُ النَّهَى
 فَغَدَتْ تَعِيدَ صَدَاهِمَ الْدَّهَماءُ

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) العاد: جمع العادة.

(٣) لم تشکهم: لم تزل شکواهم ولم تعتبهم.

(٤) الدماء: البحر.

(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فَالْقَوْمُ عَنْ تَقَايِدِهِمْ أَوْ عَالَمٌ هُمْ
مَمَّا بِهِ يَبْكِونْ حُلُّ وَكَاءٌ^(١)
فَالدَّمْعُ تَنْثَرُ نَظَمَهُ أَجْفَانُهُمْ
وَالشِّعْرُ تَنْظِمُ نَثَرَهُ الْفَصَحَاءُ
فَكَائِنَكَ اسْتَوْدَعْتَ الْسَّنَةَ الْوَرَى
وَعَيْ وَنَهَمْ دُرًّا فَحَانَ أَدَاءُ

(١) الوكاء: كل سير أو خط يشدّ به فم السقاء أو الوعاء.

الحرمن يأبى الهوان

أتحب أن تلقي الإهانة مَرَّةً
آخرى كما حَقُّ المدير يشاء
لا خَيْر في رزقٍ تُصَادِف دونه
ما لا تطيق من الأذى وَتُسَاء
حتى الحياة إذا خلت من عِزَّةٍ
داءٌ لِـشَّالك والـحـمـام دـاء
ما الـحـرـ إلا من تَبَأَّتْ نـفـسـه
سَوْمـ الـهـوان فـهـل لـدـيـك إـباء
ولـأـعـذـرـ الـعـقـلـاء يـوـسـفـهـمـ إـذا
وـافـأـهـ عـذـرـكـ وـالـتـرـددـ دـاءـ(١)
أتـخـافـ غـيـرـ قـبـولـ عـذـرـكـ إـنـ قـضـيـ
بـقـبـولـهـ مـنـهـ عـالـيـهـ حـجـاءـ
أـيـرـدـ عـذـرـكـ عـاتـبـاـ أـوـ لـائـماـ
وـكـمـ اـعـالـمـتـ تـقـاهـ وـالـأـرـاءـ

10

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الشعالبي^(١)

أكذا يكون تواضع الكبارِ
وتلطفُ العلماء بالشعراء
كلاً ولكن التواضع شيءٌ
لزعيم تونس نذرة الزعماء
وافتت بالتبريك في العيد امرأً
خلع القضاة عليه ثوب شقاء
فأريته وجة السرور وطالما
سترتْه عنه سواتر الأدواء^(٢)
أنى يرى وجه المأسرة بارزاً
من لم يزل من أئس البوءاء^(٣)
يشك وطواه معلناً لكن إلى
أدنٍ - عن الشاكي الطوى - صماء^(٤)
قلب الكويت من الشراسة مفعّم
لكن على مثالي من الأدباء
الناصحين المخلصين بنصحهم
النابذين خداعها الصراحاء

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الشعالبي ورأى من تواضعه ما أujeبه.

(٢) الأدواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٣) أنى يرى: كيف يرى.

(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسِلُ الصِّيحَاتِ فِيهَا مِنْذِرًا
 مِنْ قَسْوَةٍ طَالَتْ عَلَى النُّصَحَاءِ
 فَتَعِيرُ سَمَعِيهَا صِيَاحِي عَلَيْهَا
 تُلْفِي بِذَاكْ مُبَرِّأً إِقْصَائِي
 أَمَا إِلَى اتَّخِذُوا الدَّهَانَ شَعَارَهُمْ
 فِيهَا فَمَا زَالُوا مِنَ السُّعَادِ^(١)
 تَهْنُوْ وَهْنُوْ الْأَمْهَاتِ عَلَيْهِمْ
 وَهُمْ إِلَيْهَا طُرْقُ كُلُّ بَلَاءٍ
 وَتَرِي تَقْدِمُهَا - وَهَذَا شَانُهَا
 مَعَ أَهْلِهَا - مَنْ مُمْكِنُ الْأَشْيَاءِ
 فَأَظْلَلُ فِيهَا ضَاحِكًا مِنْ رَأْيِهَا
 ضَحِكًا يَقْطُعُهُ مَرِيرُ بَكَائِي
 قَدْ عَزَّزَنِي فِيهَا الْبَلَاغُ لِأَنِّي
 مَا شِبْتُ إِخْلَاصِي لِهَا بِرِيَاءَ^(٢)
 مِنْ لَيْ بِهَا بَلَدًا إِذَا اسْتَوْطَنْتُهُ
 أَحْرَزْتُ فِيهِ مُسْكَنَةَ الْحَوْبَاءِ^(٣)
 مَا الرَّأِيُّ يَا «عَبْدَالْعَزِيز» فَفَاقَتِي
 فِي لِيَاهَا عَنِي اخْتَفَتْ أَرَائِي
 أَرْنِي طَرِيقًا لِلتَّخْلُصِ مُفْضِيًا
 مِنْ حَالَةٍ فِي مُوْطَنِي نِكَراءٍ
 مَاذَا تَرِي غَيْرَ الرَّحِيلِ فَقَدْ أَبَى
 هَذَا عَلَيْهِ ثَقِيلُ قِيدِ عَمَائِي

(١) الدهان: بمعنى المداهنة وقد ورد داهنتي مداهنة وهي اظهار خلاف ما يضم، هذا ومصدر فاعل الفعال والمفاعة.

(٢) عزني: غلبني وقهري.

(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحوباء: النفس.

كن لي برأيك منقذًا فالرأي قد
 يكفي لتخاليف من البرحاء^(١)
 أو لا فسأله وعذرًا مني أرملًا
 فجعاته شقة وته بكل عزاء
 فقد تكون التعزيات مريحة
 من لم يجد في العيش غير عناء
 لا سيئ ما وزعيم تونس ناظم
 منها النثير بحكمة ودهاء

(١) البرحاء: الشدة والمشقة أو شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجهل داء الشّعر عندي وحده
والعلم في رأيي أجل دوائي
فالشعب من مالِ عقلِ لم يكن
خالقاً ولا من حزمه وذكائه
لكن من العلم الذي هو نوره
في سُبلِ مَحْيَاه إلى عالياته
وإذا البصیر عداه نور في الدجى
حاکي البصیر العمی في ظلمائه
فأهب بشعبك لـ العلوم فإنه
يحظى على ما أرتئي بشفائه
الشعب عاًلة افتراق مهلاً
والإتحاد لدى خير دوائه
لكن إذا بنتِ الولام يدُ الحجا
وبني الحجاء العلم من علمائه
فالعلم عند اللب يزكي و والنھي
كل اتحاد راق من إنسانٍ^(١)
فالعلم أصلُ الخير في أصحابه
والجهل أصل الشر في أسرائِه

(١) النھي: العقول، جمع نھية.

الأجئوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

لِيَأْمُنْ لَذْعَ هَجْوِيَّ كُلُّ قَاصٍِ
وَدَانٌ فِي الْوَرِيِّ مِنْهُمَا أَسَاءَ
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَحَقَّ شَيْءٍ
بِالْغَاءِ مِنِ الشِّعْرِ الْهَجَاءِ
لِعَقْلِي رَاضٌ طَبَعِي الشَّيْبُ حَتَّى
إِلَى إِذْعَانِهِ رَدَّ الْإِبَاءَ
فَطَبَعِي طَوْعَ عَقْلِي مِنْذَ أَبْدَتُ
بِظَهْرِي بِسْطَةُ الْعُمْرِ انْحَنَاءَ
وَشَيْبُكَ نَعْمَةٌ إِنْ فِيهِ لَبَّيْ
لِعَقْلِكَ جَامِعُ الْطَّبَعِ النَّدَاءَ
فَمِنْذَ كَبَرْتُ دَاعِي الْهَجَوِ الْأَفَى
سَرَاعَ قَصَائِدِي عَنْهُ بَطَاءَ
وَكَانَ الْعَقْلُ يَنْهَا عَنْهُ قَبْلًا
وَلَيْسَ يَرَى مِنِ الْطَّبَعِ انتِهَاءَ
فَهَلْ قَوْيَ الْمَشَيْبُ الْعَقْلُ أَمْ هَلْ
بِهِ لَبَسَتْ قُوَى الْطَّبَعِ انْحَنَاءَ
مـ مـ مـ مـ
وَأَمَا مَا نَطَقْتُ بِهِ قَدِيمًا
لِأَجْزِي مِنْ تَمَنِّي لِي الشَّقَاءَ

فَمِنْهُ أَمْتُ مَا مَحْيَاهُ يُثْنِي
 مِنْ الْمَهْجُولِ الْكَدْرِ الصَّفَاءَ
 فَأَبْقَيْتُ الَّذِي لَا بَأْسَ فِيهِ
 عَلَيْهِ حَسْبَ مَالِيْ قَدْ تَرَاهِي
 وَإِنْ يَوْجُعْ فَإِيْجَاعُ خَفِيفُ
 كَمَا اسْتَذَكَرْتَ بَعْدَ الْبُرْءَادَاءِ
 وَإِتَالِفُ الْجَمِيعِ عَلَيْهِ أَشْهِي
 فَلَيْتَ جَمِيعَهُ وَلَيْ جُفَاءَ^(١)
 فَأَسْتَ أَحْبَ ذَكْرَاهُ وَلَكِنْ
 سُوَى مَا شَئْتُهُ التَّارِيْخُ شَاءَ
 وَلَمْ أَنْظِمْهُ حَتَّى الْجَوْنِي
 إِلَى نَظَمِيْهِ ظَلَمًا وَاعْتِدَاءَ
 وَسُقْمُ الْمَرْءِ يُلَزِّمُهُ أَنِيْنَا
 عَلَى حَسْبِ التَّأْدِيِّ وَاشْتَكَاءَ
 وَقَدْ يَهْذِي الْمَرِيضَ وَأَيْ حُرُّ
 تَرَاهُ مَنْكَرًا مِنْهُ الْهُذَا
 أَسَاعُوا فِي مَعَامِلَتِي إِلَى أَنْ
 عَصَيْتُ بِهِ ضَمِيرِيِّ وَالْحَجَاءَ
 وَلَمْ أَنْطَقْهُ مَفْتَرِيَا وَلَكِنْ
 هُمَا كَرِهَا صَدَقَا وَافْتَرَا
 وَلَمْ أَفْحَشْ عَلَى أَحَدٍ بِهِ جَوِيِّ
 وَلَوْ أَدْنَتْ يَدَاهُ لِي الْثَّوَاءَ^(٢)
 فَهُجْرُ الْقَوْلِ يَنْكِرُهُ وَيُولِي
 إِلَيْهِ الْهَجْرَ طَبْعِيِّ وَالصَّفَاءَ

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.

(٢) الثواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أين سج منطقى منه غشاء
له جو الأعادي أو رداء
ونفسي منه تالم ما أحست
لأيسره إلى سمعي ارتقاء
ولم تول التفاتتها احتقاراً
فتى يهذى بفحش، وازدراه
أنطق ما أخفيق بناطقه
كم جمع الجهمة والغباء
يعد سماعه سمعي بغيضاً
لا يلقى إذا سمع الغناء
فاوخيت في صممي وفيه
رأيت عليه لاصمم اصطفاء
فشعرى منذ قلت الشعر طفلاً
برئا كان من فحشي خلاء
ويوجع من هجوت على اجتنابي
به الإفحاش صوناً واعتلاء
ولم أصدِم به يوماً مسوى من
أبوا إلا مصادمتى التواء
دفعاً لا هجوًاما كان كي ما
أعيده به التواهم استواء
أبت لي غير قول المهجوفيها
أناسُ أوسعوا نفسي عناء
ومن تحرجه تخرجه ولو لم
يرقصه أن ينناصبك العداء
لزمت رجاء كف الشر حتى
ئنوا مني إلى اليأس الرجاء

فلَيْتَ الْكُلُّ مِنْهُمْ مِنْ مُثِيرِي
 عَلَيْهِ مِنْ مُسَاعِيْهِ ثَنَاءٌ
 فَكَانَ الْكُلُّ مِنْ مُسْتَرِيْهَا
 مَدِيْ الْحَيَاةِ خَتَامًا وَابْتِداءً
 بِلَاءُ حَيَاةِنَا يَكُونُ فِي فَمَالِي
 أَرَى الْمَؤْذِنَ زَادَهُ سَبَابَلَاءَ
 صَوَابُ الرَّأْيِ فِي أَنْ لَا يَخْسِفُوا
 لَنَارَ بَلَائِهَا إِلَّا انْطِفَاءً
 وَقَدْ خَفِيَ الصَّوَابُ عَلَى نُهَاهِمْ
 فَبَرَّحَ عَنْهُ يَا رَبِّيَ الْخَفَاءَ
 وَصَيَّرَ عَفْوَكَ الْمَرْجُورَ عَنْهُمْ
 عَلَى مَاضِي أَذِيْتَهُمْ جَزَاءَ
 فَأَكْرَهُ مَا كَرِهْتُ عَذَابَ غَيْرِيِ
 لِأَجْلِي مَا أَتَى ضَدِي وَجَاءَ

* * * * *

عَجَبَتُ لِعَاشِقٍ تَنْغِيْصَ عَيْشِيِ
 وَلَمْ أَعْشُقْ لَهِ إِلَّا إِلَهَنَاءَ
 فَكُمْ رَجُلٌ - وَلَمْ أَذْنَبْ - أَرْتَنِي
 مَسَاعِيْهِ مَسَاءَتِي وَلَاءَ
 كَأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي مُسْكِنِي خِطَاطِيِ
 إِذَا كَثُرَتْ لَأْنَفِسِهِمْ رِضَاءَ
 وَأَعْرَفُ سِرَّ مَا يَأْتِيَهُ مَؤْذِنِيِ
 فَيَأْبَى عَنْصَرِي عَنْهُ اِنْتِمامَهُ
 فَخُلُفُ الْعَنْصَرِينَ الْيَوْمَ دَاءُ
 تَخَيَّبٌ إِذَا طَافَتْ لَهُ دَوَاءَ

وأجهل سرّ مقتٍ عنه كانت
 أذاء لا أطيق لها لقاء
 رمت عن قوسها قلبي بنبلٍ
 جروح شبيهها تأبى الشفاء
 مساعي معاشرِ والكل منا
 بنسـ بته إلى قحطان فاء
 وأقتلُ من رماك أخْ تمتنى
 له أنت السعادة والبقاء
 فلم أر كالآذية من قريبٍ
 رعـيت له قرابـته وفـاء
 فـمزدوج بـقاـبي كل جـرحـ
 به من يـعـربـي الأصل بـاء
 لأنـ السـهمـ منهـ إـليـ فـيهـ
 لهـ شـرـكـ فـيـةـ تـاـ نـاسـوـاءـ
 فـإنـ أـبـكـىـ أـذـاهـ عـلـيـ عـيـنيـ
 رـأـيـتـ لـهـ اـعـالـيـهـ مـعـيـ بـكـاءـ

الكويت وبغداد^(١)

حَسِدْتُ بِكَ الزُّورَاءِ غَيْرَ مَلُومَةٌ
أَرْضُ بَثَثَتِ الْعِلْمَ فِي أَبْنَائِهَا^(٢)
عَجْلٌ مَابَكَ لِـالْكُوَيْتِ مَبَارِدًا
أَنْ يَفْتَكَ التَّحْسِيدُ فِي أَحْشَائِهَا
حَسِدْتُ وَقَدْ عَالَمْتُ بِأَنَّكَ رَائِرُ
دارَ السَّلَامِ الْيَوْمَ مِنْ جَرَائِهَا
وَتَحَاسُدُ الْبَلْدَانِ دَاءُ مَعْضُلٌ
مَذْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى عَلَمَائِهَا
يَا مَنْ بِهِ ارْتَقَتِ الْكُوَيْتُ إِلَى الْعِلَا
حَتَّىٰمَ أَنْتَ تَكُونُ فِي إِعْلَائِهَا
اسْتَبَقْ مَهْجَتَكَ الْكَرِيمَةِ إِنَّا
فِي حَاجَةٍ كَبِيرَىٰ إِلَى اسْتَبْقَائِهَا
إِنْ كُنْتَ تَكَدُّحُ لِـالْمَعَالِيِّ فَاتَّئِدُ
فَلَقَدْ سَكَنَتِ الْيَوْمَ فِي حُبَّائِهَا^(٣)
أَبْرَزَتْ تَارِيخَ الْكُوَيْتِ يَمِيسَ فِي
حَلَلَ الصَّرَاحَةِ حَالِيًّا بِحَلَائِهَا
لَمْ تَخْشِ لَوْمَةَ لَانْتِمِيكَ مَصْرُحًا
فَظَفَرَتْ مِنْ أَحْرَارِهَا بِثَنَائِهَا
أَبْدَيْتَ كُلَّ حَقْيَقَةٍ فِيهِ كَمَا
كَانَتْ وَمَا دَأَلْسَتَ فِي إِبْدَائِهَا

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.

(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهذا يراد بها بغداد.

فأُثْبِتْ عَلَى نَشْرِ الْحَقَائِقِ عَالِمًا
أَنَّ الْحَقَائِقَ أَنْتَ مِنْ أَمَانَهَا

أَمَانَوْكَ فَأَشَعَّتِ فِي أَصْلَاعِي
نَارًا إِلَيْكَ الرَّأْيُ فِي إِطْفَائِهَا
أَشْرَوْتُ نَجِيَّثَ الْبَيْنِ أَسْهَمُ سَلَوةٍ
لَوْلَا نَوَّاكَ عَجَبْتُ مِنْ إِشْوَائِهَا^(١)
مَذْ أَسْهَمُ الْجَزَعَ الْمَيَّاتَ اِنْشَنَتِ
مُفْتَرَّةً بِحَشَائِي مِنْ إِصْمَائِهَا
إِحْيَاءً نَفْسِي عَنْ لَقَائِكَ نَاشِيُّ
قَلْ لَيْ أَتْسَلُو النَّفْسُ عَنْ إِحْيَائِهَا
تُصْبِي إِلَيْكَ النَّفْسَ فِي كَلَائِقُ
لَمْ تُنْجِحْ حَتَّى الْعُمَى مِنْ إِصْبَائِهَا
فَالشَّمْسُ تَسْبِحُ فِي السَّمَاءِ مُخْيَّةً
رَأَدَ الضَّحْى بِالْتِمْ مِنْ أَخْوَائِهَا^(٢)
كَلَّا وَلَا تَصْفُو قَرِيحَةً شَاعِرٍ
هَبْ أَنَّهُ «حَسَانٌ» مِثْل صَفَائِهَا^(٣)
عِشْ وَابْقَ مُحَمَّدُ الْخَلَائِقَ أَمَنًا
أَنْ تَنْثَرَ الْأَيَّامُ نَظَمَ بِهَائِهَا^(٤)

(١) الشوى: البدان والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماد فاشواه، إشواه: أصاب شواه ولم يصب مقتله. والنجبث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتقاءه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روى عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يتبتها ولم تأت في الديوان.

دنيانا سراب

يَجِدُّ خَصَامُهُمْ فِيهَا سَفَاهًا
وَتَسْمَعُ كَالذِئَابَ لَهُمْ عُواَءَ
وَمَا أَنْفَكَتْ لِيَالِيهِمْ تَرِيهِمْ
مَكَارَهُ صُنْعُهَا بِهِمْ وَلَاءَ
فَمَا جَفَّتْ جَفْونُ الْحَيٌّ مِنْهُمْ
عَلَى مَوْتِي أَحْبَبْتِهِ بَكَاءَ
وَيَنْسَسِي أَنَّهُ لَا بُدَّ ماضِ
عَلَى الْأَثَارِ صَبَحًا أَوْ مَسَاءَ
فَتَالَقَى صُنْعَهُ فِيهَا نَهَارًا
وَلِيلًا صَنَعَ مِنْ أَمْنِ الْفَنَاءِ
يَوَالِدُ لَا تَكُُنُّ مِنْ جَنَاهَا
تَوَارُثَ مِنْ نَوْيِ فِيهَا الْثَّوَاءَ
فَيَنْعَكِسُ الْمَرَامُ عَلَيْهِ حَتَّى
يَرَى مُنْسَاغًَ أَنْعُمْهَا شَجَاءَ
وَيُقْتَلُ نَفْسَهُ مِنْ حَيْثُ يَبْغِي
زِيادَتِهَا مِنَ الْحَيَاةِ عَنَاءَ
وَلَمْ تَبْرُجْ مَطَامِعُ كُلِّ نَفْسٍ
تَزِيدَ بَلَاءَ مَحِيَا هَا بَلَاءَ
وَهُلْ غَيْرُ الْمَطَامِعِ لِلْبَرَايَا
مَنَاهُلُ وَرِدِهَا يُرْدِي الظَّمَاءَ

فَلَوْهُجِرُوا الْمَطَامِعَ لَمْ تُشَاهِدْ
 لِبَعْضِهِمْ عَلَى الْبَعْضِ اعْتِدَاء
 وَلَمْ يَعْرِفْ بِنَوِ الإِنْسَانِ هَرَّاً
 لِرَمْحٍ أَوْ لِصَارِمٍ انتِخَاء
 فَلَا طَعْنُ وَلَا ضَرْبٌ عَلَيْهِمْ
 يَجْرِّانِ الإِبَادَةَ وَالْعِفَاءَ
 وَعَاشُوا إِخْرَوْا لَا سَعِيٌ إِلَّا
 إِلَى مَحْضِ الْمِبْرَأَةِ أَصْدِقَاءَ
 مُجَافِينِ الْخِيَانَةِ وَالْتَّعَادِيِّ
 مُصَافِينِ الْمَوْدَةِ وَالْوَفَاءِ
 وَلَوْكَانُوا كَذَلِكَ لَا سُتُّطَابُوا
 ضُحْىَ الْحَيَا وَلَا ذَمَّوا الْعِشَاءَ
 فَلَمْ تُفْجَعْ بِرَاحْتَهَا نُفُوسُ
 تَمَنَّتْ مِنْ مَتَاعِبِهَا الثَّوَاءَ
 وَلَا أَخْدَتْ مَا خَذَهَا شَجَونُ
 وَأَكْدَارُ طَوْتُ عَنْهَا الصَّفَاءَ
 وَلَكِنْ لَمْ تَدْعُ لَهُمْ صَوَابًا
 مَطَامِعَ قَدْ أَبْتَ إِلَى النَّمَاءَ
 قَوْيُّهُمْ عَلَى ذِي الْخُفْفِ يَرْجُو
 لَهِ يَاتِهِ الْمَدْمَرَةِ انْطَلَاءَ
 فَإِنْ تَمَتْ فَذَلِكَ مَا رَجَاهَ
 وَإِنْ فَشَلتْ يَكَاشِفُهُ الْعَدَاءَ
 فَتَذَكُّرُ نَارُ حَرْبِهِمْ لِتَلَقَّى
 بِهَا أَنْوَارُ عِيشَهُمْ انْطَفَاءَ

يدوس الناس هام الناس سعيًا
 وراء فخول دنياهم غباء
 أحْرَصُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا لِيَمْضُوا
 بِهِ عَنْهَا سَرَاعًا لَا بِطَاءٍ
 يخِيلُ حِرْصُهُمْ إِنْ لَمْ يُجَنِّثُوا
 لَهَا حَبَّاً شَدِيدًا بَلْ قِلَاءٍ
 كَأَنَّ النَّاسَ مِنْهَا قَدْ أَرَادُوا
 تَخْأُلَهُمْ مَلَالًا وَاجْتَوَاهُ
 أَمَا عَلِمُوا بِأَنَّ الْحِرْصَ دَاءٌ
 وَلَيْسَ سُوئِ الْقَنْوَعَ لَهُ دَوَاءٌ
 فَمَا لِي لَا أَرَى لَهُمْ إِلَيْهِ
 - وَقَدْ وَضَحَتْ مَعَالِمُهُ - اهتَدَاءٌ
 وَلَوْقَنُوا اسْتِرَاحَ الْكُلْ مِنْهُمْ
 وَفَاتُوا مَا يَسِّرُهُمْ وَسَاءٌ
 تَخَاصِصُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا شَدِيدٌ
 مَدِيدٌ لَا أَظْنَ لَهُ انتِهَاءٌ
 إِلَى أَنْ تُنْهِيَ الْحَيَاةُ وَغَاهُمْ
 كَمَا مِنْهُمْ لِعَيْنِ الْحِرْصِ شَاءَ
 قَدْ افْتَتَنُوا بِهَا إِذْ لَمْ يَشِيمُوا
 لَهَا كَنْهَا كَمَا شَامُوا الرُّؤَاءَ^(١)
 وَلَوْسَأُوا الْحِجَاءُ عَنْهَا وَأَجْلَى
 لَهُمْ عَنْ كَنْهِهَا الْخَافِي الْغَشَاءَ
 لِعَزْكَ أَنْ تَرَى أَحَدًا يَبْالِي
 لَهَا هَدْمًا يُتَّبِحُ وَلَا بَنَاءٌ

(١) الرواء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصاماً قطُّ فيما
 يراه العقلُ ألاً أو هباء^(١)
 وأصبح زهدهم فيها بديلاً
 لعشقٍ بينهم يُجري الدماء

ترى زيداً كعمرٍ عن غرامٍ
 بها يبدي احتفالاً واحتفاء
 يَوْدُّ بها انفراداً عنك حتى
 أخوك الشقيق ناسياً الإخاء
 يظل الكل منها مستزيداً
 ولو فات الثرى عَدَّاً ثراء
 ويمضي صَبْها عنها ولما
 يُصِبُّ إلا كمساءً أو غذاء
 ويترك كل ما منها تأتى
 لديه سواهما قسراً وراء
 ولو بهما اكتفى كل لاضحى
 وأمسى الكل يحمدُ الاكتفاء
 فليس إلى السلام سواه دربٌ
 به السُّلُكُ يَا قُون الإواء^(٢)

جحيم الحرب، لوعة البرايا
 قنوعٌ ما شَكَوا منها التِّظاء
 ونال الكل ما يحتاج مما
 عليه تَشَكُّر الأرض السماء

(١) الأل: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.

(٢) أوى: يأوي، أويأ، وأواه، عاذ ولجا.

فَخِيرُ الْأَرْضِ يَكُفِيْهُمْ وَيَثْنِي
 إِذَا قَنَعُوا تَعَادِيْهُمْ وَلَاءٌ
 وَلَكِنْ أَغْرَىتِ الْأَطْمَاعُ بَعْضًا
 تُجَاهُ الْبَعْضِ فَاحْتَكُرُوا الرُّخَاءَ
 وَكَانَتْ مِنْذَ أَزْمَانٍ كَمَا قَدْ
 عَلِمْنَا هِيَ قِينًا لَا افْتَرَاءَ
 تَصِيْحٌ - أَنْ اقْنَعُو بَهُمْ - فَهَاهُمْ
 لَتَسْتَبْقُوا مَعَ الْحَيَا الْحَيَا
 فَمَا غَيَّرَ الْقُنُونَعَ بِهِ تَلَاقِي
 حَرُوبُكُمْ - إِذَا عَمَّ - انْقَضَاءَ
 وَتَدْعُوهُمْ ضَمَائِرَهُمْ إِلَيْهِ
 فَمَا سَمِعُوا الصِيَاحَ وَلَا الدُعَاءَ
 فَمَنْ حَرَبَ تُبَرُّحُ - عَنْ فَنَونٍ
 مِنَ الْإِفْنَاءِ بَيْنَهُمْ - الْخَفَاءَ
 إِلَى أَخْرَى أَشَدُّ كَمَا اقْتَضَاهِ
 لَهُمْ حَرَصٌ أَضَأَهُمْ سَوَاءَ
 أَمْنَ حِيَثُ السَّقَامُ يُمْيِتُ تَغْدوَ
 مِرَاضُ الْحَرَصِ تَلْتَمِسُ الشَّقَاءَ
 هُمْ مِنْ دَهْرِهِمْ أَبْدًا بِحَرَبٍ
 تَعْذَرُ أَنْ يَرَوْا مِنْهَا احْتِمَاءَ
 فَلِمْ زَادُوا عَلَيْهَا كَلَّ مَفْنِ
 نَفْوُهُمْ اخْتِيَارًا وَاشْتَهَاءَ
 تَأْمَلُ سَاسَةُ الدُّنْيَا أَرْضَتُ
 سِيَاسَتَهُمْ ضَمِيرًا أوْ حَجَاءَ
 وَغَيْرَ النَّفِيِّ لَا يُلْقِي جَوَابًا
 لَسَانَكَ حَسْبُ مَا لَيْ قَدْ تَرَاءَى

فَمِلْ عَنْهُمْ وَخَبِّرُونَ شُعُوبٍ
 أَنَالُوا السَّاسَةَ الْحُمُقَ احتفاء
 وكيف تخَيَّرُوا نَفَرًا تنافي
 سياستهم لجنسهم البقاء
 رجاء زِيادةِ الأَمْلَاكِ حَتَّى
 لأشبه سائسيه الكل داء
 وهل يسوى اردياد الملك بشري
 بصرى تملأ الأرض الفخاء
 أعنهم تفتدي الأسلاب مهما
 غَلَّتْ ثَمَنَ السَّالِبَةَا عَزَاء
 وتطمع نفسيه في أن تلاقي
 - وقد ذهبت أعزته - هنا
 تسويمهم المطامع كل شر
 ولم يرمطمع من لهم إباء
 بني الدنيا القناعه لا سوهاها
 لعين حياتكم تغدو جلاء
 وأقدار المطامع معتميات
 وكم منهن قد لقيت قذاء
 وإن لم تقنعوا طرآً أعدتم
 عليكم ظلمةً منها الضياء



 سَرَابٌ مَا عَلَيْهِ غَدَا التَّفَانِي
 يَزِيدُ سِيَوْفَهُ فِي كُمْ مَضَاء
 كَذَاكَ رَأَتْ حَقِيقَتَهَا أَنَاسُ
 لَهُمْ عَنْهَا الْحِجَاجُ كَشَفَ الْغَطَاء

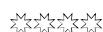
أَجْلُ وَاللَّهِ دُنْيَا نَا سَرَابٌ
 وَمَخْدُوعُونَ مِنْ حَسَبٍ وَهُوَ مَاء
 مَحَالٌ أَنْ تَرِى مِنْهُ الصَّوَادِي
 - وَإِنْ خَالَتْهُ يُرَوِّيْهَا - ارْتَوَاء
 سَوَاءٌ مِنْ بَهْ غَاصِبُوا وَمِنْ هُمْ
 عَلَى أَطْرَافِهِ وَقَفُوا اجْتِزَاء

إنها الدنيا^(١)

أبا عيسى أراك أَجَلًّا من أن
يُسْوِقَ إِلَيْكَ أَمْثَالِي الْعَزَاءَ
وَكَيْفَ أَسْوِقُ تَعْزِيزِي إِلَى مَنْ
لَا دَوَاءَ لِعِقْدَتِي غَدَا شَفَاءَ
يُرِينَا أَوْجَهَ الْحِكْمَ الْلَّوَاتِي
سَنَاهَا قَدْهَى الْقَوْمَ السَّنَاءَ
مَتَى اسْتَعْرَضْتُ سِيرَتَهُ أَجْدَهَا
كِتَابًا يَجْمِعُ الْحِكْمَ الْوِضَاءَ
وَلَمْ أَبْرُجْ أَرَاهُ خَيْرَ حُرْ
يَرِى الدُّنْيَا وَرِبْرَجَهَا هَبَاءَ
لَذَالِمِ تَالِفَهُ إِلَّا مُجَدَّاً
لَالَّهِ فِيهِ يَرِى رَضَاءَ
وَهَلْ يَغْتَرُ شَرَوَاهُ بِدُنْيَا
أَبْتَ إِلَّا مَعَ الْكَدْرِ الصَّفَاءَ^(٢)
وَلَمْ تُخْرِجْ بَنِيهَا قَطُّ إِلَّا
أَعَادَتْ بَعْدَ ضَحْكِهِمُ الْبَكَاءَ
يَفْتَشُ عَنْ سَعَادَتِهَا ذُوْهَا
وَقَدْ خَبَأْتُ لَهُمْ فِيهَا الشَّقَاءَ
كَمَا خَبَأْتُ لِلَّامِسَهَا الْأَفَاعِيَ
خَلَلْ لِيَانَهَا الدَّاءَ الْعَيَاءَ

(١) قالها معاذياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.
(٢) شروي النسيء: مثله.

نَهْرُولُ خَلْفِ رَاحْتَهَا وَنَجْرِي
 وَرَاحْتَهَا لَنَا تَلِدُ الْعَنَاء
 وَمَنْ يَنْظَرْ بَعْنَى الْعُقْلِ مَنْ
 حَقِيقَتَهَا وَيَجْتَنِبُ الطَّلَاء
 فَيَبْصُرُ مَا طَلَّتْ لَهُ جَلِيلًا
 بِهَا يَرْدُدُ إِلَى الرُّخْصِ الْغَلَاء
 وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا عَمَلًا سَوْيَ مَا
 بِهِ يَرْجُو لَدِي اللَّهِ الْجَزَاء
 فَإِنْ يَكْ أَحْمَدُ الْمُحَمَّدُ أَوْدِي
 فَمُمْوَدٌ كُلُّ مَنْ فِيهَا سَوَاء
 فِي أَرْحَمَاتِ خَالِقِنَا سَعِيَهِ
 وَزِيَدي يَوْسَفًا فِينَا بَقَاءُ
 فَإِنْ بَقَاءُهُ فِينَا بَقَاءُ
 لَمَأْرِضِي الْمَهِيمَنَ وَالْحِجَاءُ
 مَثَالُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِينَا
 وَهَادِي نَا إِلَيْهِنَ احْتِذَاءُ
 مَؤْسِسُ كُلِّ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ
 مَعَارِفُنَا وَرَافِعُهُ بَنَاءُ
 وَغَارِسُ كُلِّ مَا يَجْنِي نُهَانَا
 مِنَ الثَّمَرَاتِ أَنْفَعُهَا غَذَاءُ
 وَرَبُّ خَصُومَةٍ خَشْنَتْ مَجْسَأً
 شَنَاهَا لَطْفُ حَكْمَتِهِ إِخَاءُ
 مَزاِيَا بَعْضُهَا تَلِكَ الْلَّوَاتِي
 تَحْلُّ بِذَاتِ صَاحِبِهَا السَّمَاءُ
 إِذَا ذُكِرَتْ عَلَيْهِ الْكُلُّ أَشْنَى
 وَإِنْ هَوْلَمْ يُرْدِ مَنَا الثَّنَاءُ



أَيُوسْفُ إِنَّهَا الدُّنْيَا وَإِنِّي
كَغِيرِي قَدْ شُغِّلْتُ بِهَا ابْتِدَاء
فَلَمَّا أَنْ سَبَرَتُ الْغُورَ مِنْهَا
وَبَرَّحَ لِي تَأْمُلُهَا الْخَفَاءُ^(١)
رَجَعْتُ وَكُلُّ مَا شَاهَدْتُ يُثْنِي
إِلَى النَّقْصَانِ مِنْ شَغْفِي النَّمَاءِ
إِلَى أَنْ مَحَّ فِي قَلْبِي هَوَاهَا
وَلَاقَتْ نَارُ فَتَنَتْهَا انْطِفَاءُ^(٢)
وَصَرَّتْ كَكُلٌّ حُرًّا لَا يُبَالِي
تَقَاءُ أَبَاهَا صَدُودًا أَوْ لَقَاءُ
وَلَمْ يُفْرِحْهُ أَوْ يُحْزِنْهُ فِيهَا
مُلْمِمُ الْخَاطِبِ أَحْسَنَ أَوْ أَسَاءَ
وَأَنْتَ بِكُنْهِ مَا أَخْفَتْ وَأَبْدَتْ
أَتَمُ الْقَوْمُ خُبْرًا وَاجْتَلَاءُ
لِذَا فِي وَصْفِهَا أَوْجَرْتُ قَوْلًا
إِلَى سَمْعِيْكَ قَدْ رَامَ ارْتِقاءُ
وَلَوْلَا جَارِيَاتُ الْعَادِ عُدَّتْ
مُخَاطِبِي لِشَرَواكَ اجْتِراءَ
وَكَيْفَ يَزِيدُ شَمْسُ الظَّهَرِ مِثْلِي
خَيْرًا أَوْ يَزِيدُ الْبَحْرَ مَاءَ

* * * *

(١) سَبَرَهُ: استخرج كنهه؛ وَسَبَرَ الْجَرْحَ نَظَرَ مَقْدَارِهِ وَقَاسَهُ لِيُعْرَفُ غُورُهُ.

(٢) مَحَّ: أَخْلَقَ وَبَلَّى. وَفِي أَحَدِ الدَّفَاتِرِ رُوِيَ صَدْرُ الْبَيْتِ (إِلَى أَنْ مَاتَ فِي قَلْبِي هَوَاهَا).

غَلَاءُ وَعِلاجُهُ^(١)

غَلَاءُ أَهْلَكَ الْفَقَرَاءَ جَوْعًا
وَعُرِيَّا، أَهْلَكَ الْلَّهُ الْغَلَاءَ
وَزَادَ الْأَغْنِيَاءَ غَنَّى وَيُبْسَأً
كَمَا زَادَ الْحَصَى الْمَنْقُوعَ مَاءَ
فَلَسْتَ تَرَى غَنِيًّا عَنْ فَقِيرٍ
يَخْفَفُ مَحْسَنًا هَذَا الْبَلَاءُ
وَكَانَ الْحَظَالَمُثْرِينَ فِي أَنَّ
يُوَاسِّوا الْيَوْمَ مِنْ حُرْمَوْا التَّرَاءُ
وَلَكِنَ الطَّبَاعَ دَعَتْ فَأَصْفَوْا
إِلَيْهَا مَسْتَجِيْبَيْنَ الدُّعَاءِ
وَطَبَعُ الْمَرْءَ يَدْعُوهُ إِلَى مَا
يَزِيدُ عَمَاءَ الْمُرْدِي عَمَاءَ
وَنَادَتْهُمْ إِلَى مَا الْخَيْرُ فِيهِ
عَقْوَلَهُمْ فَمَا لَبَّوْا نَدَاءَ
وَلَوْلَبَّوْا عَقْوَلَهُمْ لَفَازُوا
وَحَازُوا - كُلَّ مَا يَجْنِي - الْهَنَاءَ
أَبَوْا إِلَّا اقْتِفَاءُ الطَّبَعِ حَبَّاً
لِفَانِي الْمَالِ وَاجْتَنَبُوا الْحِجَاءَ
وَقَلْبُ الْمَرْءِ إِنْ يَتَبَعَ هَوَاهُ
يَصِيرُهُ الْهَوَى قَابًا هَوَاهُ

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

وَلَوْ تِبْعُوا الْعُقُولَ أَزَّنَ عَمَّنْ
 لَوْا هُوَاهُ ذَاكَ الْأَلْتَوَاءِ
 فَمَا خَلَقَ الْعُقُولَ اللَّهُ إِلَّا
 لِيَهُدِّيَنَّ الْأَلْيَ شَاعُوا اهْتِنَاءِ
 فَمَنْ جَعَلَ الْحِجَاءَ لَهُ دَلِيلًا
 فَذَاكَ هُوَ الَّذِي فَاتَ الشَّقَاءِ
 فَقُلْ لِلْأَغْنِيَاءِ إِلَى نُهَامِكِ
 عَنِ الْأَهْوَاءِ وَادْكِرُوا الْثَّوَاءِ
 فَكُلُّ مِنْكُمْ عَمَّا قَاتَلِيلِ
 سِيَّتِرَكَ مَالَهُ مَيْتَّا وَرَاءِ
 وَلَيْسَ بِمِنْ فَارِغٍ مِنْ لَمْ يَقْدِمْ
 مِنَ الْأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جَزَاءِ
 وَمَا كَالِبِرُّ مِنْ عَمَلٍ فِطْوَبِيِّ
 لَمْ لِمْ يَصْبِحُوا عَنْهُ بِطَاءِ
 وَهُلْ غَرَسَ الْفَتَى أَجْدِي وَأَزْكِي
 وَأَطْبَيَّ مِنْ مَبْرَرِتِهِ اجْتِنَاءِ
 جَمَالُ الْبَرِّ إِنْ أَخْفَاهُ طَبَعُ
 فَعَنْهُ بَرَّحَ الْعُقُولُ الْخَفَاءِ
 فَمَا لَهُمْ بِشَحٍّ قَدْ تَوَاصَوْا
 وَقَدْ مَدَحَتْ عَقْوَلَهُمُ السَّخَاءِ
 وَأَبَدَدَنَّ الْمَزَايَا مَنْهُ حَتَّى
 لَفَاتَ جَمَالُهَا الْبَادِي الْمِرَاءِ
 أَيْقَضَى الْبَائِسُونَ طَوَّيَ وَعَرِيَا
 وَيَأْبَى الْبَرُّ مُثْرَوْهُمْ إِبَاءِ^(١)

(١) الطوى: الجوع.

ولم يَتَفَشَّ داءُ الْبَؤْسِ لَوْلَمْ
 يَكُنْ الْمُثْرُونَ قدْ مَنَعُوا الدَّوَاءَ
 ولم يَصُبُّ شَفَاءُ الدَّاءِ لِكُنْ
 أَرَى الْمُثْرِينَ قدْ كَرِهُوا الشَّفَاءَ
 وَلَيْسَ بِنَاقْصٍ الْأَمْوَالُ لَا بَلْ
 يَجْرُّهَا الْزِيَادَةُ وَالنَّمَاءُ
 وَكُمْ أَقْصَى الْأَسْى عَنْ بَازِلِيهِ
 وَأَدَنِي مِنْ قَلْبِهِمُ الْحَسْفَاءُ
 فَيُمْنُ الْبَرُّ مَحْسُوسٌ جَلِيلٌ
 لَعَيْنَيِّي مَتَّبِعُ الْبَرِّ اجْتَلَاءُ
 وَإِنْ تَصْبَعْ نَوافِلُهُ عَلَيْهِمْ
 فَبِذَلِ الْفَرْضِ يَكْفِيْهِمْ حِبَاءُ
 زَكَاةُ الْمَالِ كَافِيَّةٌ فَهَلَا
 رَأَى الْمُتَمَوِّلُونَ لَهَا أَدَاءُ
 فَمَا فُرِضَتْ عَلَى ذِي الْمَالِ إِلَّا
 لِتُلْحِقَ بِؤْسَ ذِي الْبَؤْسِ انتِفَاءً
 وَتَئِنِي مِنْ مَعِيشَتِهِ سَهْلًا
 مَصَاعِبَهَا، وَرَغْزَهَا رُخَاءُ
 فَفَارِضُهَا أَرَادَ بِكُلِّ شَخْصٍ
 مِنَ الْفَقَرَاءِ رَفِقًا وَاحْتِفَاءً
 فَأَوْبَدَتْ لِمَا أَلْفَيْتَ فِينَا
 مَطْيَلاً مِنْ خَصَاصَتِهِ اشْتِكَاءً
 وَأَصْبَحَ كُلُّ عَارِيِّ الْجَسْمِ طَاوِيًّا
 يَنْالُ بِهَا الْمَلَابِسُ وَالْغَذَاءُ
 وَكَانَ أَنِينُ بَائِسٍ نَادِيَاءً
 لِثَرِيَنَا وَشَكَوَاهُ ثَنَاءً

كَمَا مَنْعَ الزِّكَارَةَ أَعَادَ كُلَّا
 مِنَ الْبُؤْسَاءِ فَأَئْخَى اسْتِيَاءَ
 فَأَشْجَانَاصَبَرُهُمْ زَفِيرًا
 وَأَوْجَعَنَا جَزْوَهُمْ بَكَاءَ
 فَمَنْ لَيْ بِالْفَرَارِ الْيَوْمَ مِنْ لَيْ
 فَإِنَّ الْأَرْضَ أَسْخَطَتِ السَّمَاءَ
 فَصَبِرًا أَيَّهَا الْفَقَرَاءِ صَبِرًا
 فَإِنَّ الْأَمْرَ حَائِلٌ اِنْتِهَاءَ
 فَغِبُُ الْأَمْرِ حَسْبَ الظَّنِّ يَاتِيَ
 مُغَايِرًا مَا أَتَى مِنْهُ اِبْتِدَاءَ
 أَظْنُنُ اللَّهَ عَكْسَ الْحَالِ عَمَّا
 قَلِيلٍ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ شَاءَ
 فَمَمْتَلَئُ الْيَمِينَ الْيَوْمَ مَا لَأَ
 غَدَا مِنْ مَالِهِ يَشْكُوُ الْجَفَاءَ
 وَيُثْرِي بَعْدًا مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلًا
 تَرَاءُ الْمَالُ عَنْ يَدِهِ تَنَاهِيَ
 وَلَنْ تَخْصِقِ الدُّنْيَا عَنْ كَوْنِ هَذَا
 لِسُرْعَةِ رَدِّهَا الْمَحْيَا فَنَاءَ
 فَمَا الْأَخْرَى بِخَسِيقَةٍ لَأَنَّا
 مَتَى مَا نَأْتَهَا نَذَلِ الْبَقاءَ
 فَلَا يَسْتَبْطِيءُ الْبُؤْسَاءُ يَوْمًا
 يَرَوْنَ بِهِ انْعَكَاسَ الْحَالِ جَاءَ
 فَعَدْلُ اللَّهِ يَبْقَى بَعْدَهَا
 وَكَفَ فِيهِمْ تَوْقُعُهُ عَزَاءَ

صن قوافي القريرض^(١)

كَسَوْتَ أَخاکَ ثِيَابَ الْثَّنَا
فَجَازَ فَخَارًا بِهِنَّ السَّمَا
وَأَصْبَحَ يَسِّرَ حُبُّ أَدِيَالَهِنَّ
عَلَى ذِرْوَتِيْ نَسْرِهَا وَالسُّهَا^(٢)
وَلَكَنْ أَطْلَتَ ذِيَولَ الْمَدِيْعِ
وَالْبَسْتَهُنَّ فَتَّى ذَا عَمِي
وَطَوْلُ الْذِيَولِ عِثَارُهِ
وَأَنْتَ بِسَطَتَ لَهُ فِي الْكِسَا
فَإِنْ لَمْ يَحْلِ لِلْمَدِيْعِ فِي الْجَزَاءِ
فَأَوْضَحَ عَذْرَ لَهُ قَدْ بَدَا
نَظَّمَتِ الْقَوَافِيْ بِمَدْحِ اْمَرَئِ
كَسَاهُ الزَّمَانِ كَسَاهُ هَجَا
فَأَيْتَكَ جَارِيْتَ فِيِ الْزَّمَانِ
فَإِنِ الْزَّمَانِ عَلَيْهِ افْتَرَى
وَنَهَجَ سَبِيلِ الْهِجَا وَاضْحَى
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَنْكَ اخْتَفَى
فَحُبُّ الْفَتَى لِفَتَى مَسِيلِ
عَلَى مَا بِهِ مِنْ عِيوبٍ غِطَا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جواباً لقصيدة بعث بها إليه.

(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تنسِّجْنَ من خيوطِ الثنا
كـسـاءَ لـثـلـيَ في ذـا الـورـى
وـصـنـْ مـا اـسـتـطـعـتـ قـوـافـي الـقـرـيـضـ
فـفـي صـونـهـنـ لـهـنـ اـعـتـلا

لا راحة بلا تعب^(١)

يقولون لي يا «صقر» مالك عاطلاً
وقد وظفوا من لم يقاربِك في الأدب
فقلت لهم في رئبة الشوب مانع
رُؤيَّي إلى تلك المناصب والرُّتب
يُؤلَى هنا المرء الوظيفة جاهلاً
على شرط أن تلقي ملابسَه قشُّ^(٢)
ويحرم منها المرء والمرء عالم
إذا لم تكن منه الملابس بالنَّخْ^(٣)
ولوعة ألا كان التقدم عندهم
على حسب ما تفضي الفضيلة والحسَب
فما كل ما راق العيون بريقة
وأعجبها منه ملاحظته ذهب
فإن تنتبه من ذا السبات معاشرِي
تل خير داريها وتسلم من العطب
 وإن طال في ليل الجهالة نومُهم
فما شئت فيهم فافعلِي أيُّها النوب
فما نام في ليل الجهالة عشر
فأيقظَهم منها قدِيمًا سوى الشُّجب

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.

(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشب.

(٣) النَّخْ: الخيال.

ومما يزيدُ الحزنَ في القلب ضعفُهُ
 ويلهُبُهُ بين الخلاوع فياتهِب
 صدودُبني قومي إذا قام مرشدُ
 يذكّرُهم بالشّعر طوراً وبالخطب
 وفي الصَّدْ ما يثنى عزيمَةَ من غدا
 لنصحُهم تقريبُ الدهر والخبب^(١)
 فكيف إذا ما زندقوه وأسبَلت
 على رأسه من مُرْنِ غيظهم سُحب
 تَسَنَّمتِ العلية معاشرُ لم تَزلَ
 تَجِدُ لها والجِدُ من سُبُلِ الغَلَب
 وحَلَّوا من المجد المُؤْلِ في ذُرَى
 تقاد سواميها تنوف على الشُّهُب^(٢)
 ونحن قعدنا قانعين بجهلنا
 وجهل الورى فيه لهم شَرُّ منقلب
 ففي صَعَدِ ظلّوا بفضل نشاطهم
 وقد حَطَّنا مُردي التكاسلِ في صَبَب^(٣)
 وتمَّ بفضل العلم فيهم وئامُهم
 ونحن كما شاعت جهالتنا شَعْب
 ومن غرسـتـ يمناه يومـاً فـسـيـلـةـ
 فـبـشـرـهـ من بـعـدـ المـشـقـةـ بالـرـطـبـ
 فـمـالـذـهـنـ نـيـلتـ بـغـيرـ مشـقـةـ
 ولا راحـةـ يـوـمـاً تـائـثـ بلا تـعبـ

(١) التقريب والخبب: نوعان من السير.

(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعلىها.

(٣) الصبب: الطريق يكون في حدود.

وَهُلْ وَهَبَ اللَّهُ الْوَهْوَبُ لِأَمَّةٍ
 رَقِيًّاً وَلَمْ تَمْدُدْ إِلَى ذَاكَ مِنْ سَبَبِ
 وَهُلْ سَبَبْ كَالْعِلْمِ يَوْصِلُ أَمَّةً
 مِنَ الْمَجْدِ مَا حَبَّتْ وَفَوْقَ الذِّي يُحَبُّ
 فَإِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَبْلُغُوا أَوْجَ مَجْدِكُمْ
 وَتَعْلُوَا ذَرِيَّ الْعُلَيَاءِ فَالْأَهَبُّ الْأَهَبُّ
 أَلَا وَانْزَعُوا ثُوبَ التَّكَاسِلِ عَنْكُمْ
 فَمَا فَارَ كَسْلَانُ الْبَرِيرَةِ بِالْأَرَبِ
 وَلَا تَجْمُدُوا يَاقُومٌ إِنْ جَمِودَكُمْ
 مَؤْدِيَكُمْ لِلْوَيْلِ إِنْ دَامَ وَالْحَرَبُ^(۱)
 وَدُونَكُمْ أَهْلُ الْجَمْدِ وَضَدُّهُمْ
 وَيَكْفِي بِهَذِينَ اعْتِبَارًا لِمَنْ أَرَبَّ
 نَهْوَضًا إِلَى الْمَجْدِ الْأَثْيَلِ إِلَى الْعُلَا
 كَمَا نَهَضْتُ مِنْ قَبْلٍ أَبَاوْنَا الْعَرَبِ
 فَهُمْ نَهَضُوا بِالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ سُلْمٌ
 يَؤْدِي إِلَى إِدْرَاكِ مَسْتَصْبَعِ الْطَّلْبِ
 فَأَشْرَقَ فِي أَفْقِ النَّقَدِ بَدْرُهُمْ
 مَنِيرًا وَلَمَّا لَمْ نَسِرْ سَيْرُهُمْ غَرَبَ
 وَأَشْمَرَ فِي أَرْضِ الْأَمَانِيِّ غَرَسُهُمْ
 وَعَادَ إِلَيْنَا بَعْدَ إِشْمَارِهِ حَطَبَ
 وَكَانَ مَنَالُ الْحَقِّ بِالسَّيْفِ وَحْدَهُ
 فَصَارَ مَنَالُ الْحَقِّ بِالسَّيْفِ وَالْكُتُبِ
 وَفِي وَسْعِنَا أَنْ نَشَرَ الْعِلْمَ بَيْنَنَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوُسْعِ أَنْ نُصْلِتَ الْقُخْبُ^(۲)

(۱) الْحَرَبُ: فَقْدَانَ الْمَلْكَ وَالْحَرَبَ أَيْضًا الْغَضْبَ وَكَلَاهُمَا بِفَتْحِ الرَّاءِ.

(۲) نُصْلِتَ الْقُخْبُ: نَجْرُدُ السَّيْوِفَ.

فما بالنا عن نشره في تكاسلٍ
 على أنه أمرٌ على الكل قد وجَب
 أنكسَلْ في عصر النشاط ونشَّتكِي
 إذا أنشَّبت فينا مخالبها الْكُرَب
 ونُبرح في ليلِ من الجهل دامسٍ
 وقد عمَّ صُبْحُ العالم من شَطْأ أو قَرْبٍ^(١)
 فوا عجبي يا قوم إن تَبْقَ هكذا
 ولم تُرْمِ بِالمَوتِ الرَّزِوَامِ ولم تُصْبِ
 ومن يَرْمِ في غاب الْهِزَّبِرِ بِنَفْسِه
 فَيَفْرَسُهُ فِيهِ الْهِزَّبِرُ فَلَا عَجَبٌ^(٢)

(١) دامس شديد الظلام. وشطّ: بعد.

(٢) الْهِزَّبِر: من أسماء الأسد. وفَرْسَه: افترسه.

لحظي لا لحظك^(١)

أراك لحبل الوصل أصبت قاطعاً
بلا موجب يدعو إلى القطع أو سببٌ
وغادرتني من قطعه في تالمٍ
فهل لك في تالمٍ خالك من أربٍ
أبا صالح إن لم تُسرِّك زورتي
فيها سرورُ النفس مني والطرَبٍ
فَزُرْنِي لـلحظي لا لـلحظك حسناً
فبعض زيارات الأحبة تُحتسب
وحافظ على ما بيننا من مودةٍ
فإنني أعدُّ الودَّ ما بيننا نسبٌ
وأنقذ بوصلي منك معتلٍ عهدها
فطولُ النُّوى يرمي المودة بالشجب^(٢)
ولا شيء يخلو من سقامٍ يبيده
وللأود طولُ البين من أقتلِ الوصب^(٣)
فإن تُك عن هالك المودة راضياً
فإنني من مرضاك ممتليء الغَضب^(٤)
 وإن تُك مثلوج الجوانح بالذى
أتيتَ فمنه اليوم في أصلعي لهب

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك.

(٣) الوصب: الوجع والمرض.

(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وَإِن تَرَ عَنِي وَجْهَ سَلْوَكَ سَافِرًا
فَوَجْهُ سُلْوَيِّ عَنِ الْمَقَامِ قَدْ احْتَجَ
وَهَذِي لِيالِي الصَّوْمِ إِن لَمْ تَزُرْ بَهَا
فَقُلْ لِي مَتَى مِنْكَ الْمَرْيَارَةُ تُرْتَقَبُ

شظاوك يشفيني^(١)

قالوا سقامك كاد يذهب أو ذهب
فشعرت باستخذاء ما بي من وصب
ألان بُرئي أن وقت مجىئه
أم جاعني قبل الأوان من الطرب
لم أدر إلا أن شَفَوي راعه
قول البشير فكاد عَنِي ينسحب
وإذا شفى سَقَمَ السقيم سُروره
بشفاء شق النفس منه فلا عجب
ما زلت مذ زايأْتني ذا عَلَّةٍ
كان اشتراكوك في زيادتها السبب
وأنت تُجِدُ مزيدها منك النوى
حتى أرتني على وجه العطب
حتى إذا بُشِّرتُ أنك آخذ
تدنو إلى خير الشفاء وتقرب
عادت تلاشي عَلَّةٌ قد أذنت
نفسك بما نفسك تخاف من الشُّجب^(٢)

يا نجل صالح الذي لولاه لم
أعلم بأن الود يرجح بالنسب

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبد الملاك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك أو الحزن.

لَا يَحْرِمُ اللَّهُ الْكَوْيِتُ وَعِلْمَهَا
مِنْ شَخْصِكَ الْمُحْبُوبِ، حُسْنَ الْمُنْقَلَبِ
فَالْعِلْمُ فِيهَا لَمْ يَزُلْ وَفَوَادُهُ
مِنْذَ اشْتَكَيْتَ عَلَيْكَ خَوْفًا يَضْطَرِبُ
وَأَحْقُّ مِنْ يَخْشَى عَلَيْهِ عِلْمُهَا
مَنْ غَيْرُهُ لَمْ يَكُفِ عَنْهُ أَوْ يَنْبُ

قيمة الكلام

رُبَّ بَيْتٍ وَحْدَهُ فِي أَمَّةٍ
قَلْبَ الْحَالَةِ رَأَسًا لِعَقْبٍ
وَلَكُمْ مِنْ خُطْبَةِ قَدْ أَبْدَلَتْ
شَعْبَ مُلْقِيَّهَا حِيَاةً بِشَجَبٍ^(١)

(١) الشجب: الهلاك.

على العلم عولوا^(١)

أَسِتَّةَ أَعْوَامٍ تَدُومُ مِنْ يَا حَرْبٍ
وَأَكَلُكَ أَجْسَادُ الْبَرِّيَّةِ وَالشُّرُبُ
وَفِي بَعْضِ عَامٍ مِنْكَ مَا يُورِثُ الْفَتَى
سَامَّتُهُ مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ لُبُّ
وَلَسْتُ أَرِيْ أَنَّ الْوَرِيْ كَلَّهُمْ غَدَوْا
مَجَانِينَ لَكُنْ شَاءَ بَسْطَتِكَ الرَّبُّ
أَتَوْا مِنْ شَنِيعِ الظَّلْمِ مَا مَدَّ بَيْنَهُمْ
مِنَ الْحَرْبِ مَا يَلْقَى بِهِ وَفَقَهُ الذَّنْبِ
إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ
تَوَقَّعُ جَزَاءً سَيِّفُهُ عَنْكَ لَا يَنْبُو
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الظَّلْمِ سَاءَ مَغْبَةً
فَحَرَبُهُمْ هَذِي لَظَالِمُهُمْ غِبُ^(٢)
بَنُو آدَمَ إِخْوَانُهُمْ، وَبَنَاتُهُ
لَهُمْ أَخْوَاتُ يَشَهِّدُ المَاءُ وَالْتَّرْبَ
فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا بِكُونِ جَمِيعِنَا
مَمَالِيكَ إِنْ يَدْعُوا إِلَى خَدْمَةِ لِبَوَا^(٣)
وَكُلُّ ثَرَاءٍ عَنْدَنَا وَهُوَ حَسْبُنَا
يَشَاءُ تَعَدِّيْهُمْ لَأَيْدِيهِمْ نَهْبُ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) المغبة: العاقبة. والغب: العقب.

(٣) تصريفها لبوا: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبوا.

ولا ذنب إلا الخُفُفُ والشَّاة لم تكن
 ليأكلها لو خاف سطوتها الذئب
 تسنَى لهم من قوَّةٍ ما بمثله
 يُلْمُ بغير المؤمن التيه والعجب
 فاطغتُهم قوَّاتِهم فانثنت على
 طغاتهم منها جهنُم تنصبُ
 طفت حربُهم طغيانَهم فرميَّتهم
 بنارِ أبادت جُلُّهم وهي لا تخبو
 وأودت بما قد أثْلوا من شرائِهم
 فلم يبق منه يابسٌ لا ولا رطبٌ^(١)
 كذلك يالقى مَنْ مِنَ النَّاسِ قصَدَهُ
 بقوَّته استعبادُه الناسَ والسلبُ
 ويسْفر عَدْلُ اللهِ في مثل هذه
 لذِي اللَّبِّ أو عنِه تَشِفُّ له الحُجْبُ
 مصائبُ هذِي الحربِ للغربِ عبرةٌ
 سماويةٌ إنْ كان يعتبر الغَرْبُ
 لإحياءِكم جئنا يقول كذوبُهم
 وليس له إلا إماثاتٌ نَا إِربُ
 فأفعالُهم فينا يُنافِين قولَهم
 كما يتناهى البغضُ لشيءِ والحبُّ
 عذابُ لنا ما يصْنَعُون وإنْ غداً
 يُمْوِدُهُ ذاك الصنْعُ قولُهم العَذْبُ
 لنا قولُهم يُبدي الودادَ وفعَّاهم
 يُنَبِّئُ أن القولَ أجمعَه كِذْبُ

(١) أثْلوا: بنوا، واظلوا وهياوا.

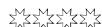
وَيَأْبَرُونَ إِلَّا أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّهُمْ
 أَصَادِقُ مَا إِنْ فِي صَدَاقَتِهِمْ رَبِّ
 يَجُوزُ عَلَيْنَا الْخَبُّ فِي ظَنْكِمْ فَهُلْ
 يَجُوزُ عَلَى عَلَامِ سِرَّكُمُ الْخَبُّ
 وَهِيَهَا أَنْ يَخْفِي عَلَى اللَّهِ مَبْتَأِي
 سِرَّكُمْ شَخْطُ الْمَقَاصِدِ وَالْجَابُ^(١)
 وَهَا هُوَ يَجْزِيَكُمْ عَنِ الْأَمْمِ الَّتِي
 لِمَا سُمِّتُمُوهَا مِنْ أَذْنِي عَزَّهَا الدَّأْبُ^(٢)
 فَإِنْ تَجْزَعُوا أَوْ تَصْبِرُوا فَعِقَابُكُمْ
 شَهِدَنَا هُنَّ فِي الْأُولَى وَآخْرَاكُمْ غَيْبٌ
 وَإِنْ تَرْمِكُمْ آخْرَاكُمْ بِمَثِيلِهِ
 فَمَا كُلُّ صَدْعٍ عَنْهُ لَا يَبْعُدُ الرَّأْبُ^(٣)
 عَلَى الظَّالِمَاتِ الْجَائِرَاتِ نَفْوُسَكُمْ
 إِذَا كَانَ عَثْبٌ فَلَا يَقْعُدُ ذَلِكُ الْعَثْبُ
 فَلَمْ يَدْهَكُمْ إِلَّا نَتَاجُ صَنِيعِكُمْ
 فَهَذَا لِمَا أَقْحَثُمُوهُ هُوَ الْعَقْبُ
 وَمَنْ أَسْعَرُوا نَارًا لِتُحْرِقَ غَيْرَهُمْ
 بِهَا أَحْرَقَ اللَّهُ الَّذِينَ لَهَا شَبَّوا
 وَثَبَّتُمْ عَلَيْنَا ظَالِمِينَ لِضَعْفِنَا
 فَمَاذَا عَلَيْكُمْ جَرَهُ ذَلِكُ الْوَتْبُ
 لَمْ بَعْدَكُمْ يَأْتِي سَتْبَقَوْنَ عِبْرَةً
 تُجَدِّدُ ذِكْرَاهَا الْأَحَادِيثُ وَالْكُتُبُ

(١) الشخت: الدقيق النحيف. والجاب: الغليظ.

(٢) عزها: غلبها.

(٣) الراب: الإصلاح.

لئلا يناموا في ليالي غرورهم
 كما نِمْتُ حتى رداكم دعا: هبّوا
 فقمتم ولكن بعدما أحدثت بكم
 مخالفٌ ما منها إلى موئلِ دربٍ



بني يعرّب الغرّ الميامين دهركم
 لجهاله سهل الأمور به صعب
 وكم مسّكم كرب فكاد يُميّتكم
 ولو لا فُشُو الجهل ما مسّكم كرب
 لقد طال في ليل الجهالة نومكم
 ونَوْمٌ هذا الليل أحجمّهم تبوا^(١)
 فلا تلهكم أحلامكم في منامكم
 فتأوي لها موت يعم به خطب
 وهبّوا سراعاً من عميق منامكم
 فحسبكم ما مرّ منه بكم حسب
 فقد أخذت عن شهـب علم بـايـاكم
 تـشـفـ لـسـتـهـدـي طـرـيقـ العـلـاـ السـحـبـ
 فقد طال ما كانت دليلاً لـحـائـرـ
 إلى قصده في ليله المظلـمـ الشـهـبـ
 وأفضلـ شيءـ تـقـصـدونـ هوـ الـذـيـ
 لـظـلـمـ هـذـاـ الجـهـلـ عـنـكـمـ بـهـ جـوبـ^(٢)
 فـمـيـلـواـ إـلـىـ إـطـلـاعـ فـجـرـ مـعـارـفـ
 تـعـمـمـكـمـ أـنـوارـ طـلـعـتـهـ وـاصـبـواـ^(٣)

(١) تبوا: خسروا وهلكوا.

(٢) الجوب: القطع والخرق.

(٣) صبا: مال شوقاً.

ولا تبخّلوا بالمال عند شرائكم
 من العلم ما خصّبًا يعودُ به الجدبُ
 فإنفاق هذا المال في السُّبُل التي
 تؤدي إلى نشر العلوم هو الْكَسْبُ
 على نشر أنوارِ المَعَارِف بينكم
 وفي النُّشُءِ منكم فما يكن ذلك الدَّأْبُ
 لتأثِيروْ حياةً صَفَوْهَا ما به قدَى
 ويصبحَ أمنًا من أعادِيكُم الرُّعْبُ
 على العلم يا قومي على العلم عَوْلُوا
 فذاك هو الدُّرْعُ الحصينُ والعَضْبُ^(١)
 فلو صنتم بالعلم حوزةً مجدكم
 لَكَفَ أَكْفًا نحوها امتدَّ الرَّهْبُ^(٢)
 ولكنكم فرطتم زمانًا به
 ومن لم يحد عن نهج تفريطِه يَكْبُ
 فإن عَوْقَ استعدادكم ضيقٌ ما مضى
 فمـستقبل الأيام مـتسـع رـحبـ
 خذوا العُدَّةَ المثلـى من العلم تُصـبـحـوا
 وبـعـدـ العـلـاـ عنـكـمـ بهاـ منـكـمـ قـربـ
 وظـنـواـ جـمـيلـاـ بـالـعـلـومـ وإنـ جـنـتـ
 علىـ الغـربـ ماـ منهـ بـهـ انـقـصـمـ الصـلـبـ
 فـامـ تـنـكـبـ الـغـربـ الـعـلـومـ وإنـماـ
 نـواـكـبـ الـطـغـيـانـ والـتـيـهـ والـشـفـ^(٣)

(١) سيف عصب: قاطع.

(٢) الرهـبـ: الخوفـ.

(٣) الشـفـ: التـهـيـجـ.

حيَاةٌ لَهْ كَانَتْ فَصَارَتْ بِظَلَامِهِ
 لَهْ حَيَّةٌ مِنْهَا عَلَيْهِ قُضِيَ اللَّسْبُ^(١)
 وَلَا خَيْرٌ إِلَّا وَهُوَ مُدْرِكٌ إِذَا
 طَغَى أَهْلُهُ الْعَكْسُ السَّمَاوِيُّ وَالْقَلْبُ
 فَإِنْ بِالْمَنِيْ فُزِّتَمْ فَلَا تَظَالِمُوا الْوَرَى
 كَمَا ظَلَمَ الْغَرْبُ الْوَرَى أَيْهَا الْعُرْبُ
 فَلَا قِيدٌ مِثْلُ الْعَدْلِ لِلنِّعَمِ الَّتِي
 يُوَاتِيْنَ مِنْ شَابُوا مِنَ النَّاسِ أَوْ شَبَّوا
 وَهُلْ لِبَسْتَ أَشْوَابَ نَعْمَاءَ أَمْمَةَ
 فَدَامَ لَهَا مِنْهَا إِذَا ظَلَمَتْ ثَوْبُ
 وَمَا نَرْعَهَا أَخْشَى فَحَسْبُ وَإِنَّمَا
 أَخَافَ انْقلَابًا كُلُّ أَسْيَافِهِ قُضْبُ^(٢)
 كَمَا نِعْمَةُ الْغَرْبِ اَنْشَنَتْ وَهِيَ نِقْمَةُ
 بِهَا مِنْهُ هِيلُ الْلَّبُ وَانْخَلَعَ الْقَلْبُ

* * * *

(١) اللسب: اللدغ.

(٢) قضب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لقد طال مني المُكْثُ في مظلم الأسى
إذا انجاب عنِي غيهبْ جاء غيهبْ
وما زالت الأيام ترمي صروفها
فؤادي بما منه أخاف وأرهبْ
إلى كم وقلبي للشوائب مسرح
إلى كم وقلبي لانوائب ملأب
إلى كم سروري وجهه مت جهم
إلى كم مُحييا راحتني متقطب^(١)
إلى كم جهـام من رجائـي سـحـابـه
وحتى متى برق الأمانـي خـلب^(٢)
لماـذا يـعـادـيـنـيـ الزـمـانـ ويـعـتـدـيـ
علـيـ بـمـاـ مـنـهـ التـصـبـرـ يـسـلـبـ
كـائـنـ زـمـانـيـ عـاشـقـ وـكـائـنـيـ
لـهـ عـاذـلـ وـالـعـذـلـ لـلـصـبـ مـغـضـبـ
أـقـاسـيـ مـنـ الـأـحـزـانـ مـاـلـوـأـقـلـهـ
يـمـسـ نـجـومـ الـأـفـقـ مـاـ لـاحـ كـوكـبـ

(١) المحيا: الوجه.

(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخلب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولو حَلَّ بالبحر المحيط أَقْلُ ما
 يعانيه قلبي ما جرى فيه مركبُ
 أَبِيتُ إِذَا مَا بَتْ مَمَّا أَجْنَهُ
 عَلَى مُثْلِ مشبوبِ الغَضَى أَتَقَلَّبُ^(١)
 وَتُصْبِحُ إِنْ أَصْبَحْتُ نشوى محاجري
 وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا مِنَ السُّهُدِ مَشْرَبُ
 أَمَالِ الْلِيَالِي الصَّائِلَاتِ بِهَدْنَةٍ
 فَقَدْ أَوْشَكْتُ نفسي النَّفِيسَةَ تَعْطَبُ
 تَحَارِبُنِي حَتَّى كَائِنَيْ مَجْرُمٌ
 إِلَيْهِنِ جَرْمًا أَوْ كَائِنَيْ مُذْنِبٌ
 وَلَمْ أَجْتَرْمِ جَرْمًا سَوْيَ أَنِّي فَتَّى
 أَرِيدُ الَّذِي تَزَوَّيْهِ عَنِي وَأَطْلَبُ^(٢)
 تَرِيدُ الْلِيَالِي الْجَرْيِيَّ مِنِي كَمَا جَرَتْ
 وَذَلِكَ مَا عَنِهِ أَحَيْدُ وَاهْرُبُ
 تَجَنَّبُتُ مَا تَرْضَى الْلِيَالِي وَتَشْتَهِي
 وَمُثْلِي لَمَا تَرْضَاهُ قَدْ يَتَجَنَّبُ
 ظَمَئْتُ وَحَاوَلْتُ الورود فَلَمْ أَجِدْ
 مِنَ الوردِ مَا يَصْفُو فَمَنْ أَنْشَرَبْ
 أَلَا لَيْتَ صَدْرَ الغَيْبِ مَا زَالَ كَاتِمِي
 كَمَا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ حُرُّ مُهَذَّبٌ
 فَمَا لَيْ إِلَّا اللَّهُ فِي الدَّهْرِ مَطْمَعٌ
 وَلَا لَيْ إِلَّا اللَّهُ فِي الدَّهْرِ مَأْرَبُ

(١) أجنة: سترة. والغضى: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزوية: تقبضه وتطويه.

هُوَ الدَّهْرُ أَمَا يَوْمُهُ فَهُوَ أَرْقَمُ
يَصُولُ وَأَمَا لِي لَهُ فَهُوَ عَقَرْبُ
وَإِنِّي إِنْ خَسَقَ الْزَّمَانُ بِوُسْعِهِ
عَلَيَّ فَلِي فِي الصَّبْرِ مَا هُوَ أَرْحَبُ

للحق عاقبة الأمور^(١)

ما دمتَ في أبناء يعرب سالا
مما علىك من الحوادث نرحبُ
فالدهر أعياد لهم أيامه
طراً وجدي جدهم إذا أنسابُ
فإذاك لمنا أن بعثت مهنتنا
بالفطر طرسك ظلت منه أعجب^(٢)
الدهر عيدي كله ما لم ينزل
يفتر عن محياك فهو الأشنب^(٣)
الفطر والأضحى كلا عيديهما
إن عد عيده ليس شيئاً يحسب
إني لأصدق والقريرض أحله
ما كان من أخلاق صدق يحباب^(٤)
هذي مساعيك النفيسة شهد
إن قام لي فيما أقول مكتب
حسب بي بهن مصدقًا وبكل من
ينمي في هذى البرية يعرب
ما زلت تمحض كل قوم منهم
نصحاً يرد إلى الهدى من تكبوا^(٥)

(١) قالها رداً على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الشعالبي.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) يفتر: يضحك ضحكاً حسناً.

(٤) الأخلاق: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

تُغرى بـ طلابِ المعالي زاهداً
 فيها فِيْضٌ حيٌ وهو فيها أَشْعَبُ^(١)
 وإلى أثيلِ المجدِ ثُدني نائياً
 عنه فيغدو طَوْعَ نُصْحَكَ يَقْرُبُ
 ولَكَمْ حَوْيَتْ فَخَانِلَّا لَوْجُسْمَتْ
 الْفَيْتَ شَمْسَ الظَّهَرِ فِيهَا تَغْرُبُ
 وَمَنَاقِبَا أَوْتَيْتَهَا عَنْ حَصْرِهَا
 بِالْعَدَّ يَرْجِعُ خَائِبًا مِنْ يَطْلُبُ
 وَخَلَائِقًا كَالرُّوضِ إِلَّا أَنَّهَ
 بِسُوئِ شَهْوَرِ رَبِيعِهِ لَا يُخْصِبِ
 يَزْهُو بـ آذارِ وَخِدْرَتِهِ فَإِنَّ
 وَأَيْنَ جَفَّ وَهَذِهِ لَا تَشْسَبَ^(٢)

* * * * *

أَزْعِيمَ تُونُسَ وَالْكُويْتُ فَسِيْحَةُ
 قَدْ ضَاقَ بِي مِنْهَا الْفَسِيحُ الْأَرْحَبُ
 إِنْ يُرْدِنِي بِؤْسِي فَلَوْمَوا مَوْطَنِي
 بَعْدِي عَلَى تَفْرِيْطِهِ بِيَ وَاعْتَبَرُوا
 حَاوَلْتُ إِدْرَاكَ الْوَظِيفَةِ جَاهِدًا
 بِالْقَوْتِ مِنْ قَوْمِي فَعَزَّ الْمَطْلَبُ
 مَنْحُوا الْوَظَائِفَ كُلَّ مَنْ ضَاقَ بِهِمْ
 ذَرَعًا لِجَهَاهِمْ فَبَاتَ تَنْدُبُ
 وَأَنَا وَشَكَلِي فِي بِلَادِي مَعْرُوزٌ
 أَبْدَأَ بِكُلِّ وَظِيفَةٍ مُتَجَنِّبٌ

(١) أَشْعَبُ بْنُ جَبَيرٍ اشتَهَرَ بِالْطَّمَعِ وَلِهِ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ.

(٢) تَشَسِّبُ: تَهَزِّلُ وَتَخْفِي.

ما كنت لو أني ارتديت ملابسًا
 حسنت على نيل الوظيفة أغلب
 يرقى ببرته الفتى لا علمه
 أسمى الوظائف في الكويت ويكتسب
 وأجل ثوابي الحسان يفوت
 ثمنا العسرى ما يحوك العنكب
 كم قلت إن السيف ليس بغمره
 بل إنما هو حده والمخترب
 لكن إلى البابا لهم ما قالت
 ما كان من أسماعهم يتسرّب
 شحروا على بنزفهم وطفيفهم
 حتى وفاتي من حياتي أطّيب
 لا تتركوا بعدي ملام معاشرى
 فعسى الملام يقيّمهم ويهدّب
 ودعوا مقال: السيف أضحي سابقاً
 للعدل إذ جدّثي لشخصي يحج(١)
 إن فاتني ثمار الملام فلم يفت
 من قد يجيء به القضاء الأغلب
 فاريماء ينشأ أديب بائس
 فيهم فيعموزه البلاغ فيُعطي
 وكذا إلى أن لا يظل بموطني
 أدب به يسمو ولا متّادب
 فيشق مشقاد على نفسي وإن
 رفقت عظامي في التراب ويصعب

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العدل».

قابي يهيم بكل وادٍ من هو
 وطني وفيه نار بؤسي تأبه
 من لي بماه اليس ريطفي ما ذكا
 منها فيها ما برحت أعذب
 إن كان تخايدى بنار مفاقري
 عدلاً فain الفخل عنى يذهب
 آمنت بالقاضى على بما به
 مني التبصر بعد صبرى يسلب
 عن حكمه لـله فىنا حكمه
 يمضى علينا وجهها مُتغىّب
 ليت اعتقادى أنها موجودة
 لسفر صفتها الجميلة موجب
 فلعل رؤية ذى المفاقر وجهها
 لعزيزه من حيث ولى تجلب
 عبد العزيز وأنت أعلم عالم
 وأجل من خبروا الأمور وجربوا
 هل لائق نوط إذا تمكّن داؤه
 فغدا بصاحبه يعيث ويلاعب
 غير المنيّة من دواء ناجع
 فأشتمّر الأذى بال عنه أنقّب
 أم أن داء اليأس لم يخلق له
 طبّ به يلوي ولا متطلّب
 إن يذوّن بت قريحتي فلأنه
 من ماء دمعي وهو ملح يشرب

مَنْ ذَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَيْنِي وَالْبُكَا
 وَصَدُوقُ مَحْمَصَتِي يَقُولُ سَتَشْجَبُ^(١)
 يَا مَنْ بِهِ غَصَّتْ مَطَامِعُ مِنْ نَمَتْ
 بَارِيسُ إِذْ جَاءَتْ لِتُوْنَسَ تَفْصِبُ
 إِنْ غَرَبُوكَ فَـسَعَدُ مَصْرِ أَسْوَةُ
 فِيهِ لِجَدَكَ وَالْمَاهِيَّبُ مُغَرَّبُ^(٢)
 وَالْحَقُّ مَهْمَا تَضْطَهِدُهُ قُوَّةً
 يَظْهَرُ وَفِي يَمَنَكَ مِنْهُ مُشَطَّبُ^(٣)
 فَاهْدَأْ فَحَقُّكَ غَالِبُ قُوَّاتِهِمْ
 إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجَلًا يُـتَرَقَبُ
 لِلْحَقِّ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ وَإِنْ أَبَوْا
 وَبِـسِيفِهِ سَبُّ الْقُوَى مُـتَّـقَـخِبُ

(١) تشجب: تهلك.

(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيماً مجاهداً ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.

(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لقد كان الحبيب لنا إليه
طريق واضح سهلٌ رحيبٌ
ومذ أصبت لا فأس ولا ما
دُوينَ الفَلْسِ ناكَرنَيَ الحبيب
فاستُ أرى إليه اليوم دربًا
وكانت حسب ميسرتى الدروب
وأى اليسير في شروى بلادي
رأى است مراره حُرُّ أديب
في أنا فسي عن البن اصطباراً
وإن أصباك منه إليه طيب^(١)
فإن أضحي ومدعاه بعيدٌ
فكم أضحي ومدعاه قريب
وهاتا عادة الأيام فينا
ترددُها الحوادثُ والخطوب
ولا تنسى زماناً كان فيه
يواتيك الحُويَلُ والحَلَوب
فكم لبني مزجنا الشاي منه
وباقيه تركناه يرُوب
فأصبح بين إبريقي وبيني
يسير مسارعاً كوبٌ رَغِيب

(١) أصباك: شاقك.

ولاد شمسُ الضحى أذَّكت لظاها
 وصار لعابُها فوقِي يذوب
 أهَبْت برائِبِ ما هال إلا
 وهان لدِي تَحَسِّيْه الاهيب
 فكانت شرباتان بكل يومٍ
 أصيَّبُهُما يلذُّهما الشُّرُوب

لعل مصيبةَ الحرمان وعظٌ
 به وافت تُنَبِّهُنا الذُّنُوب
 فكم شاءَ حابناها وعنِّي
 ولم تُشَبِّع صغارَهُما الشُّرُوب
 حلَّيب الأم لامْلُود قوتُ
 وأخذني منه غير الفضلِ حُوبٌ
 وإنِي اليوم من ماضي صنيعي
 إلى ربِّي ليغفرَه أتُوب

لو انعكست أمورُ الخلق حيناً
 وزَحَزَحَ نائبَ العكسِ المُنَبِّهِ
 لرقت لابهائم من ذويها
 ولانت بعد قسوتها القلوب
 وطال من الفُساة لما جَنَّوه
 على الحيوان من قبل النحيب
 ولم نسمع خواراً أو شفاءً
 يُرَدِّدهُ كما تفخسي الكروب^(١)

(١) الخوار للبقر. والشفاء للغنم.

فَإِنْ صِيَاحُهُ إِلَّا دُعَاءٌ
 بِهِ يَمْخُى التَّائُمُ أَوْ يَثُوبُ^(١)
 عَلَى مَنْ قَاتَبَهُ مَنَا عَالَيْهِ
 كَمَا لَا يَشْتَهِي قَاسِ صَابِبٍ
 فَمَا الْحَيْوَانُ لِلنَّاسِ إِلَّا
 شَبِيهٌ فِي مَشَاعِرِهِ ضَرِيبٌ^(٢)
 تُحْسِنُ كَمَا تُحْسِنُ الْأَمْرَ يَأْتِي
 بِهِ الْعِيشُ الْبَغْيَضُ أَوْ الْحَبِيبُ
 حَقْوَقُكَ أَيْهَا الْحَيْوَانُ عَنْهَا
 أَطَالَ مَنَامِيَ الْمَرْعَى الْخَصِيبُ
 وَإِذْ زَالَ انتَبَهْتُ فَنَالَ شَكْرِيَ
 عَلَى التَّنْبِيَهِ مَرْعَايَ الْجَدِيدِ
 وَهَاتَانِ نَقْمَةَ كَبْرِيَ يَرَاهَا
 مَنَافِرَهَا لَوْانِجَلَتِ الْغَيْوَبُ
 إِحَالَةُ لِينِ عِيشِ الْمَرْءِ يُبَسِّـا
 إِذَا وَعَظَتْهُ حَيَّاهَا الْبَبِـبُ
 فَفِيَضُ مَعِينِ يُسْرِ الْمَرْءِ مَهْمَا
 بِهِ نُسِيَ الْحَقْوَقُ هُوَ النُّخْرُوبُ
 لَأَنْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْطَاهُ يَسِـراً
 رَقِيبٌ لَيْسَ يُهْمِلُهُ حَسِيبٌ
 تَذَكَّرِيَا أَخَا النَّـسِـ يَانِ رَبَّـا
 كَمَا تَأْتِي يُعَاقِبُ أَوْ يُثِـبِـ
 وَطَالِعٌ عَـدَلَهُ فِي كُلِّ شَيْـءٍ
 بِهِ تَلْقَاكَ سِـلْمَـ أَوْ حُـرُوبَـ

(١) يَثُوب: يَرْجِعُ.

(٢) الضَّرِيبُ: النَّظِيرُ وَالْمَثَلُ.

بِعَيْنِ مِنْ حِجَائِكَ فَهِيَ عَيْنُ
إِذَا انفَتَحَتْ تَكَشَّفَ مَا يُرِيبُ
فَإِنْ تَنْظُرْ بِهَا يَظْهَرْ جَلِيًّا
لَكَ الْمَأْمُولُ مِنْهُ وَالرَّهِيبُ
فَلَمْ نُعْطِ الْحِجَاجَ إِلَّا دَلِيلًا
إِلَى مَا الْخَيْرُ فِيهِ بَنَا يُهِيبُ
فَإِنْ تَسْتَهِدْ عَقْلَكَ فُزْتَ أَوْ لَا
فَأَنْتَ بِتَرْكِهِ مِمْنُ يَخِيبُ
عَلَى حَسْبِ اتِّبَاعِ الْعُقْلِ كُلُّ
غَدًا فِي الْأَمْرِ يَخْطُئُ أَوْ يُصِيبُ

الخطب هو الخطيب^(١)

يُعاني الغَرْبُ مَا تنبَوْجُ الجنُوبُ
بِهِ وَلَيَدُهُ مَنْهُ يَشَّبِّهُ
حَرُوبُ خَاصَّهَا فَسَأْلُوهُ مَاذَا
بِهِ تَرَكَتْ مِنَ الْأَثْرِ الْحُرُوبِ
وَلَمْ يُلْفَحْ مُحَيَا الغَرْبِ لَوْلَمْ
يَجِئُ مِنْ نَارِ هِيجَاءِ الْهَبِيبِ
فَجَوْرُ الغَرْبِ جَرَّ عَلَيْهِ مَا قَدَّ
أَبَادَتْ قَلَبَهُ مَنْهُ النُّدُوبِ
ذَوَوْهُ الْيَوْمَ بَيْنَ مَمِيتِ عَرَبِيِّ
وَجَوْعِ ما شَكَا شَرْواهُ ذِيبِ^(٢)
وَكَانَتْ أَنْعَمُ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ
كَمَا شَاعُوا سَحَابَهَا تَصُوبِ^(٣)
فَصَارَتْ كَلْهَا نَقْمًا شَجَاهَا
لَهُ بَحَلْوَةِهِمْ طَرَّانُ شَنُوبِ^(٤)
تَحَوَّلَ فِيهِمْ مَشْقَى وَضَنْكًا
لَبْغِيَهِمْ نَعِيَمُهُمْ الرَّغَيْبِ
فَأَصْبَحَ مَصْدَرَ الْبَسَمَاتِ فِيهِمْ
وَصَادِرَهُ عَوْيَلُ أَوْ نَحَّبِ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواهم: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

وَمَنْ لَمْ يُوْسِعْ النَّفْعَمَاءَ شَكَرًا
 فَبِشَّرْهُ بِنَائِبَةٍ تَنْوِبٌ
 إِذَا نِعَمُ الْمَعَاشِرِ أَبْطَرَتْهُمْ
 فَفِي ضُمْعَيْنِ هُوَ النُّخْسُوبٌ
 أَسَالُوا أَمْسِ أَدْمَغَنَا اعْتِدَاءً
 فَسَالَ الْيَوْمَ دَمْعَهُمُ الْحَسَبِ
 وَمِنْهُمَا جَئَتْ مِنْ عَدْلٍ وَشَرٌّ
 إِلَيْكَ يَرْدُدُ الْعَدْلُ الْحَسَبِ
 أَتَاهُمْ وَاعْظَمُ مَا حَلَّ فِيهِمْ
 وَهُلْ عَظَلَةٌ كَمَا تَمَلَّى الْخُطُوبُ
 خَطِيبُ النَّاسِ خَطْبُهُمْ فَمِمَّا
 تَكَلَّمُ بَيْنَهُمْ سَكَتَ الْخَطِيبُ
 فَهَلْ مِنْ سَكَرَةٍ بِالْبَطَرِ الْمَعَفَّيِ
 صَحَّتْ مِنْهُمْ عَلَى الْوَعْظِ الْقَلُوبُ^(١)
 فَتَابُوا خَوْفًا أَنْ تَأْتِي عَلَيْهِمْ
 عَوَاقِبُ ظَاهِرِهِمْ أَمْ لَمْ يَتَوَبُوا
 فَثَالِثَةُ الْأَثَافِي - إِنْ أَصْرَرُوا
 عَلَى مَاضِي صَنِيعِهِمْ - قَرِيبٌ^(٢)
 فَإِنْ حَرْبَاهُمَا رَمَّتَا مَضِيقًا
 أَدَقَّتْهُ النَّوَاجِذُ وَالنُّيُوبُ^(٣)
 فَمَا رَمَّتَاهُ مَمْضُوغًا فَمِنْهُ
 دَنَتْ لَابْلُعُ أَكْانَةُ شَرُوبٍ

(١) المعفى: المزيل للأثار.

(٢) الأثافية: ما يوضع عليها القر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفيتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأثافية أي بالشر كله. كانهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأثافية.

(٣) المضيغة: كل لحم على عظم والجمع مضيغ ومضائق. والمضيغ أيضاً المضوغ فعيلاً بمعنى مفعول.

طويلاً أمهوا حتى تأذتْ
من المستخفين بهم شعوب
وأطغاهم نعيم العيش حتى
دَهْنَنا من شُرورهم ضُرُوب
وخَلَّنا أنهم جُنَاحاً وأن لَمْ
يَظْلَّ بهم لي رقاهم أرب
إِلهَمَا لَأَبْدَى الإِمْهَالُ فِيمَا
أَرَاهُمْ - مِنْ ظَنُونِهِمْ - الْكَذُوب^(١)
فجاروا حَسْبَ مَا ظَنَّوا إِلَى أَنْ
دَهَاهُمْ غَبْ جَوْرُهُمُ الْعَصَب^(٢)
هُوَ الإِمْهَالُ لَا إِلهَمَا لَأَجْعَاتْ
لَتَشَرَّحَ مُثْنَةً لَهُمُ الْكُرُوب
ذُنُوبُ أَكْثَرُوا مِنْهَا فَوَافَتْ
تُرِيَّهُمْ كَيْفَ عُقَبَا هَا الذُّنُوب
وَمَا تَفْعَلُهُ تلقِ اللَّهُ يَجْزِي
بِهِ وَفَقَّا يُعَاقِبُ أَوْ يُثْبِي
عَجَبْتُ لِكُلِّ مَنْ فِي اللَّهِ مَنْ
يُخَامِرُ قَلْبَهُ شَكُّ مُرِيب
وَمَنْ أَشَّارَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
لِمُعْمَلِ فَكَرَهِ عَجَبُ عَجَيب
عَظَاتُ بِالْغَفَاتِ كُلِّ يَوْمٍ
تُؤَافَى لَا تَغُبُّ وَلَا تَغْيِب^(٣)

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.

(٢) غب جورهم: عقبی ظلمهم.

(٣) لا تغب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بـأـفـئـدـةـ الـأـلـىـ اـرـتـابـواـ وـشـكـّـواـ
 إـلـىـ الإـيمـانـ دـاعـيـهـاـ يـهـبـ^(١)
 فـطـالـعـهـاـ بـعـيـنـ حـجـاكـ تـصـبـحـ
 وـدـاجـيـ الشـكـ عـنـكـ بـهـاـ مـجـوبـ^(٢)
 فـقـادـ المـرـءـ إـنـ يـمـرـضـهـ شـكـ
 فـمـنـ هـنـيـ الـعـظـاتـ لـهـ طـبـبـ
 تـأـمـلـ مـاـ تـرـىـ فـيـ كـلـ خـطـبـ
 بـهـ الـأـيـامـ تـذـهـبـ أـوـ تـؤـبـ
 فـإـنـ خـطـوـيـهـاـ حـلـوـاـ وـمـرـأـ
 بـهـنـ لـرـبـهـ يـصـلـ الـأـبـبـ
 وـهـلـ وـهـبـ الـحـجـىـ إـلـىـ إـنـسـانـ إـلـاـ
 لـيـعـرـفـهـ بـهـ الـلـهـ الـوـهـوبـ
 أـرـىـ مـنـ يـقـتـفـيـ مـنـاـ حـجـاءـ
 إـلـىـ الإـيمـانـ مـنـهـ جـهـلـ حـجـوبـ^(٣)
 وـلـمـ أـرـ مـاـ خـلـاـ إـيمـانـ شـيـاـ
 بـهـ لـاـنـاسـ عـيـشـهـمـ يـطـبـ
 فـهـذـاـ الـعـيشـ رـاحـتـهـ - لـمـ لـمـ
 يـعـيـشـهـ مـؤـمـنـاـ أـبـداـ - لـغـوبـ^(٤)
 مـتـىـ آـمـنـتـ لـاـ يـخـزـنـكـ أـمـرـ
 بـهـ دـنـيـاـكـ تـخـطـئـ أـوـ تـصـبـ
 فـلـمـ يـجـزـعـ وـلـمـ يـهـأـعـ فـوـادـ
 مـنـ إـيمـانـ ثـمـ لـهـ نـصـبـ

(١) يهيب: يدعى.

(٢) مجبوب: مكتوف مأخذ من جاب الشيء قطعه كما يجاب الجيب.

(٣) اللحوب: الواضح، لحب الطريق لحوباً وضح، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.

(٤) لغوب: تعب وإعياء.

وَمَا قَالَتْ لِنْ يَقْفُو حِجَاهُ
 إِلَى إِيمَانِهِ مِنْنَا الدُّرُوبُ
 إِلَيْهِ كُلُّهَا الْأَشْيَاءُ طَرْقًا
 لِعِينِ الْعُقْلِ إِنْ نَظَرْتُ تَثُوبُ
 فَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّ رَتَّفِيهِ
 لِخَالِقِهِ بِفَكِّرِكَ لَا يُنْبِيبُ
 غَضَارَةً كُلَّ شَيْءٍ إِنْ تَسْأَلُهَا
 بِهِ تُخْبِرُ وَيُخْبِرُكَ الشُّحُوبُ^(١)
 فَسُلْ مَا رَمْتَ مِنْ شَيْءٍ تَجْدُهُ
 إِلَيْهِ هَادِيًّا لَكَ إِذْ يُجِيبُ

(١) الغضاراة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع^(١)

ستبقى على الأحقياب حقباً إلى حقب
خيالاً على رغم المني وحدة العربِ
وأيُّ أمر الناس وحدَ بينهم
إذا لم توحد بينهم شدة الخطبِ
ولا خطب يُبلي صبر كل أخي نهَى
كريمٌ ويطوي القلب منه على ندب
كهذا الذي يُضحي ويُمسى محولاً
فلسطين من كرب شديد إلى كرب
وها نحن شتى لم يحول مصابها
تباعد ذات البين منا إلى قرب
ولو ألفت ما بيننا يد خطبها
كتأليف كف مثله الشعب ذو الإرب
ورحنا جمیعاً أو غدونا لنصرها
لما طال منها المكث في الحادث الصعب
ولو وتم من قبل اتحاد بني أبي
أخاف العدا منها الحيَا الذي يُصبي
ولا حَلَّ لها أو حل أرضًا سواها
لنا كاشح مستشعر نية الغصب
ونحن احترام (إنكليلز) وغيرهم
على يد صدق الخوف أو كذب الحبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فَلَا يَسِّرُ لَنَا مِنْهُمْ صَحِيحٌ مُوَدَّةٌ
 يَكْفِكُفُّ عَنَا سَيْلَ شَرِّهِمُ الْمُرْبِي^(١)
 وَلَكَنَّا رَغْمَ الْحَوَادِثِ لَمْ تَكُنْ
 لِتُتَدْرِكَ صَدْعَ الشَّمْلِ مِنَ يَدِ الرَّأْبِ^(٢)
 عَلَى عِلْمِنَا أَنْ لَيْسَ غَيْرَ اتِّحادِنَا
 لَنَا مَعْقُلٌ يَخْسِي عَيْنَ بْنِي الْغَرَبِ^(٣)
 وَقَدْ نَدْعَى قَرْبَ الْوَئَامِ فِينَبْرِي
 عَلَيْنَا لِسَانُ الْحَالِ يَشَهِّدُ بِالْكِذْبِ
 فَلَوْلَمْ يَكُنْ مِنَا بَعِيدًا لِأَبْصَرَتْ
 لَهُ آيَةً عَيْنَا فَاسْطِينَ فِي الذَّبِّ^(٤)
 إِذَا لَمْ يَأْلُحْ فِي الذَّبِّ عَنْهُمَا فَإِنَّهُ
 سَيْبَقِي عَلَى الْأَيَّامِ فِي حُجُبِ الْغَيْبِ
 عَجَبْتُ لَنَا هَلْ يَلْتَقِي عَامُ سِلْمِنَا
 إِذَا لَمْ تَوْحَدْ بَيْنَنَا سَنَةُ الْحَرْبِ
 وَلَيْسَ لِأَشْتَاتِ الْقَوَى مِنْ مَوْلَفِ
 كَمْوَجَعَةٍ مِنْ صَحْبَهَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ
 فِي أَمَّةِ الْعَرَبِ الَّتِي طَالَ نُومُهَا
 عَلَى كُلِّ مَا يُفْضِي إِلَى مَوْتِهَا هُبْيٌ
 فَإِنَّ تَجِدِي أُولَى الْمَنَامِ لِذِي
 فَإِنِّي أَرَى عَقْبَاهُ قَاصِمَةُ الصُّلْبِ
 أَظَلَّكِ إِبْيَانُ الْهُبُوبِ وَأَنْتِ مِنْ
 أَصْالِيلِ أَحْلَامِ الْكَرِي بَعْدُ فِي لِعْبِ

(١) المربّي: الزائد.

(٢) الصدّع: الشق، والرأب: الاصلاح.

(٣) خسأه، يخسأه: طرده وجعله يرتد، وبخسي مخففة من يخسي.

(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فقومي انظري شرقَ البلادِ وغربَها
 وما أدركاه اليوم من مرتعٍ خصْبٍ
 فقد أخْصَبَا حَسْبَ التَّيَقُّطِ مِنْهُما
 وألقاكِ بعدَ الخَصْبِ نومكِ في الجَدْبِ
 وما بعدَ جَدْبِ الشَّعْبِ غَيْرُ حَمَامَهُ
 إِذَا لم تُزَلْ مَكْرُوهَهُ يَقْظَةُ الشَّعْبِ
 وإنْ لَمْ تَشِمْ مِنْهَا تَبَاشِيرَ فَجْرِهَا
 فلسطينُ فِي التَّخَلِيصِ مِنْ خَطْبَهَا الصُّلْبُ^(۱)
 فِي قَظَةٍ أَقْوَامِي سَتَبْقَى دَفِينَةً
 بِتُرْبِ الْكَرَى حَتَّى يَعُودُوا إِلَى التُّرْبِ
 وَمَنْ لَمْ يَنْبَهْ هُمْ أَنَّهُمْ ذُويَهُمْ
 لِدَمْعٍ يَتَامَى بَيْنَهُمْ دَائِمُ السَّكَبِ
 وَنَوْحٌ كَالِيَّ الْأَمَهَاتِ يَمْدُدُهُ
 عَلَى شَجْوِهِ مَا لِلأَيَامِي مِنَ النَّدْبِ^(۲)
 فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ تَنَبَّهُ
 وَإِنْ لَمْ تَصْدِقْنِي فَسَلْ كُلُّ ذِي لُبٍّ
 وَهُلْ قِيمَةٌ عَنِي لِجَسْمِي إِذَا اعْتَرَى
 يَدِي مَرْضٌ إِنْ لَمْ أَكَافِحْهُ بِالْطِّبِّ
 وَهَبْنَا انتَبَهْنَا بَعْدَمَا تَنْتَهِي العِدَا
 وَتَفَرَّغْ مِنْ قَتْلِ هَنَاكَ وَمِنْ سَلْبِ
 فَمَاذَا يُفِيدُ الْإِنْتِبَاهُ سَوْيَ الْبُكَا
 لِإِهْمَالِنَا فِي وَقْتِهَا نَجْدَةَ الصَّحَبِ
 لِعَمْرُ أَبِي مَا (الإنكليز) بِمِنْتَهِ
 لَهُمْ مَطْمَعٌ إِلَّا بِنَاهِ مِنَ الرَّهْبِ

(۱) شام: نظر.

فَإِنْ تَصْدِمُوهُمْ كَفَكَوا مِنْ شُرُورِهِمْ
 وَلَا أَتَوْا مِنْكُمْ عَلَى الشَّخْتِ وَالْجَابِ
 فَلَا يَسْتَقِيْلُ فَلَسْطِينُ بَعْدِ حَسْوَةِ
 تَبْلُ صَدِيْلُ الْأَعْدَاءِ بِلْ أَوْلَ الشُّرْبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغِصْهُمْ بِهَا وَتُرْوِهِمْ
 مَرَارَةً مَا ظَنَّوْا مِنْ السَّائِعِ الْعَذْبِ
 لِيَا فِظِّمَنْهَا مَا أَرَادَ ازْدَرَادَهُ
 فَمُ عَادَهُ بَلْعُ الْلَّذِيْذِ مِنَ النَّهْبِ
 تَحَسَّ وَكُمْ حَتَّى يَرَوْا أَنَّهُمْ رُوْوا
 وَلَا رَيْ مَا شَامُوا الثُّمَالَةِ فِي الْقَعْبِ^(١)

وَدِدْتُ بِجَدِيعِ الْأَنْفِ لَوْكَنْتُ مِبْصِرًا
 قَدِيرًا عَلَى حَمْلِ الْقَنَاهَا أَوِ الْعَضْبِ
 لِأَشْرَكَ مِنْ بَاتِ فَلَسْطِينُ هَمَّهُمْ
 مِنَ الْقَوْمِ فِي طَعْنِ الطَّغَاهِ أَوِ الْخَرْبِ
 فَلَاسْتُ أَرَى الْقَوْلَ الْمُجَرَّدَ مَقْنَعًا
 وَإِنْ كَانَ عَذْرِي غَيْرَ خَافِ عَلَى رَبِّي
 فَلَا يَسِ الْفَتَى مِنْ يُغْمِدُ الْجَبْنُ سِيفَهُ
 وَيَنْكُحُ إِنْ عَنَّ الْجَهَادِ عَلَى الْعَقْبِ^(٢)
 وَلَكِنْ فَتَى الْفَتَيَانِ عَنْدِي هُوَ الَّذِي
 يُعَدُّ مِنِ الإِقْدَامِ فِي الْأَسْدِ الْغُلْبِ
 تَطَايِرُ عَنْهُ فِي النَّزَالِ عُدَاتُهُ
 تَطَايِرُ رِيشِ فِي زَعَازِعِهِ النُّكْبِ

(١) شَامُوا: أَبْصَرُوا. الثُّمَالَةُ: الْبَقِيَّةُ مِنَ الطَّعَمِ وَالشَّرَابِ. وَالْقَعْبُ: الْقَدْحُ الضَّخْمُ.

(٢) عَنْ: ظَهَرَ.

كما جاء «فوزي» العلا و«سعيدُها»
 من العمل المعطى بهما رفعَة الشُّهُبُ^(١)
 وكلَّ كمِيٍّ ضَمَّهُ عَمَاهُما
 لإعلاء صوت الحق رغمًا على الشَّغْبُ^(٢)
 فقد أعرَبوا في جُرَأَةٍ عَرَبِيَّةٍ
 إلى اليوم لم تُحلِّ الطغَاةَ من الرُّعْبِ

(١) إشارة إلى رجالين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.

(٢) الكمي: الشجاع ولابس السلاح.

حققوا بثورتهم الآمال^(١)

لقد أنعشت مصر رجاءً بني العرب
فأثني عليهما منهم كل ذي لبٌ
غدت من بني العرب الكرام جميعهم
مناط عرى الآمال في السلم والحرب
رأوا منذ ثارت كل أمرٍ أنت به
ليعرب فيه وجه منفعة يُصبي
فمن كل من ناميه يعرب مالها
 محل لعربٍ منذ ثارت سوى القلب
كما عن قلوب الكل أفواهم غدت
مترجمة صدق المودة والحب
عتبٌ عليها قبل ثورتها لما
رأيت لها إذ ذاك من موجب العَتب
وهل يرتكبي الحبوب حب محبٌ
إذا لم يعاتبه المحب على الذنب
فردت إلى حمد عتابي كله
لصر مسامعي أسد ثورتها الغلب
مساعٍ أقرتْ أعين العرب كلّهم
فذو البعد منهم في اغتباطِ ذو القرب
ففي كل يوم نجتلي مُنْيَةً لنا
بسعي لهم عن طيب عنصرهم يُنبي

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحدثُ ما سرّوا النفوسَ بكونه
 وإعلانهِ الدستورُ ذو الدفعِ والجلبِ
 فلا يرحتْ مصرُ بهم وهي مصدرٌ
 لفرحة أسلافِ العربيةِ والعقبِ
 فائيُّ كرامِ العربِ ماسُرَ قلبهِ
 ودستورُها الشعبيُّ يعلَّنُ للشعبِ
 وما الشعبُ إلا بعضُ أمّةٍ يعرُّبُ
 على حاليٍّ رهبٍ الحوادثِ والرُّغبِ
 تبسمُ عنهم شائرين فحقّقوا
 بثورتهمِ آمالاً ناماً مبسمُ الغيبِ
 وكم كنَّ صدرُ الغيبِ رفعَا بمثابِهم
 لمن كان مثلَ العربِ يشكو من النصبِ
 وعند اشتداد الحاجَّ ترفعُ عنهم
 يد الله ما يخفو عليهم من الحجبِ
 فعادُ وخصبُ واتحادُ بديلةٌ
 من الفرقةِ النكادِ والظلمِ والجدبِ
 وإنما نرجو أن يتوجَّ سعيُّهم
 بنزعهمِ من جنبنا شوكَةَ الجنْبِ
 فقد كُربتْ منا القلوبُ ولم يكن
 سوى نزعها يشفى القلوبَ من الكربِ
 تأذى بنو قومي فسَرَّ أذاهمُ
 أناساً أقاموها طريقاً إلى السُّلُبِ
 ولو لم يسرَّ الكلبُ بالعَقْرِرَةِ
 لما زفَّ بعد العقر خيراً إلى الكلبِ
 وها هي حتى اليوم موضعُ عَيْنِهمِ
 بما تشتتهي من جَزْلِ مالٍ ومن ذَبٍ

جِرَائِمُهَا الَّتِي نَمَتْ وَتَعَدَّدَتْ
يَرَاهُنَّ أَهْلُ الْغَرْبِ بِالْعُكْسِ وَالْقَلْبِ
فَمَا نَشَّتَكِي مِنْ صَنْعِهَا يَشْكُرُونَهُ
لَهَا بِالْسَّانِ مِنْ مَعْوِنَتِهِمْ رَطْبٌ
وَلَوْلَمْ يَرِيدُوا رَمِيَّ قَوْمِي بِكُلِّ مَا
يُطِيبُونَ مِنْ شَحْتِ الْأَذْيَةِ وَالْجَابِ^(١)
لَا أَسْكَنُوا يَوْمًا فَلَاسْطِينَ عُصْبَةً
عَلَى الْقَتْلِ غَدَرًا قَدْ رَبَّتْ وَعَلَى النَّهْبِ
وَشَدَّدُوا الْقُوَى مِنْهَا بِتَسْلِيْحِهِمْ لَهَا
إِلَى أَنْ غَدَتْ تَحْكِي بِهِ ذَنْبَ الْخَبَبِ
وَسَدَّدُوا عَلَيْنَا طُرْقَ تَسْلِيْحَنَا فَلَمْ
تَنْلُ بِرْضَاهُمْ مِنْ سِنَانِ وَلَا عَظْبَ
سَمَاوِئُهُمْ كَانَتْ صَوَاعِقَ فَوْقَنَا
وَفَوْقَ بَنِي صَهِيْونَ مَمْطَرَةَ السُّحْبِ
لَهُمْ أَبْعَدُوا عَنْ أَرْضِنَا أَهْلَ أَرْضِنَا
بِأَيْدِي قَوَى تِنْيَنُهَا دَائِبُ الْأَسْبِ^(٢)
لَتَبْقَى رَحْيَ اسْتِعْمَارِهِمْ فِي دِيَارِنَا
تَدُورُ مِنْ الْفُدْرِ الْيَهُودِ عَلَى قُطْبِ
فَكُلُّ فَوَادٍ يَعْرِبِيْ قدْ انْطَوَى
لَصَنْعِهِمُ الْوَحْشِيُّ هَذَا عَلَى نَدْبِ^(٣)
عَلَى ظُلْمِنَا مِنْ سَاسَةِ الْغَرْبِ لَا أَرِي
سَوَى مُقْدِمَ طَوْعِ الْهُوَى بَطْلَ نَدْبِ^(٤)

(١) الشخت: الدقيق والنحيف. والجائب: الغليظ.

(٢) اللسُب: اللدغ.

(٣) الندب بفتح النون والدال: الجرح وسكنها للشعر.

(٤) الذب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

وَيَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّهُم
 لَنَا أَصْدَقَاءُ مُخَالِصُونَ بِلَا رَيْبٍ
 بِمَا أَسْمَعْنَا مِنْ كَلَامٍ مَوْدَةٌ
 تُكَذِّبُهُ الْأَفْعَالُ فِي الْوَهْدِ وَالْهَخْبِ^(١)
 لِيَانٍ مِقَالٍ قَدْ يَغْرُلُوهُ أَنَّهُ
 يُجِيءُ بِلَا لَدْغٍ مِنَ الْعَمَلِ الصُّلْبِ
 نَفَاقٌ أَتَى اسْتِعْمَارِهِمْ دَارِعًا بِهِ
 وَخَبٌ فَبَعْدًا لِلنَّفَاقِ وَلِلْخَبِ^(٢)
 أَبَالسَّهْمُ مَسْمُومًا تَرِيدُ إِصَابَةً
 لَمَا بَيْنَ أَصْلَاعِي مِنَ الْكِبْدِ وَالْخِلْبِ^(٣)
 وَتَرْزَعُمْ لِي مِنْ بَعْدُ أَنْكِ وَأَمِقِي
 وَهُلْ مِقَةٌ تَدْنِي إِلَى مَنْقُضِي النَّحْبِ^(٤)
 بَنْوَيْعَرْبٍ يَا غَرْبُ لِيْسُوا كَمَا تَرَى
 مَجَانِينَ حَتَّى يَأْخُذُو مِنْكِ بِالْكِذْبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ فِي فَلَسْطِينَ مَا جَنَّتْ
 يَدَكَ بِرَدَّ الصَّدْعِ مِنْهَا إِلَى رَأْبٍ
 فَغَيْرُ مُحَالٍ أَنْ تَرَى مِنْ حَسَابِنَا
 عَسِيرًا مَتِي وَافِي تَقْلُلٍ مَشْفَقًا حَسْبِي
 وَإِنْ تَرَهُ صَعْبًا عَلَيْنَا فَكُمْ ثَنِي
 إِلَى السَّهْلِ صَنْعُ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ صَعْبٍ

مِنْ كِتَابِ الْمُؤْمِنِ

(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهخب: الجبل المنبسط.

(٢) الخب: الخداع.

(٣) الخلب: حجاب القلب.

(٤) وامق: محب، والمقة: الحب. منقضى النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَثْنَا مِنَ الْغَرْبِ الرُّمَاهُ بِشَرٍّ مَا
 بِهِ يَنْثَنِي الْأَمْنُ الْعَمِيمُ إِلَى رَهْبٍ
 بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ كُلِّ مَنْ نَبَذَتْهُمْ
 دِيَارُ الْوَرَى نَبَذَ الشَّبَابُ نَوْى الْقَسْبِ^(١)
 لَكِيمًا يَرَوْا مِنْهَا أَدَاءً خَبِيثًا
 مَلَازِمَةً نَشَرَ الْمُفَاسِدَ وَالرُّعْبَ
 فَمَا مَرَّ يَوْمٌ لَمْ تَثِبْ فِيهِ حَسْبَ مَا
 يَشَاءُ لَهَا الطَّبَعُ الْغَدُورُ مِنَ الْوَتْبِ
 وَقَدْ أَمِنَتْ مِنَا لِطْلُولٍ احْتِمَالُنَا
 عَوَاقِبَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ الدَّنْبِ
 وَبِا طَالَالا غَرَّ التَّفَاضِي مِشَاغِبًا
 فَأَوْغَلَ حَمْقًا فِي التَّهَرُّشِ وَالشَّغْبِ
 إِلَى أَنْ تَلَقَّاهُ الْخَصِيمُ مَجَازِيًّا
 بِمَرْغَمَةٍ مِنْهُ الْمُعَيْطَسُ فِي التُّرْبِ^(٢)
 وَفِي حُمْقِ إِسْرَائِيلَ لَمْ أَرَ مَعْشَرًا
 تَكْشِفَ عَنِ الْعَصْرِ أَوْ وَرْقَ الْكُتُبِ
 عَصَا السُّبْلِ الْقَتَهَا مِنَ الْأَرْضِ حِيتُ لَا
 أَمَانَ لِعَادٍ مِنْ زَعَازِعِهَا النُّكْبِ
 وَظَنَّتْ جَوَازَ الْعِيشِ بَيْنَ ضِيَاعِمِ
 صَاحِلِ ذَؤْبَانِ مَحْرَشَةِ جُرْبِ
 كَائِنَ أَسْوَدَ الْغَابِ تُدْرِكَ مِثْلَهَا
 مِنَ الْغَابِ فِي سَهْلِ الْمَرَابِضِ وَالرَّحْبِ

(١) القسب: الثمر اليابس.

(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الانفس. وارغمته جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

اطاعت من المغويين كلَّ مغرِّرٍ
بها يبتغي منها وسائلَ للكسبِ
ولم يَعْنِه من شأنها مثلُ ما بهِ
يظلُّ من الشرقيين في المرتع الخصبِ
ولو فَكَرْت خافتَ تَبَوًأَ منزلِ
مميتٍ لها مما غدا حُسْنَهُ يَسْبِي
ولم يَغُوا مفوِّلها بنزلولِهِ
ولو جاءها الإغراء من ساحرِ طَبِّ
ولكن عسى استئصالُ شافتِها دَنَا
فكم من عذابٍ قد تولَّدَ من عَذْبِ
وما طيران النمل إلا علامَةٌ
على أنه منه دنا قاسمُ الصُّلبِ
وأكَبَرُ ظني أنه حُمَّ موْتُها
بأيديِ شدادِ الطعنِ في الحربِ والضربِ
طوالِ متيناتِ القوى يعربيَّةٌ
عليها يتوبُ الغاصبون عن الغَصْبِ
بهنَّ سيرميهم جمالٌ وصحبةٌ
فقل في جمالٍ ما تشاء وفي الصَّحبِ
بناسِلَكوا دريَا إلى كلٌّ ما بهِ
يعود لنا المجدُ المنيفُ على الشَّهْبِ
وغايةُ هذا الدربِ غيرُ بعيدةٌ
فأمثالُهم تدنو بهم غايةُ الدربِ
فَزِدْ من حياتي في حياةِ جمالنا
وأصحابِ الْغُرُّ الميامين يا ربِّي
فمحياهُمْ محياً لآمال يعربِ
وأبنائِهِ في الشرقِ كانوا أو الغَربِ

أَحْيِيْهِمْ طُرَاً وَأَرْجُو بِقَاءِهِمْ
 نجوم هدى للعرب في مظلم الخطب
 أطَلْتُ عَتَابِي قَبْلُ وَالْيَوْمُ أَشْتَهِي
 من الحمد ما يحكى في الطول أو يربى^(١)
 فَيَعْتَاقِنِي عَنْ ذَاكْ ضَعْفٌ بِهِ رَمِي
 قَوْيِ جَسْدِي رَامٍ مَمِيتُ مِنَ الشَّيْبِ
 وَهَلْ ضَعْفُ جَسْمِ الْمَرءِ يَتَرَكْ عَزْمَهُ
 قَوْيًا يَوْاتِي لِلْحَصْولِ عَلَى الإِرْبَ^(٢)

(١) يربى: يزيد.

(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني^(١)

يُخَيِّلُ لِي أَنِي شَقِيلٌ عَلَى الْأَلَى
أَرَوْرُ مِن الصَّيْدِ الْأَلَى وَدَهْمُ قَلْبِي^(٢)
لَذِكْ مِن شَاقُوا فَوَادِي يَرَوْنَنِي
قَلِيلَ اللَّقَا بِالرَّغْمِ مِن كَثْرَةِ الْحُبِّ
وَمَن يَتَخَيِّلُ ثَقْلَ زُورَتِهِ يَكْنِي
لِنَزْلَهِ حَلْسًا حَذَارَ أَذِي الصَّحْبِ^(٣)
وَمَا لِي فِي دَفْعِ التَّخَيِّلِ مِنْ يَدِ
فَأَغْدُو مِنْهُمْ طَوْعًا وَدَيْ عَلَى قُرْبِ
إِذَا عَنْتِ الْعَادَاتِ يَوْجِبُنَ وَصَلَاهُمْ
أَبِي أَنْ أَرَاهُ تَارِكًا نَحْوَهُمْ دَرْبِي
فَلَمْ أَلْقَ مِنْ صَاحِبِي الْكَرَامِ مَهْنَنَا
بِذَا الْعِيدِ مِنْ مَلْقَاهُ لِي شَائِقُ مُحْبِي
قَعَدْتُ وَحْبِي أَنْ أَقْوَمْ مَؤَدِّيَا
حَقْوقَ صَاحِبِي الْغُرْرِ يَشْتَدُّ فِي جَذْبِي
فَلَمْ يَسْتَحِلْ كَوْنُ التَّخَيِّلِ صَادِقًا
كَمَا جَازَ مِنْهُ أَنْ يَوْافِي بِالْكِذْبِ
فَإِنْ كَانَ ذَا صَدْقٍ أَرْحَتْ أَحَبْبَتِي
وَإِنْ كَانَ ذَا كِذْبٍ فِيَا حَسْبَهُ رَبَّي

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبيراً ويراد بهم هنا الكبار العظام.

(٣) يقال فلان حلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المئع وما يوضع تحت ليد الدابة.

فهل في قعودي عن أدائي واجبًا
 علىٰ به العادات يحْكُمْ من عَثْبِ
 أجيْبِنِي يَا فخرَ الْكُوَيْتِ وَمَنْ بِهِ
 حَوْتَ رَغْمَ تَصْفِيرِ اسْمَهَا أَعْظَمَ الشُّهْبِ
 فَمَا أَنَا عَنْ فَتْوَى ابْنِ عَيْسَى بِمَائِلٍ
 وَلَوْ جَشَّمَنِي السِّيرَ فِي مَسَالِكِ صَعْبِ
 أَرَى طَاعْتِي إِيَّاهُ مَفْخَرَةً عَلَىٰ
 مَفَاخِرِي الْلَّائِي أَدَلَّ بِهَا تِرْبِيٌ^(١)
 فِي وَسْفُ هَادِينَا وَهَادِي هُدَاتِنَا
 إِلَى غَايَتِي شَحْتُ الْمَكَارِمُ وَالْجَابُ^(٢)
 فَلَوْلَاهُ لَمْ أَعْرِفْ طَرِيقِي إِلَى الْعُلَا
 وَلَمْ أَقْضِ حَتَّى الْيَوْمِ مِنْ وَصْلِهَا إِرْبِي
 سَجَايَاهُ أَعْجَبِنَ النُّفُوسَ نَفَاسَةً
 وَلَمْ نَلْفَهُ يَوْمًا بِهِنَّ أَخَا عُجْبُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي مَحَاسِنَ نَفْسِهِ
 وَقَدْ رَاحَ مَسْحَوْرًا بِهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ
 وَلَوْ كَانَ شَعْرِي كَفَّ وَصَفَ خَلَالَهُ
 لَمَا كَانَ إِلَّا وَصَفَ فَهُنَّ بِهِ دَأْبِي
 فَحَسْبِيَ فَخْرًا أَنْ أَكُونَ مَوَاظِبًا
 بِشَعْرِي عَلَى وَصْفِي خَلَائِقَ حَسْبِي
 وَلَكِنْ شَعْرِي لَمْ يَكُنْ كَفَّ وَصَفِهَا
 وَلَوْ كَانَ مَنْظُومًا مِنَ الْلَّوْلَوِ الرَّطْبِ

* * * *

(١) أدل على أقرانه: تعاظم عليهم واجترا. الترب: التذيد الذي سنه مثل سنك.

(٢) الشخت: التحيف الدقيق. والجاب: الغليظ.

المرء حسب السجايا^(١)

أثني عليك مُحِقاً مقولُ الأدبِ
يا من نماهُ لخيرِ الرُّسُلِ خيرُ أبِ
فكم نظرتَ إلى الآدابِ تنعشاً
وأهلها نظاراتِ المشيقِ الحدبِ
وكم عطفتَ إلى الآدابِ منحرفاً
عنهنَّ عطفَ سيد الرأي ذي الدَّرَبِ^(٢)
فصار يسكنُ للأدابِ منجذباً
لها انجذابَ أخي الأطماعِ للذهبِ
وكان قبلُ عن الآدابِ مبتعداً
ولا ابتعادَ صحيحِ الجلدِ عن جَرِبِ
فلو حَبَّتكَ الكويتُ الشكر منصفةً
صاغتهُ مُحْكِمَةً من جَوْهَرِ الشُّهُبِ
فَائتَ أنتَ إذا أدبُها نَبَستَ
أفواهُهُنَّ بشكوى نازلِ النُّوبِ^(٣)
عنایةً منكَ بالآدابِ دائبةً
ولا سَامَةً والإسلامُ في الدَّلَابِ
سجيَّةً فيكَ حبُّ العلمِ راسخةً
رسوخَ حُبُّ ذويهِ منكَ في العَصَبِ

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بن السيد خلف باشا النقيب.

(٢) الدرب: التجارب.

(٣) نبست: نطقـت.

أجبت في رفعِ الآدابِ دعوتها
ومن سوى طبعه ناداه لم يُجبِ
والمرء حَسْبَ السَّجَايا فِيهِ تَنْعَثَةٌ
بِالْحَمْدِ أَوْ ذَمَّهَا النُّعَاثُ فِي الْعُصَبِ
ما الطَّبْعُ لِلْجَدِّ مِيالاً بِصَاحِبِهِ
كَالْطَّبْعِ فِي الْمَرْءِ مِيالاً إِلَى الْأَلْعَبِ
فَطَبَعُ ذِي الْجَدِّ يُولِيهِ وَيُتَحَفَّهُ
مِنْ حَمْدٍ كُلَّ الْأَلْبَابِ بِالنُّخْبِ
وَطَبَعُ ذِي الْأَلْعَبِ الْمَقْوَتُ مَرْتَسِمُ
فِي عِرْضِهِ نُدَبُّ مِنْهُ عَلَى نُدَبِّ
كُلُّ يُرِيدُ مَعَالِي الْمَجْدِ يُكْسِبُهَا
وَالْطَّبْعُ يَغْلِبُهُ مِنْهُ عَلَى الْأَرْبِ
وَإِنْ تَكُنْ سُبْلُ أَهْلِ الْجَهْلِ مَتَعِبَةً
وَلَيْسَ فِي سُبْلِ الْأَلْعَابِ مِنْ تَعَبِهِ
فَالنَّبْعُ مَا نَالَ إِلَّا مِنْ صَلَابَتِهِ
فِي كُلِّ غَاشِيَةٍ فَخَلَّا عَلَى الْفَرَبِ^(١)
هَلْ حَازَ قَطُّ أَثِيلَ الْمَجْدِ غَيْرُ فَتَّى
لَمْ يَكْتُرْ ثَفَرْتَ فِي طَرِيقِ الْمَجْدِ بِالنُّصْبِ
مِنْ خَافَ مِنْ خَطَرِ الرَّجَافِ يُهَلَّكُ
فَكَيْفَ قُلْ لِي لَهُ بِاللَّؤْلَؤِ الرَّطْبِ^(٢)
وَمَنْ يَخْفُ مِنْ عَوَادِي النَّحْلِ عَادِيَةً
فَغَيْرُ ظَافِرَةٍ كَفَاهُ بِالْخَرَبِ^(٣)

(١) النَّبْعُ وَالْفَرَبُ: نوعان من الأشجار.

(٢) الرَّجَافُ: البحر.

(٣) الضَّرَبُ: العسل الأبيض.

يا من بحَبَّةِ قلبي الْيَوْمَ قد سَكَنْتُ
 لِهِ الْحَبَّةُ سُكَنِي غَيْرِ مُنْقَلِبٍ
 لَوْلَمْ تَكُنْ لَأَبْرَرُ الرَّسُولُ مُنْتَمِيَا
 لَكُنْتُ مِنْ بِرْكَ الْمَوْصُولُ فِي عَجَبٍ
 لَكُنْ فَرِعَكَ مِنْ أَزْكِي الْجَذْوَرِ بَدَا
 وَالْطَّيِّبُ فِي الْجَذْرِ يُبَقِّي الطَّيِّبُ فِي الشُّعْبِ
 وَالْفَرْعُ كَالْأَصْلِ فِي طَيِّبِ الثَّمَارِ أَمَا
 يَأْتِي الْفَسَيْلُ كَمِثْلِ النَّخْلِ بِالرُّطْبِ
 وَأَصْلُكَ الْأَصْلُ إِذْ أَضْحَتْ وَشِيجَةً
 مُوَصَّلَةُ السَّبِيلِ الْأَقْوَى بِخَيْرِ نَبِيٍّ^(١)
 بِخَيْرٍ مِنْ بِهُدَى إِرْشَادِهِ رَشَدَتْ
 هَذِي الْبَرِيَّةُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
 بِخَيْرٍ مِنْ هَتَكَتْ أَنْوَارٍ بِعَثَتْ
 مِنْ كُلِّ دِيْجُورِ جَهَلٍ أَكْثَفَ الْحُجْبُ^(٢)
 بِخَيْرٍ مِنْ مَدْحَتِي عَلِيَاءَهُ قُرَبٌ
 تَعْتَدُهَا مَهْجَتِي مِنْ أَفْضَلِ الْقَرَبِ
 وَكَيْفَ أَمْدُحُ مِنْ جَاءَتْ مَدَائِحُهُ
 مِنْ بَارِئِ الْخَلْقِ فِي الْأَسْمَى مِنِ الْكُتُبِ
 مَا قَدْرُ مَدْحُكٍ يَا «صَقْر» الَّذِي وَرَدَتْ
 فِي مَدْحَهُ مَعْجَزَاتُ الْمِقْوَلِ الدَّرِبِ^(٣)
 أَيُّ مِنْ الْحَقِّ مَا جَالَ الْبَصَيرَ بِهَا
 بِالْحَظْنَهْيَتِهِ يَوْمًا فَلَمْ يُنِبِّ^(٤)

(١) الوشيعة: ما يشد به ويوصل.

(٢) الديجور: الخلامة.

(٣) المقول الذرب: اللسان الفصيح.

(٤) النهية: العقل.

أتيني يا أبا «نوري» بعارةٌ
فقلت لا بدّع غيثٌ جاء من سُحبٍ
لكن بلوغٌ مدى ما تقتضيه لكم
من واجب الشكرِ عنه العجزُ يَقْعُدُ بي

العلمَ العلمَ

نشء الكويتِ صلوا بالجد والدأبِ
ما يَسْتَجِدُ من الأيام والحقَّ
لا شيء كالعلمِ يُدْنِي نَفْسَ صاحبهِ
من الحياة ويُقصِّيها عن الشَّجَبِ^(١)
وليس كالعلم لـالعلياء من درجِ
وليس كالعلم لـالنعماء من سَبَبِ
لم يُبْدِلِ الجَدْ خصباً غير مُمْطَرِهِ
للنَّاسِ من هذه الأفرادِ والعُصَبِ
ولا يَمِينَ اجتننت إلا ببساطةِ
ثمار نازحةُ الْخِيراتِ عن كَثْبِ
الشَّرقِ والغَربِ قد نالا به رُتبَّا
جَلَّ عن الوصفِ بالأشعارِ والخطبِ
لولا العلومُ لـما أبصَرْتُم أحداً
يرقى إلى الرتبةِ العلياء في الرُّتبِ
ولم تَرَوْ أمةً في الناس ساحبةً
كما تريـد ذيـول المـجد والـذهبِ
وليس لـالـطلـبِ المـطـلـوبِ أونـةً
كـهـذه فـابـذـلـوا المـجهـودـ فيـ الـطـلـبـ
وـثـابـرـوا وـاستـحـثـلـوا كـلـ منـ فـتـرـتـ
مـنـكـمـ عـزـيمـتـهـ أوـ مـالـ لـأـعـبـ

(١) الشجب: الهلاك.

حتى نرى الوطن المحبوب مشتملاً
 من مجدكم بثياب المفخر القشبي
 يا أيها النَّشء ما كانت جدودكم
 يَرْضَوْنَ إِلَّا بِسَبَقِ النَّاسِ وَالْغَلَبِ
 وَلَا سَبِيلٌ إِلَى سَبَقٍ وَلَا غَلَبٌ
 لِعَادِلٍ عَنْ سَبِيلِ الْعِلْمِ مُجَتَّبٍ
 فَاتَّعْبُوا فِي التَّمَاسِ الْعِلْمِ أَنْفُسَكُمْ
 تُثْنِيَا إِذَا انْجَلَتِ الْعُقُبَيْ عَلَى التَّعَبِ
 لَوْلَا مَتَاعُ عُرَّاسِ النَّخِيلِ لَمَا
 جَنَّتْ أَكْفُهُمْ شَيْئًا مِنَ الرُّطْبِ
 مِنْ يَعْرِفُ الْغَايَةَ الْمُثْلَى تَطَأَّبُهَا
 مَهْمَا رَأَى سُبْلًا هَا تَرْمِيهِ بِالنَّصْبِ^(١)
 مَا كَانَ حَبْلٌ عُلَامَ نَحْنُ نَسْأَلُهُمْ
 - لَوْلَمْ نَكُنْ نَحْنُ جُهَّالًا - بِمَنْ قَحِبَ
 وَلَا اتَّصَالَ لَهِ إِلَّا بِعَالَمِكُمْ
 فَعُنْ سَوَى أَخْذِهِ كَوْنُوا ذَوِي نَكَبَ^(٢)
 تَعْلَمُوا تُرْجِعُوا مَا انْبَثَ مَتَّصَلًا
 فَمَنْ يَرْمُ مَطَلَّبًا بِالْعِلْمِ لَمْ يَخِبِ^(٣)
 فَلَيْسَ بِالْعِلْمِ كَسْرٌ غَيْرَ مَنْجِبٍ
 وَلَيْسَ بِالْعِلْمِ نَاءٌ غَيْرَ مَقْتَرٍ
 مَا لَيْ أَبْثُ مَزَایِاهُ وَلَيْسَ عَلَى
 وجوهِهَا الْفَاتِنَاتِ الْحَسَنِ مِنْ حُجْبٍ

(١) النصب: التعب والإعياء.

(٢) النكب: العدول والنكس.

ما كُنْ قَطُّ إِلَى الإِبْرَازِ فِي عَزَّزٍ
فَقَدْ بَرَزَ بِوْجَهٍ غَيْرِ مُنْتَقِبٍ
وَصَفَحَةُ الشَّمْسِ تَغْنِي كُلَّ ذِي نَظَرٍ
عَنْ وَصْفِهَا بِالْسَّانِ الْقَائِلِ الدَّرِبِ
لَكُنْ تَغَنَّى الْفَتَى بِالْحَسْنِ يُطْرَبُ
وَقَدْ تَغَنَّى تُأْبِغِي لَذَّةَ الطَّرَبِ

بين العربي والسفب

ذكرتُم كلَّ شيءٍ كان مقتضيَا
إصلاحَكُمْ ونسأَتُمْ خادِمَ الأدبِ
وقد ألوذُ برِكنِ الصبرِ منتظراً
نحوِي التفاتِكمُ المرجوُّ عن كتبٍ^(١)
لو كان سالِفُ عهدينا لحاضِرِنا
أبقى من الصبرِ ركناً غيرَ مضطربٍ
ما زلتُ من فاقتي في من قصى ومضى
أشكُوا الإقامة بين العُري والسفَبَ^(٢)
فهل من العدل أن أبقى تُناوِينِي
أيديِ النوابِ إعساري وتلعبُ بي^(٣)
الليس من واجبِ الآدابِ أخذنُكُمْ
بكفِّ خادِمِها المُشفِ على العَطَبِ

(١) عن كتب: عن قرب.

(٢) السفَب: الجوع.

(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللهب به.

اتحاد مصر وسوريا^(١)

بَيْنِ (شَكْرِي) وَ(جَمَالِ) الْعَرَبِ
خَيْرٌ حِلْفٌ مُوصَلٌ لِلأَرَبِ
أَنْبَعَاهُ بِإِتْحَادٍ صَارِفٍ
- مِثْلَ مَا نَهَرَى - صَرُوفَ النُّوبِ
إِتْحَادٌ سَرَّ جِدًا كُلُّ مِنْ
قَدْ نَمَاهُمْ يَعْرَبُ الْحُرُّ أَبِي
إِتْحَادٌ مَجْدُ أَقْوَامِي رَأَى
لِرَحَاهُ مِنْهُ أَزْكَى قُطْبٍ
إِتْحَادٌ حَيْنٌ بُشِّرْتُ بِهِ
قَاتُ لِلْقَابِ الْحَزِينِ الْحَرِبِ
يَا حَزِينًا لِلتَّنَائِي بِيَنَنَا
قَدْ تَدَانِيَنَا فَصَفْقٌ وَاطَّرَبَ
إِتْحَادٌ مَالِهِ خَادِيٌّ إِلَى
مَعْقَلٍ إِلَاهٍ مِنْ مَنْتَهَى أَبِي
فَلِعَدْنَانٍ إِلَيْهِ كَلَّا هَا
كُلُّ شَوْقٍ مِثْلَهُ مِنْ يَعْرَبٍ
فَهُوَ الْمَنْجِي لِهِمْ فِي عَالَمٍ
مُسْنَبٍ بِالْأَرْجَاءِ طُرَّارًا مُذَئِبٍ
فِيهِ لَا يَنْجُو مِنْ الْفَرْسِ سَوَى
بَارِزِ النَّابِ حَدِيدِ الْمَخَلَبِ

(١) قالها في ٢٢/١٩٥٨.

وَاتْهَادُ الْقَوْمَ أَقْوَى مَا ثَنِي
لَهُمْ أَمْنًا شَدِيدٌ الرَّهْبَ
كَالَّذِي الْحُرَّانَ جَاءَنَا بِهِ
مُذْنِيًّا مِنَا جَمِيلَ الْمُطَلَّبِ
نَأْمَلُ الْأَجْمَلَ مِنْهُ كَأَمَّا
قَدْ تَنَمَّى فِيهِ الْيَوْمَ صَبَّيِ
فَإِشْ كَرِي خِيرُ شَكَرٍ مُثَلَّهِ
لِجَمَالٍ مُعْتَلِي الْقَدْرِ الْأَبِيِ
اسْتَخْيَئِي بِهِمَا يَا أَنْفَسًا
تُهْنَ في ظَلَمَاءِ ظُلْمِ الْأَجْنَبِيِ
فَكِلا الْحُرَّينِ بِدُرُّ طَالِعٍ
فِي بَنِي الْخَادِلِ كَشْفَ الْغَيْبِ^(١)
وَظَلَامُ الْظَّلَمِ مُنْجَابٌ بِمَا
أَرْسَلَاهُ مِنْ سَنَّا مَالَتْ هِبَّ
بِعْضُنَا الْيَوْمَ يَهْنِي بِعَخْنَانَا
بِكَ يَا عَيْدُ وَمَا مِنْ عَجَبٍ
خِيرُ عَيْدٍ أَنْتَ عَنْهُ ارْتَفَعْتَ
لِعَيْنِ الْعُرْبِ حُجْبُ الْحِقَبَ
أَيُّ عَيْدٍ مُشَبَّهٌ مَا أَخْمَمَنَا
بَعْدَ تَشْتِيتِ الزَّمَانِ الْمَذْنَبِ
أَنْتَ عَيْدٌ طَولَ مَحِيَانَنَا
وَإِذَا مَتَنَا فَعِيدُ الْعَقِبِ^(٢)
بِكَ أَرْضَانَا زَمَانُ طَالِيَا
قَدْ رَمَانَا بِالْمُؤْشَتِ الْمَغْرِبِ

(٢) العقب: العاقبة، وهذا يريد من يعقبنا ويأتي بعدهنا.

يَا رَئِيسَيْنَا مُرَانَا نَائِمٌ
 بَعْدَ هَذَا وَادْعُوْنَا نُجِبِ
 لِكُمَا الْوَحْدَةُ لَمْ تَتَرَكْ سَوِي
 كُلَّ مَصْنَعٍ مِنْ فَتَّىٰ أَوْ أَشْيَبِ
 وَيَقُولُ الْكُلُّ عَمَّنْ عَنْكَ مَا
 ثَقَاتُ مِنْهُ الْخَطْيَ لَمْ يُصِبِ
 جَئْتُمَا - بَعْدَ عِيشٍ يَشْتَكِي
 خَبَثَ الْكُلُّ - بَعْدَ عِيشٍ طَيِّبِ
 بِكُمَا الْيَوْمِ تَأْتِي وَحْدَةٌ
 قَوْبَلَتْ مِنَا بِالْأَفْلَى فِي مَرْحَبٍ
 قَدْ لَمْسَنَا الْكُنْهَ مِنْهَا صَادِقاً
 لَا خَيَالًا إِنْ تَرَاءَيْ يَكْذِبِ
 وَحْدَةٌ فِيهَا رَأَيْنَا بَرْدَى
 نَيْلَ مَصْرِ وَهِيَ شَطَرَا حَلَبَ
 لَمْ نُعَقِّلْ قَطُّ فِي الْحَيَا عَلَى
 شَبَهَهَا حَصَنًا وَلَمْ نَجِذِبَ
 وَحْدَةٌ لَا نَتَمَنَّى فَوْقَهَا
 غَيْرَ أَنْ تَبْقِي بِقَاءَ الشَّهَبِ
 مَشْرِقُ الْعُرْبِ يَلْقَى مَسْهَلًا
 مَثَلَهُ فِيهَا أَخَاهُ الْمَغْرِبِيِّ
 أَمْطَرَتْنَا سُبُّ مُلْبِسَةً
 يَابْسَ الْحَيَا أَخْضَرَ الرَّعْشُبِ
 وَإِذَا شِمْنَنَا رَأَيْنَا مَدَدًا
 قَافِيًّا أَثَارَ تَلَكَ السُّبُّبِ

فإذا السُّحبُ تلقت فالمني
 ثم ما منها أطّبى أو يطّبى^(١)
 وحده لليس سواها دافعاً
 عنكم الطمّاع جم الشّغب
 إنه كان ولم ينبرح كما
 كان من قبل مخوف الكَلَبِ
 ما رأى شعباً ضعيفاً مرّاً
 وءا يه لم يغُرْ أو يثب
 وهي في الذود أراها إن عدا
 أهْبَاهْ تَفْ خُلُكُلَ الأهَبِ
 كم لنا شعب حبيب يشتكي
 منه شرّاً باللسان المُعرِّب
 اذكروا شعب عُمانِ والذى
 يتلقى من مبيد الشّجب
 وفي سطين التي ما تركت
 دمعةً من أدمعي لم تُسْكَب
 وفرنسا والذى تطرحة
 فوق إخوان لنا من عَطَاب
 دون ما ذنب سوى مطمعه
 الْمُرِيناهْ بثوابي أشعـب^(٢)
 ليس الاستعمار عنكم يرعوي
 ما رأى صدعاً بكم لم يُرَأب^(٣)
 إنه الذئب الذي إن سُنحت
 فرصةً يظهر ولا يختبى

(١) أطباه يطبيه: استعماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطبع. والمريناه: الذي يربينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لِوَرَأْيِ الْوَحْدَةِ هَذِي مَا رَمَى
 أَهْدَا مَنَا بِإِحْدَى الْكُرَبِ
 فِي الْوَحْدَةِ يَا قَوْمِي لِكِي
 تَأْمَنُوا شَرَّكُثِيرِ الرِّبِّ
 لَمْ يَنْأِنَا مِنْ بَعِيدٍ شَرُّهُ
 قَبْلَ أَنْ تُشْتَتَ أَوْ عَنْ كَثِيبِ^(۱)
 أَمْتِي الدَّهْرَ عَلَيْهَا اعْتَمَدَي
 وَعَلَى صَوْنِ نَوَاحِيهَا ادَّأَبَي
 نَقْمَهُ كَبْرَى عَلَى اسْتَعْمَارِهِمْ
 إِنْ رَاهَا تَتَاظَّى يَذْبَ
 وَإِيْنَا نَعْمَلُ فِي دُعَوَتِي
 نَحْوَهَا سَابِقَ شِعْرِي خُطَّبِي
 طَالَّا رَحْتُ أَغْنَيْكُمْ بِهَا
 قَبْلَ شَيْبِي لِيَتَنِي لَمْ أَشِبِّ
 كِبَرِيَ عنْ أَنْ أَغْنِي مُوهِنُ
 بِأَسَاهُ قَوْتِي وَالْوَصَبِ
 لَكِنِ الْوَحْدَةُ سَرَّتِنِي كَمَا
 سُرَّ بِالْفَيْثِ فَرَوَادُ الْمَجَدِ
 وَشَفَتَ مِنِي الْقَوْيِ فَاتَّجَهَتِ
 كَأُلُّهَا خَلْفَ الْقَوْافِي الْغُيَّبِ
 وَلَكُمْ قَوْتُ ضَعِيفًا فَارْحَةُ
 فِرَأَيِ الْرَّاحَةَ بَعْدَ التَّئَبَ

(۱) عن كثب: عن قرب.

شهرآب^(١)

أَعَبْدَ الْمُحَسِّنِ الْقاضِي بِعَدْلٍ
وَفَصَلٌ فِي الْقَضِيَّةِ وَالْخُطَابِ
إِلَى عَلَيَّا إِلَيْكَ الْأَشْوَاقُ تَدْعُونِ
فَأَنْهَضُ لِلْإِجَابَةِ جَدًّا صَابِي^(٢)
فِيَقْعُدُ بِي اشْتِدَادُ الْحَرَّ عَنْ أَنْ
تَكُونَ زِيَارَتِي لَكَ مِنْ جَوَابِي
فَأَقْعُدُ قَائِلًا حَسْبِي جَوَابًا
لِصَوْتِ الشَّوْقِ دَمْعِي وَاكْتِئَابِي
وَيَكُونُ فِي بَعْضِ أَجْوَبَتِي إِذَا مَا
شَمَاسُ جَمِيعِهَا عَزًّا اقْتَصَابِي^(٣)
فَإِنْ نَامَتْ عَيْنُونِ الْحَرَّ يَوْمًا
أَرْتُكَ إِلَيْكَ أَشْوَاقِي انجَذَابِي
وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَلْفُ مِيلٍ
فَأَقْنَعُ مِنْكَ فِي ذَاكَ الْجَوابِ
وَهُلْ أَرْضَى بِذَاكَ وَأَنْتَ مِنْمَنْ
يَحَاوِلُ هِمَّةً مِسَّ السَّحَابِ

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.

(٢) الصابي: المشتاق.

(٣) الشماس: الجمود. عز: غلب. والاقتضاب: الاختصار.

وَأَمّْا الْيَوْمَ تَجْذِبُنِي فِي أَبِي
 مِنَ الْحَرَّ انجذابِي شَرَّ آبٌ^(١)
 وَكُنْتُ إِذَا نَوَيْتُ وَجَدْتُ عَزْمِي
 لِمَا أَنْوَى مِنَ الْحَصْمِ الْحَسَلَابِ
 وَذَلِكَ فِي شَهْرِ الدُّعَامِ طُرًّا
 إِذَا اسْتَثْنَيْتُ مِنْهَا شَهْرَ «آب»
 يُذَبِّ الْحَرَّ عَزْمِي فِيهِ حَتَّى
 يَهِمُّ الدُّوَبُ مِنْهُ بِأَنْصِبَابِ

□

(١) آب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى المتنع من أبي يأبى وذلك منعاً لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبد المحسن البابطين بهذه القصيدة:

أصقرُ من حوى العليَا فأشحى
فريداً في الشيوخ وفي الشباب
أتاني منك نظمٌ كاللالي
فزال به من الأحزان ما بي
أتى فقرأه فشمت منه
في الله ذلك من كتاب
لعمرك ما سمعنا قبل هذا
بأن اللفظ يُسْكِر كالشَّراب
وقالوا أنتَ في الشعراء فردٌ
ولكن في الكويت بلا ارتياه
لقد بَخَسُوك حَقَّكَ يا أديباً
وما كانوا بذلك على صواب
فإنك شاعرُ الدنيا جميعاً
وماذا صاح بالشيء العجب
فكما معنى أتيت به غريباً
وكم أعجبت قوماً في خطاب
وكم أنهضت شعيراً من خمولٍ
فهم لولاك كانوا في ثباب
ألا يا سيدَ الشُّعراء عطفاً
على صبٍ مشوقٍ ذي اكتئاب
قطعت إلى اللقاء تسعين ميلاً
وفيهما ذقت أنواع العذاب

وقد أعياك عني قطع ميلٌ
 وبالتحقيق يقصُّ عن حسابي
 وما زرت الـكـويت لأجل شيءٍ
 سـوى أني إلى الأـباب صـاب
 ومن عـجب جـعلـتـ الـحرـ عـذـراً
 وما حـرـ يـردـ عن الصـحـاب
 إذا لم تـأـتـنـي وـأـقـرـيبـ
 فـسـيـانـ بـعـادـي وـاقـتـرابـي
 وما لـي عـنـكـ من عـذـرـ مـبـينـ
 وكـيفـ وـأـنـتـ في شـرـخـ الشـبابـ
 وـحـاشـاـ أـنـ تـهـبـ عـالـيـكـ مـنـيـ
 وإن حـصـلـ الجـفـاـ - رـيـحـ العـتابـ
 أـتـيـ نـاكـمـ بـتـمـ وزـفـيـهـ
 لـكـمـ عـزـمـ منـ الصـمـ الصـلـابـ
 فـكـيفـ قدـ اـنـثـنـيـ يـاـ خـلـ عـنـيـ
 وـهـلـاـ عـادـ صـلـبـاـ فيـ غـيـابـيـ
 أـلاـ رـفـقـاـ بـعـزـمـكـمـ لـكـيلاـ
 يـهـمـ منـ الحرـارـةـ بـاـنـصـبـابـ
 وـقـالـ النـاسـ مـاـ لـشـيخـ صـقـرـ
 أـعـدـ الـوـصـلـ بـرـكـانـ انـقلـابـ؟
 لـقـدـ سـاعـتـ ظـنـونـ الـقـومـ فـيـنـاـ
 وـقـالـواـ الزـورـ يـاـ عـالـيـ الـجـنـابـ
 فـقـمـتـ أـغـالـطـ الـأـعـدـاءـ كـيلاـ
 تـزـيدـ شـمـاتـةـ الـأـعـدـاءـ مـصـابـيـ

أَمَا وَاللَّهُ لَوْ يَا صَقْرُ تَدْرِي
بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ فَرْطٍ اضْطَرَابٍ
لَطَرَتْ إِلَى الْلَّاقَابِ جَنَاحَ عَزْمٍ
وَلَمْ تَسْتَثِنْ عَنْ نَاشِهِرَ آبٍ
وَمَا أَنَا عَنْ دَكْمٍ فِي شَهْرَ آبٍ
وَلَكَنْ جَاءَ آبٌ فِي إِيَّابٍ
فَهَذَا مَا جَرَى فَاحْكُمْ بَعْدٌ
فَإِنَّكَ فِي الْقَضْيَةِ لَا تَحْاَبِي

نُبْ يَا شِعْرَ عَنِي^(١)

لِعَبْدِ الْمُحَسِّنِ الْحُرُّ الْأَبَابِ
تَحْمِلُ مَا تُطْبِقُ مِنَ الْعِتَابِ
وَأَفْصِحْ فِي الْعِتَابِ وَلَا تَأْجُلْ
كَدَائِكَ فِي مَعَاتِبِ الْحَسَابِ
وَنُبْ يَا شِعْرُ عَنْدَ الشَّيْخِ عَنِي
مَنَابِكَ فِي نَوَائِبِ الْحَسَابِ
فَعِنْ قَوْسِ التَّهْكُمِ قَدْ رَمَانِي
بِسَهْمِ لَمْ يَكُنْ لِي فِي حَسَابِي

...

بَعْثَتَ لَنَا بِهَا صَهَبَاءَ فَاقَتْ
فَلَيْسَ لَهَا ضَرِيبٌ فِي الشَّرَابِ
لَهَا حَبَبٌ بِدُرُّ الْبَحْرِ يُزْرِي
وَلَكُنْ تَحْتَهُ سُمُّ الْحُبَابِ^(٢)
مِنَ الْهَزِءِ السَّمَامَ دَسَسْتَ فِيمَا
لَنَا أَهْدَيْتَ مِنْ رَاحِ الْجَوَابِ
فَلَوْ أَتَّا عَلَى غَفَلٍ عَبَّبْنَا
بِهَا لَمْ نَصْحُّ مِنْ سُكْرِ الْمُصَابِ^(٣)

(١) وما وقف الشاعر على جواب القاضي عبد المحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، رد عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.

(٢) الحباب: الحياة.

(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبل أن نَحْسُو أطْلَانا
 تَأْمَلُنا بِمُنْظَرِهَا الْعُجَاب
 فَأَنْبَأَنَا تَأْمَلُنَا رُواهَا
 بما فيها الناقد كنتَ خابي^(١)
 فِي ابْنِ سَمِّيٍّ خَلَّ اللَّهُ كَنَا
 نَظِنُّكَ غَيْرَ مَرْهُوبٍ الْخِلَاب^(٢)
 فَقُلْ لِي مَا دَعَاكَ إِلَى صَنْيَعٍ
 مَثِيرٌ فِيكَ شَكَّيْ وَارْتِيابِي
 لِعَالَكَ قَدْ جَهَلتَ أَمْنَ نُخَارٍ
 صَدِيقُكَ صَيْغَ أَمْ هُوَ مِنْ تُرَابٍ
 فَجَئْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ مِنْهُ تَجْلُو
 بِذَاكَ الصُّنْعِ مَسْدُولَ النَّقَابِ
 لِتَصْبِحَ مِنْهُ - تُرْبَيَا - فِي ابْتِعَادٍ
 وَتَصْبِحَ مِنْهُ - تِبْرَأً - فِي اقْتِرَابٍ
 وَذَلِكَ عَنْدَ أَهْلِ الْحَزْمِ مَعْ مَنْ
 غَدا مَثْلِي يُعْدُّ مِنَ الْحَسَابِ
 فَإِنَّ حَقَّ يَقْتِي عَنْ كُلِّ مَنْ لَمْ
 يُجَالِسْنِي طَوِيلًا فِي احْتِجَابٍ
 وَمَعْذُورٌ عَلَى فَحْصِي وَلَكِنْ
 وَدِدْتُ بِأَنَّهُ صَافِي الْخِضَابِ
 لِي... بُرَغَرْ كُنْهِي دون عَالَمِي
 بِشَيْءٍ مِنْ مَثِيرَاتِ اضْطِرَابِي
 فَعَالَمِي بِابْتِلَائِكَ كُنْهَ نَفْسِي
 يَؤْلِفُ بَيْنَ قَلْبِي وَاكْتِئَابِي

(١) الخابي: المخفي مخففة من الخابي. والرواء: حسن المظهر.

(٢) الْخِلَابُ وَالْمَخَالِبَةُ: الْخَدَاعُ وَالْمَخَادِعَةُ بِلَطِيفِ الْكَلَامِ.

لأنني بعد فحشك لست أدربي
 أحظى الوصولُ منك أم اجتنابي
 وما بي حين أفحصُ من هناءٍ
 فلم تُشدَّدْ على عيبِ عيابي^(١)
 فأخذت عن معيبِ الكُنهِ مني
 يكون على يدِ الفحصِ انجيابي
 ولكنني أخافُ الفحصُ يُخطي
 فيُبدي الأسدَ في صُورِ الذئابِ
 وكم أبدى من المُباؤْ كُنها
 ضلالُ المبتَأين على انقلابِ
 وما بِكَ حين تَبَلُّو من غباءٍ
 فأخذت أن تجورَ ولا تَغابي
 وكيف وأنتَ أذكاناً فرؤاداً
 وأبعَدَ من قَضى من آنْ يُحابي
 ولـكـنـي أحـاذـرـ سـوـءـ حـظـ
 إلى تشويهِ كـنـهـي جـدـ صـابـي
 وذلك من ظـنـونـي ما عـالـيـهـ
 بما قد جـئـتهـ وقعَ انتخابـي
 فإنْ قـرـطـسـتـ من هـدـفي كـلـاهـ
 بـسـمـ الـظـنـ فـالـإـقـصـادـ دـابـيـ^(٢)
 وما فـوـقـتـ من ظـنـنـي سـهـامـاـ
 إلى غـرـضـ فـكـنـ من التـنـوابـيـ^(٣)

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيقة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنه فلم يخطئه والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوق السهم: جعل له فوقا. والفوق: مثقب رأس السهم.

وإنْ أشَوَى الْحَقِيقَةَ سَهُمْ ظَنِي
 فَمَا كُلُّ السَّهَامِ مِنِ الْحَسِيبِ^(١)
 ولولا مَا انتَطَوْتُ قَابِي عَلَيْهِ
 لِجَدْكَ مِنْ وَدَادِ مِنْ تَطَابِ
 لَأَهْمَلْتُ الْعَتَابَ وَلَمْ أَحَاوِلْ
 بِهِ إِنْعَاشَ طَرْفَكَ وَهُوَ كَابِي^(٢)
 يَعَاطِبُ إِنْ كَبَوْتَ صَحِيحَ وَدِ
 وَيَغْخَسِي عَنْكَ ذُو الْوُدُّ الْكِذَابِ
 وَمَأْمُولُ لَدِيكَ الْعَفْوُ إِمَّا
 تَجِدُّ مِنِي اشْتِدَادًا فِي خَطَابِي
 فَإِنْ شَدَائِدَ الْأَيَامِ أَعْدَتْ
 مَقَالِي الْيُبْسَ وَهُوَ مِنَ الرِّطَابِ
 تَرُوحُ عَلَيِّ أَيَامِي وَتَفَدُّو
 بِمَا مِنْ دُونِهِ وَخْزُ الْحِرَابِ
 يَحْمَلُّنِي رِزَاعِاهُ زَمَانُ
 عَلَى أَحْرَارِهِ جَمُ الْخُبَابِ^(٣)
 فَتَأْرِزُ كُلُّ يَمِّ وَمِنْ تَحْتِ رَزِّ
 جَدِيدٌ حَمَلَهُ مُعْنِي الْهِخَابِ
 فَمِنْ رَزِّ شَدِيدِ الْوَقْعِ ماضٍ
 يَرِيكَ الشَّيْبَ فِي فَوْدِ الْغُرَابِ^(٤)

(١) أشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلا.

(٢) الكابي: الذي يكبوا أي ينكب على وجهه.

(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.

(٤) الفود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إِلَى رَزِّ أَشَدَّ عَالَيْ وَقَعًا
 وَأَحْرَقَ لِلْفَوَادَ مِنَ الشَّهَابَ
 كَأَنِي كُنْتُ لِلْأَرْزَاءِ ظَهِيرًا
 وَطَيْنًا فَهِيَ مِنْهُ عَلَى اعْتِقَابٍ^(١)
 فَمَا أَنْفَكُ مِنْ عَظْمِي لِعُظَمِي
 مِنَ النَّكَبَاتِ مَشْدُودَ الْحِقَابَ
 أَمِنَ حَجَرٍ عَلَيْ فَوَادُ دَهْرِي
 فَكُمْ أَشْكُو وَمَا يَرْثِي لَمَّا بَيْ
 فَلَا تَعْجَبْ إِذَا مَا اجْتَرَتْ هَمَّا
 لِشَيْبِي قَبْلَ مَرِي بِالشَّبابَ
 كَمَا تَجْتَازُ أَسْهُمَةَ لِقَابِي
 فَتُصْمِيهِ وَمَا خَرَقْتُ إِهَابِي^(٢)
 فَمَا سَيْرُ افْتَنَانِ الْهَمِ بِدُعَا
 إِلَى عِمَرَانَ قَلَبِي بِالْخَرَابِ
 وَحَسَبَكَ أَنَّنِي أَعْمَى مَقْلُ
 مَخَاعِ فِي الْكَوَافِيتِ بِلَا طِلَابِ
 وَمَا اسْتَعْذَبْتُ لِي فِيهَا مَقَامًا
 وَكَيْفَ وَقَدْ أَقْمَتْ عَلَى عَذَابِ
 وَكُمْ عَنْهَا وَدِدْتُ إِلَى سَوَاهَا
 بِجَدْعِ الْأَنْفِ أَنْ تَسْعَى رَكَابِي
 وَلَكِنْ حَالَ مَا بَيْنِي قَضَاءُ
 أَصْمُ وَبَيْنِ مَوْدُودِ الْهِبَابِ^(٣)

(١) هي على اعتقاد: يتلو بعضها بعضًا.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) الهباب: التنشاط والسرعة.

يَكُرْ عَلِيًّا «أَيْلُولٌ» مُغَيَّثًا
 فِيْ خَمْدَبَرْدَهْ نِيرَانَ «آبٌ»
 وَلَكِنْ مَا لَأَيْلُولٍ سَبِيلٌ
 إِلَى مَا فِي الْخَلْوَةِ مِنَ التَّهَابِ
 فِيمَضِي مَثْلَمَا يَأْتِي حَمِيدًا
 وَجَمْرُ أَسَى فَوَادِي غَيْرُ خَابِي
 فَمِمَّا كَانْ يُوهِي الصَّبَرَ حَتَّى
 تَدَاعَى حَبْلُ صَبَرِي بَانِقْخَابِ
 مَقَامِي صِفْرَ كَفٌّ فِي أَنَاسٍ
 تَعْدُدُ الْمُعْسَرِينَ مِنَ الْكَلَابِ
 يُقَوْمُ بِالثِّيَابِ الْمَرْءُ فِيهِمْ
 وَإِنْ زُرَّتْ عَلَى لَقْمَ وَعَابٍ^(١)
 فَمَوْصُولُ قَشِيبُ الثَّوْبِ مَهْمَا
 تَغَلَّلَ مِنْ خَنَاهُ فِي شِعَابِ
 وَمَهْمَا كَانَ مِنْ جَهْلٍ مُبِيرٍ
 عَمِيمُ الْخُرُّ مَلَانِ الْوِطَابِ
 وَمَهْمَا كَانَ عَنْ غَدَرٍ وَمَكْرٍ
 بِمِنْ أَخَاهُ مُنْجَابَ الْخَبَابِ
 وَأَمَا طَاهِرُ الْأَذِيَالِ يَبْدُو
 بِأَطْمَارِ فَمُجْ تَنَبُّ الْجَنَابِ
 وَهَبْهَ كَانَ مِنْ أَدْبٍ وَعَالَمٍ
 غَزِيرُ الْبَحْرِ جِيَاشِ الْعُبَابِ

(١) زَرَتْ: ضَمَتْ وَجَمَعَتْ. وَعَابَ: الْعَيْب.

وَهَبْ لَاهُ جَايَا رائِقَاتٍ
 زواهرَ فائِقَاتٍ ذا احتِقَابٍ^(١)
 فلَيسَ السيفُ عندَ الْقَوْمِ سِيفًا
 بشِفَرَتِهِ ولَكِنْ بِالْقِرَابِ^(٢)
 وَيَفْخُلُ حِينَ يُكْسِي الْبَغْلَ جُلًّا
 لِدِيهِمْ عَارِيَ الْخَيْلِ الْعِرَابِ^(٣)
 فَلَوْ أَنِي اسْتَطَعْتُ لِبَعْتُ فِيهِمْ
 حُلَى أَدَبِي الْكَرِيمَةِ بِالثِيَابِ
 لِأَسْمَعَ مَقَةَ بَلَأَ أَهْلًا وَسَهْلًا
 مِنَ النَّائِي وَذِي النَّسْبِ الْقِرَابِ^(٤)
 وَتَفْقِدُ مَدِيرًا أَذْنَائِي مِنْهُمْ
 سَمَاءُهُمَا مَقَالٌ إِلَى الْذَهَابِ^(٥)
 هَنَالِكَ تَطْبِينِي لِاجْتِمَاعِي
 بِشَعْبِي - لِاعْتِزَالِي - الطَّوَابِي^(٦)
 لَا بِي قَدْ ذَهَلْتُ فَمِنْ ذَهَولِي
 مَزْجُ الصَّابَ بِالنُّطْفِ الْعِذَابِ^(٧)
 أَرَدْتُ الشَّهْدَ مِنْ قَوْلِي عَتَابًا
 بِلَا مَزْجٍ مِنَ الشَّكْوَى بِصَابِ
 وَلَكِنْ قَدْ أَبَى مَا شَئْتُ مَمَّا
 أَكَابَدَهُ مِنَ الْأَحْزَانِ أَبَى

(١) احتقبه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السالمة من الهجننة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث ألت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

فإن أخلط وأخبط فاعف واعذر
على خلطني وخبطي في كتابي
فليس يلوم من يشقى شقائي
لبيب حين ينطق بائتشاب^(١)

****[]

(١) الائتشاب: الاختلاط، أي حين ينطق بالقول المشوب بالكر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أش مس أش رقت أم ذي لالي
بحسن النظم صيغت في كتاب
نعم هذا كتاب من خليلٍ
تحامل فيه في رد الجواب
تؤهم أنني أدمجت فيما
أناه ما يقول إلى انقلاب
فما كان التهكم قط دأبي
ولا سيما التهكم بالحثّاب
وما من موجب لاهزء حتى
أوججه لثاك في خطابي
لقد شوشت نفسك في ظنونٍ
وساوس صرت منها في اضطراب
فهب بعض الظنون تصيب لكنْ
بعيد ما ظننت من الصواب
شئت الفارة الشعواء حتى
أتيت من القرىض بآلف باب
فما بيوني وبينك قط شيءٌ
من الأحقاد يا سامي الجناب
لغمر الله أني عنك راضٍ
وراض بباب تعاد واقتراقب
فما أحلى عتابك في فؤادي
وإن عدده من قطع العذاب
تقول وكيف عيشي في أناسٍ
(يرون المُمْلَقين من الكلاب)

نَعَمْ إِنَّ الْمُمْقَلَّ بِكُلِّ دَارِ
 وَإِنْ حَازَ الْمَعَالِي بِاِكْتِئَابِ
 وَأَكْثَرُ مَنْ تَرَاهُ مِنَ الْبَرَايَا
 وَإِنْ قَرُبُوا نَزَابُ فِي ثِيَابِ
 فَذُو الْآدَابِ كَالْمَجْذُومِ فِيهِمْ
 فِي جَنَانِ بَوْنَهِ شَرَّاجِتِنَابِ
 وَهُلْ أَبْصَرْتَ ذَا أَدَبِ بَعِيشِ
 هَنَىءِ مِنْ شَيْوخِ أَوْ شَبَابِ
 فَإِنْ جَمِيعَ مِنْ تَلَقَاهُ مِنْهُمْ
 يَعِيشُ بِقَوْمِهِ عَيْشَ اغْتِرَابِ
 وَإِنْ تَنْظَرْ إِلَى مُتَّقَدِّمِيهِمْ
 تَرَ التَّارِيخَ يَقْضِي بِالْعُجَابِ
 فَطِبْ نَفْسًا فَنَحْنُ قَدْ اسْتَوْيَنَا
 بِمَا نَشَكُوهُ مِنْ هَذَا الْمُصَابِ
 أَلَا تَعْسَأْ لَدْهَرِ مِنْ قَدِيمِ
 إِلَى الْأَوْيَاشِ وَالْجُهَّالِ صَابِي
 يَحَارِبُ ذَا الْكَمَالِ بِكُلِّ أَرْضِ
 فِي صَمِي الْلَّبِّ فِي وَخْرِ الْحِرَابِ
 عَدُوُّ لَا يَهْدَنُ فِي حَرَوبِ
 وَلَا يَصْغِي لِعَذْلٍ أَوْ عَتَابِ
 فَمَا لَكِ يَا غَضَنْفُرُ فِي عَرَبِينِ
 أَطْلَتَ بِهِ الْمَقَامُ عَنِ اِكْتِسَابِ
 فَئَرُ وَجْبِ الدُّنْـا بِثِبَاتِ جَائِشِ
 فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسْعَـةُ الرُّحَابِ
 وَكَنْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَاءِ يَحْلُو
 وَيَلْطُفُ بِالْمَجِيِّ وَبِالْذَهَابِ

ريح من عتاب^(١)

عليك أثرت ريحًا من عتابي
لتمري منك أخلاق السحاب^(٢)
لعلمي أن مزنك ليس يسقي
إذا استسقيت غير المستطاب
وها هوذا همي فوقى إلى أنْ
أزال من الصدا كل التهاب
وأنبت في وهاد النفس مني
كلا السلوى الحميدة والروابي
ولولا تأكم الأرواح ثارت
لما جادت سماوك بانسكاب
ولم أسمع لمرعديك من دويٌّ
بافق الشعر منك ولا اصطخاب
ولا شِمتُ القوافي مُبرِقاتٍ
يُخَيَّن إلى صوابي لي شعابي^(٣)
ولا أصبحت من غرقي لخوفي
إذا لم يصح أفقك في اضطراب
فإنك فِي خُسْت حتى صرت أخشى
رجوع الأمْر فيه إلى انقلاب

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعتذر فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.

(٢) مرى الناقة يمر بها: مسح ضرعها لتمر، والخلف: الضرع وجمعه أخلف.

(٣) شامة: نظر إليه.

فَإِنَّ الْعَذَابَ إِمَّا زَادَ يُرْجِعُ
عُذْوَبَتَهُ الْمَزِيدُ إِلَى عَذَابٍ
فَحَسِبَيْ منْ حَيَا إِنْ دَامَ يَغْرِقُ
صَدِيقُكَ مِنْهُ فِي الْأُلْجَى الْعِذَابِ
فِيَا ابْنَ سَمِّيٍّ خَلُّ اللَّهِ أَمْسِكَ
فَإِنِّي مِنْ مُفَيْضِكَ فِي عُبَابٍ
وَلَيْسَ لَدِيْ فِي غَرَقٍ - إِذَا لَمْ
تُكَفِّدْ مَا أَفْخَسْتَ - مِنْ ارْتِيَابٍ

عذرك يكفيني

أحاول أن يكون على الكتاب
من المنثور مشبهه جوابي
فيقعد بي خمود الذهن عما
أريد من النثر المستطاب
فإن تغدر فحسب بي ذاك أو لا
فأحمد كان محمود العتاب

كن لي هكذا

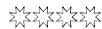
أبُو حُبُّـ بـعـيـبـ مـحـبـوبـيـ وـلـكـنـ
إـلـيـهـ حـيـنـ أـخـلـوـبـالـحـبـيـبـ
لـيـنـفـيـ عـيـبـهـ عـنـهـ وـيـضـحـيـ
بعـيـدـاـ مـاـ اـسـتـطـاعـ مـنـ الـمـعـيـبـ
وـأـبـرـزـ مـالـهـ فـيـهـ اـعـتـلـاءـ
وـفـخـرـ لـاـ بـعـيـدـ وـلـقـرـيبـ
فـكـنـ لـيـ هـكـذـاـ أـبـدـاـ وـإـلاـ
فـمـاـ أـنـاـ إـنـ صـحـبـتـكـ بـالـبـيـبـ

صرخة ثانية بعد إنتهاء فلسطين الإضراب

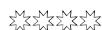
بني يعرب من فاته أمس سأله
حساماً به عن قومه يحسن الذبا
فما فاته أن تمنح اليوم كفه
فلسطين ما يمحوه به ذلك الذبا
فجودوا بكثير المال والقل واذكروا
هناك أرحام العروبة والقربي
فلونابكم ما نابهم وثبتوا على
ذوي الظلم من أعدائكم أسدًا غالبًا
 وخاضوا غمار الحرب خوضكم لها
 ولم يعدموا في عونكم مالهم حربا
 وسحروا على مشبوب نار خطوبكم
 كما يقتضي محمود أخلاقهم سحبا
 فهم من علمتم بالوفاء لقومهم
 وإخوانهم مهما شکوا حادثا صعبا
 فلا تعدموا أهل الوفاء وفاءكم
 وراعوا يتاماهم وأرعنهم الخصبا
 أقاربكم بالأمس أرضوا ببذلهم
 نفوسهم مجدا العروبة والرّبّا
 فأرضوهما عنكم ببذل رغائب
 بها ينثني مر الحياة لهم عذبا

فَطَوْبِي لَنْ قَدْ الْحَقُّ الْيَوْمُ مَا لَهُ
 مِنْ الْخَطْبٍ مَا يُنْسِي بِهِ قَوْمَهُ الْخَطْبَا
 بَنِي يَعْرَبٍ مَا زَلْتُمْ كَلِمَادِجَا
 مِنَ الْأَمْرِ لَيْلٌ تَطَلُّعُونَ بِهِ شُهْبَا
 فَلَوْهُوا كَمَا كُنْتُمْ تَلَوْهُونَ أَنْجَمَا
 يَجْبَنْ ظَلَامَ الْكَرْبِ أَجْمَعَ وَالْكَرْبَا
 عَنَّتُكُمْ جَمِيعًا أَلْسُنُ الْحَالِ عِنْدَهُمْ
 بِقُولٍ مُؤَدَّاهُ صَلَوَا الْأَهْلَ وَالصَّحْبَا
 فَلَبَّوَا سَرَاعًا بِالْمَعْوَنَةِ وَابْذَلُوا
 جَهَوْدَكُمْ فَالْفَرْزُ مِنْكُمْ لَنْ لَبَّى
 أَعْيَنْ وَهُمْ بِأَثْرِوْهُمْ لَثُشِّبِهِمَا
 بِإِيْثَارِكُمْ أَجَدَادَكُمْ فِي الْعُلَا الْعُرْبَا
 فَكُمْ أَئْرُوا بِالْوُجُودِ مُحْتَاجٌ وَجْدِهِمْ
 وَأَذْكُرُ مِنْهُمْ حَاتِمَ الْجُودِ أَوْ كَعْبَا
 وَلَمْ أَنْسَ فِي إِيْثَارِ أَصْحَابِ خَيْرِ مَنْ
 إِلَى خَلْقِهِ مِنْ رَبِّهِمْ حَمَلُوا الْكُتُبَا
 فَإِنْ تَقْتَدُوا فِي فَعْلَكُمْ بِفَعَالِهِمْ
 تَطِبُّ لَكُمْ أُولَى الْحَيَاةِنِ وَالْعُقْبَى
 وَإِيَاكُمْ وَالشُّجَّعُ فَهُوَ بِخِدْنَهِ
 إِلَى كُلِّ مَا يَخْشِي النُّهَى سَالَكُ دَرْبَا
 فَإِنْ ماتَ فَإِلَاثُمُ الْعَظِيمُ وَإِنْ يَعْشُ
 فَلَيْسَ لَهُ مِنْ غَمَرْ أَقْرَانِهِ مَخْبَا
 هُوَ الشُّجَّعُ فِي الدَّارِينِ لَيْسَ بِجَالِبٍ
 إِلَى أَهْلِهِ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْعَيْنَبَا

فكونوا على بُعدٍ من الشُّحِّ واحذروا
أوائل ما يأتى به الشُّح والغُبا



الْمَيْنَاطِرِ الْمُنْتَرِي الشَّحِيْحُ إِلَى الْأَلَى
قَخْنَوْا قَبْلَهُ - مِنْ كُلِّ ذِي شَرْوَةِ - نَحْبَا
أَسَارُوا إِلَى بَطْنِ الثَّرَى بِثَرَائِهِمْ
أَمْ اسْتَصْبَرُوا مِنْ سَوِي كَفْنِ تَوْبَا



بَنِي يَعْرِبٍ هُبُّوا إِلَى بَذْلٍ وَسُعْكُمْ
فَأَجَدَرُ يَوْمٍ تَبَذَّلُونَ بِهِ هَبَّا
وَشُنَّوْا عَلَى الْمُثْرِي الْبَخِيلِ مَغَارَكُمْ
بِكُلِّ مَقَالٍ وَامْلَأُوا قَلْبَهُ رُعْبًا
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي فَعْلَهِ الْخَيْرِ رَاغِبًا
فَلَا بَأْسَ أَنْ تَلْقَاهُ يَفْعَلُهُ رَهْبَا
وَمَا نَفْعُ مَالٍ عَاقَهُ عَنْ قَضَائِهِ
حَقُوقَ الْعُلَادِ نَوْجِنَّةٌ ظَنَّهَا لُبَّا
أَفَيْ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ يَمْنَعُ عَوْنَةً
فَلَسْطِينَ مِنْ تَحْوِي جَوَانِبُهُ قَلْبَا
فَلَسْطِينُ مِنْ لَمْ يَعْتَرِفْ طَائِعًا بِمَا
عَلَيْنَا لَهَا مِنْ مِنَّةٍ يَعْتَرِفْ غَصْبًا
فَقَدْ أَثْبَتَتْ أَنَّ الْعَرْوَةَ لَمْ تَزَلْ
تُطْبِقُ عَلَى الْأَعْدَاءِ - مَهْمَا قَوُوا - وَتَبَّا
وَإِنْ لَهَيْبَ الْعَرْبِ ضَمِنْ رِمَادِهِمْ
يَهُولُ نَفْوسُ الظَّالِمِينَ إِذَا شَبَّا
وَضَمَّتْ إِلَى فَخْرِ الْعَرْوَةِ مَثَلُهُ
بِكُلِّ دَمٍ زَاكِ عَلَى أَرْضِهَا اِنْصَبَّا

فمرحى «لفوزي» العُلَا و«سعیدها»
وَصَاحِبِهِمَا الْمُعْلِمِينَ أَعْلَمَهَا الْقُشْبَا
فقد رفعوا شأنَ العِرْوَةِ فاعتلَى
بِهِمْ وَجَلَّوْا عَنْ شَمْسِ عَلِيَّهَا الْحُجْبَا
وَأَكَفَّوْا عَلَيْهَا خَيْرَ دَرْسٍ مَفَادُهُ
إِذَا شَئْتَ أَنْ تَحْيَا فَلَا تُغْمِدِ الْعَخْبَا

الله يأبى

يريد الذي في الغرب أن يفني العُربا
جميعاً ولكن الذي في السّما يأبى
فلو أمكن الإفناء أفنى ولم يَدَعْ
من العُرب لا فرداً يعيش ولا شَعباً
وهذا عُمان والجزائر شاهد
جهادهما الميمون أن لم أقل كذباً
وما ببرحت من فعله النُّكُرِ تشتكي
فلسطين ما أغري بها الكَرَب فالكَرْباً
فهل عَربٌ بعد هذا مُؤمِلٌ
من الغرب إنصافاً إذا استرشَدَ اللُّبَا

بين الجد والهزل^(١)

عنز تأكل الكتب

كُلوا عَنْزَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْنِيَ الْكُتُبَا
وَتُحَدِّثَ أَمْرًا ثانِيًّا يُسْخِطُ الصَّحْبَا
وَأَرْضُوهُمْ مِنْهَا بِنَاضِجِ لَحْمِهَا
عَلَى أَرْضٍ يَغْدُو لَهُ (حَشْوُهُ) حَجْبَا
وَلَا يَمْسِحُوا الرَّاحَاتِ إِلَّا بِشَعْرِهَا
إِذَا مَا قَضَوْا مِنْ أَكْلِ مَطْبُوخِهَا إِلَرْبَا
وَلَا تَتَّخِذُ مِنْ جَلَدِهَا غَيْرَ جَوْبِ
وَنَعْلٍ كَمَا يَقْضِي الْهَوَانُ إِذَا أَرْبَى
فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ بِهَا مَا نَكْرَتُهُ
تَعْفُ كُلُّ عَنْزٍ مِثْلَ فَعْلَتِهَا رَهْبَا
وَلَا تَخْشَ فِيهَا يَا حَسِينُ مَلَامَةً
فَلَا لَوْمَ فِي أَمِّ التُّؤْيِسِ وَلَا عَذْبَا
وَسَائِلُ بَطْوَنَ الْقَوْمِ عَمَّا أَقْوَلُهُ
يُجْبِثَكَ إِنَّ الْحَقَّ هَذَا وَلَا رَيْبَا
وَمَا خَيْرٌ عَنْزٌ تَجْعَلُ الْكُتُبَ مَرْتَعًا

(١) كانت للوجيه الفاضل المرحوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها ملا حسين بن عبدالله.

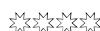
ولم تقطعوا عنها الشعير ولا العُشْبَا
يُعيِّضُكَ عنْهَا - إن أبْحَثَ لصَحْبِنَا
حِمَى لِحْمَهَا وَالشَّحْمُ - مَعْطِيكُمَا سِرْبَا

فَلَا تَدْكُرْ مِنْهَا الْحَالِبَ وَطِيبَةَ
إِذَا مَرْجُوا بِالشَّايِ مِنْهُ لَكَ الْقَعْبَا
وَلَا مَا يَسْرُ الْقَلْبَ مِنْ حَرْكَاتِهَا
زَمَانَ تُجِيدُ الْقَفْرَ وَالْطَّمْرَ وَالْوَتْبَا
فَكُلُّ قَرِيبٍ لِلْعَهْدِ بِالْعِيشِ مِثْلَهَا
لِهِ حَرْكَاتٌ كَأُلْهَا يُطْرُبُ الْقَأْبَا
فَقَدْ مَلَأَ اللَّهُ الصَّغَارَ مَلَاحَةً
لِنَبْذَلَ عَنْ حُبِّهَا الرَّفْقَ وَالْحَدْبَا
فَحُبُّ صَفَارِ النَّسْلِ جَدًا مَخْفَفُ
عَلَى مَنْ يَرْبِيَهَا - مِنْ الْمَهْنَةِ الْأَعْبَابَا
وَلَمْ يَرْلُوْلا الْحَسْنُ حُبَّاً وَلَمْ يَجِدْ
سَوْيَ الْحُبِّ يَشْفِي دَاءَ أَتَعَايَهِ طِبَّا
وَمَا خَصَّ هَذَا الْأَمْرُ بِلَعْمٍ كُلُّ مِنْ
يُرَبِّي صَفَارًا فِي الْخَلَائِقِ أَوْ رَبَّى
وَلَوْلَا افْتَتَانُ الْأَمْهَاتِ بِحَسْنِهِمْ
تَمَنَّى مِنْ أَحْضَانِهِنَّ لَهُمْ سَحْبَا
فَلَا طَفَلٌ إِلَّا وَهُوَ فِي عَيْنِ أَمِّهِ
يَفْوَقُ جَمَالًا دَائِرَ الشُّهَبِ وَالْقُطْبَا
وَسِيَّانٍ أَمُّ مَا ابْتَغَتْ قَطُّ مَابِسَا

(١) السب: شقة كتان رقيقة.

ومن تبتغي ما عاشت الثوب والسبّا^(١)
 وقلبُ وليدِ الإنسِ كان كغيرهِ
 بحسن الذي تأتي به أبداً يُسْبِي
 كذلك لطفُ الله في الخلق لم يَدْعِ
 من الخفْضِ من توليهِ حرفَتَهُ نصْباً
 وهذي صغارُ المَعْزِ تملأً كثِيرَةً
 فنَزَّ بها الطُّرفُ (المطبة) والدرِّبَا
 لتنسى بها تلك التي كلما جرتْ
 ببابِي ذكرها تصوَرْتُها ذئباً
 وما الفرق بين الذئبِ والعنزِ إن غدتْ
 وراحت - سوى إفسادها مثله - تأبى
 ولم يَقْسُ إنسانٌ على الذئبِ مَرَّةً
 لَوِ الذئبُ لم يُتَالِفْ صِحاحاً ولا جُربَا
 فمن ضَرَرْنا كنا عليهِ - ولم نكنْ
 بمعتبرِي نوعِهِ ولا غيرهِ - إلْبَا
 فنحن لأهل النفعِ حزبٌ بطبعنا
 وبالطبع ما زلنا على ضدهمِ حِربَا
 فإنْ أعقَبْتُ تيساً لكم أو عُنَيزَةً
 فتأتيهُ بتلك الأمَّ ذيالكَ العَفْقاً
 فما خَبُثَتْ إلَّا ليُخْبُثَ نسأْها
 فهل كلبةُ جاءت بما يَفْخُلُ الكلباً
 فيا ريمات تعتصض أغزرَ درَّةً
 وأخفض صوتاً عندما تبصر الآباءَ
 وأكثَرَ لـ الكتبِ الكرامَ تَجْلِيَّةً

وأيسرَ ت نقِيباً عن القتُ إذ يُخْبَا
 وأسْكَنَ للحَلَابِ مِنْهَا قوائِمًا
 إِذَا مَا دَنَا مِنْ ضرِعَهَا يَبْتَغِي الْحَلَبَا
 فَلَا رَكْأَهَا يَخْشِي وَلَا كَسْرَهَا إِلَانَا
 وَلَا نَبْشَهَا - مَا دَامَ يَحْلِبُهَا - التُّرْبَا

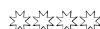


أَلَا مَا لِهِجْوِي مازِحًا دَبَّ عَقْرِبًا
 إِلَى العَنْزَ حَتَّى حَادَرْتُ مَوْتَهَا لَسْبَا^(١)
 لِيَ الْوَيْلُ مَا قَاتَلُ فَلَأْطُو كَلَّ مَا
 نَشَرْتُ مِنَ الْمَهْجَا وَإِنْ قَلْتُهُ لِعْبَا
 وَمَا لِيَ أَلَهُو بِالْهَجَاءِ إِذَا اثْقَى
 شَبِيهَ فَرَادِ الْعَنْزَ مِنْ وَقْعَهُ نَدْبَا
 أَتَوْبُ إِلَى أُمِّ التُّرْوِيسِ مِنَ الْذِي
 تَظَانَتْ بِهِ إِنْ دَامَ أَنْ تَفْخِي النَّحْبَا
 فَإِنِّي قدْ أَحْسَسْتُ مُشْجِي ثَغَائِهَا
 تُصَعِّدُ فِيهِ الشَّكُورُ مَحْزُونَةً غَضْبِي
 فَأَصْغَوْا إِلَيْهَا تَفَهَّمُوا مَا تَقُولُهُ
 فَفَهُمُ الَّذِي تَعْنِيهِ لَا يُعْجِزُ الْأَلْبَا
 وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْبَهَائِمَ لَمْ تَكُنْ
 لِتُحْسِنَ صَدْعًا بِالْمَقَالِ وَلَا رَأَبَا
 فَكُمْ أَوْضَحْتُ ذِي الْعَنْزُ غَامِضَ قَصْدِهَا
 بِمَنْطَقَهَا الْمَعْهُودِ (أَمْبَاعُ أوْ أَمْبَا)
 وَهُلْ لِغَةُ الْإِنْسَانِ تَسْمِي وَإِبَانَةً

(١) اللسب: اللبغ.

على لغة الحيوان ساعَلَ أو أَنْبَا
 ومن يتأمِّلُ صوَّتَهُ في ارتفاعِهِ
 وفي الخفْضِ يَعْلَمُ أَنِّي لم أَقْلُ كِتْبَا
 وسَلَ - إن شَكَّتَ - البعضَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
 مَجِيبٌ بِمَا لَا شَكٌ فِيهِ وَلَا رَيْبٌ
 وَلَيْسَ سَؤَالُ الْمَرءِ حِيَوَانَهُ سَوْى
 دراستِهِ مَحْيَا إِنْ نَامَ أَوْ هَبَّا
 فَمَنْ زَاوَلَهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَعْيَى
 مِنْ الْعَيْنِ مَا تَوْحِي رَضِّيَ كَانَ أَوْ عَتَّبَا
 وَمَنْ يَدْرِي حَتَّى وَحْيَ عَيْنِيْكَ لَمْ يَكُنْ
 لِي جَهَلٌ سَهْلًا خَصَّهُ لَا وَلَا صَعْبًا
 فَهَمِّتُ عَنِ الْعَنْزِ الْمَقَالَ الَّذِي بِهِ
 تَذَبُّ الأَذْنِ عَنْهَا وَعَنِ نَوْعِهَا ذَبَّا
 وَهَا كُمْ مَرْدَى مَا أَبَانَ خَطَابُهَا
 وَرَبُّ خَطَابٍ عَنْ أَخْيِهِ ثَنَى خَطْبَا
 أَلَا خِفْتَ فِينَا اللَّهُ مِنْ نَظَمِ كِلْمَةِ
 تَضَمَّنَ مِنْهَا كُلُّ بَيْتٍ لَنَا كَرِبَا
 فَوَاللَّهِ لَوْ كُنَا أَنَاسًا وَكَنْتُمْ
 بِهَائِمٍ كَنَافِيكُمْ نَتَقِي الرَّبَّا
 وَلَمْ نَجِزْكُمْ مِمَّا أَتَيْتُمْ إِسَاءَةً
 إِلَيْنَا عَلَيْهَا مَثَلَ قَوْلَكَ أَوْ ضَرِبَا
 وَقَمْنَالَكُمْ بِالْعَذْرِ عَنْ كُلِّ هَفْوَةٍ
 عَلَى مَثَلِهَا تَجْزُونَا الضَّرْبَ وَالسَّبَّا
 وَكَيْفَ نَجَازِيكُمْ عَلَى السَّوَءِ مَثَلَهُ
 وَلَمْ تُرْزَقْوا فِيهِمَا يُمْيِرُّ وَلَا إِرِيَا
 وَلَمْ نُرْعِكُمْ إِلَّا مَرَاعِيَ خَصْبَةٌ

ولم نرِضَ إلا بالنَّمِيرِ لكم شُرِبَا
 ولم نتَّخِذْ من أرضِنَا لِجُنُوبِكم
 مِرَابِضَ إِلَى سَهَلِهَا النَّاعِمَ الرَّحِبَا
 وَنَحْسَنُ صنعاً مَا اسْتَطَعْنَا وَلَمْ نرُحْ
 نَجْرُّ بِهِ الْأَذِيالَ فَخَرَاً وَلَا عُجْبَا
 وَلَكُنْ نَرِي الإِحْسَانَ مِنْ شَكْرِ وَاهِبِ
 لَنَا مِنْكُمْ شَحْتَ الْمَنَافِعَ وَالْجَابِـا
 وَمَنْ لَمْ يَصُنْ بِالشَّكْرِ نَعْمَةَ رَبِّهِ
 عَلَيْهِ فَلَا يَأْمُنُ عَلَى النَّعْمَةِ السَّلَبَا



عَلَى أَنَّ إِكْرَامَ الْبَهَائِمَ زَائِدٌ
 لَنَا كُلُّ رِزْقٍ مِنْ فَوَائِدِهَا يُجْبِي
 فَإِكْسَابُنَا الصُّنْعَ الْجَمِيلَ بِهَائِمًا
 مَلَكَنَا نَوَاصِيهَا يَعُودُ لَنَا كَسْبًا
 وَلَمْ نَسْتَسْغِ لَحْمَ الْبَهِيمَةِ سِيَّما
 إِذَا أَظْهَرْتَ مِنْهَا لَنَا الْأَلْفَةَ الْحُبَّـا
 فَكَيْفَ بِهَاتِيكَ الَّتِي مِنْ ثُدِّيَـا
 رَشَفَنَا - وَلَوْفِي عَمْرَنَا مَرَّةً - شُخْبَا
 فَهَاتِيكَ مَثُلُ الْأَمْ تَبْقِي وَكُلُّنَا
 يَحْوُكُ لَهَا مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ ئَوْبَا



وَلَكُنْ حُبُّ الْذَّاتِ أَبِنَاءَ آدَمَـا
 عَلَيْكُمْ أَبَى وَصَلَّى الْعَدْلَةِ وَالْقُرْبَى
 وَهَلْ نَرْتَجِي أَنْ تَبْصِرُوا خَلْفَ حُبِّكُمْـا
 ذَوَاتَكُمْ شَمْسًا مِنَ الْعَدْلِ أَوْ شَهْبًا
 وَمَنْ يَمْتَلِكُهُ مَثَلَّكُمْ حُبُّ ذَاتِهِـا

يُغادر جمال العدل عن عينه غيّبا
 فلولا غياب العدل يا «صقر» عنكم
 لما قلتَ فينا اليوم ما يقصم الصُّلبَا
 كأنّا بناتِ التّئيسِ نمنع فوزكم
 بمرجوكم أولى الحياتين والْعُقبَى
 ونحن لديكم إن مكثنا باليالياً
 ثني المكثُ منا كل قلبٍ بكم صبّا
 لأنّا دواني الْفَةِ والهوى لها
 وليدُ وتلك الأم لا تلد الشُّوبَا^(١)
 فنزلتُم صافوا الودادِ وودُوكُم
 نشاهد حتى لجنةِ سُكُم خبّا^(٢)
 فأيُّكم يُبدي الوداد لغيره
 إذا لم يجد رهباً لديه ولا رغبة
 ولو بعضكم للبعض أخلص وده
 لما استشعرت يوماً قلوبُكم رعباً
 فما الرُّعبُ إلا ابنُ الخصام الذي أتى
 نتيجةً بغضٍ لم يزل لكم دأبا
 ولا بُغضٍ لولا قلبٌ كلُّ أخٍ غدا
 به من أخيه الجرُّ مستحدثاً ثقبا
 ولا جَرْدٌ إلا أصلُه الطمعُ الذي
 حياؤكم فيه على وجهه كُبَا
 لأن لم تروا في أخذِه الموتَ منكم

(١) الشوب: الخلط.

(٢) الخبر: الدخاع.

حَكَى الطَّائِرُ الْعَجْلَانَ فِي لَقْطِهِ الْحَبَّا
 وَمِنْ عَجَبٍ تَصْدِيقُكُمْ أَنْ كُلُّكُمْ
 سِيلَقِي مِنَ الْعِيشِ الْهَنَاءِ الَّذِي أَصْبَى
 وَلَنْ تَبْلُغُوهُ وَالْقَنَاعَةُ لَمْ تُخْضِي
 دُجْيَ الْطَّمَعِ الْمُرْدِي مَشَاً وَلَا رَكْبَا
 فَلَا تَأْمَلُوا دُونَ الْقُنُوْنِ تَسَاوِيَا
 يَعْمَلُ بِخِيرَاتِ الدُّنْيَا الْعُجْمَ وَالْعُرْبَا
 فَأَنْفُسُكُمْ تَأْبِي الْقُنُوْنَ كَائِنَما
 عَلَى قَالِبِ الْأَطْمَاعِ سَائِرُهَا صُبَّا
 وَكُمْ قَدْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ فَوْقَنَا نَهَى
 وَمَا كُلُّ ذِي زَعْمٍ بِتَحْقِيقِهِ يُحْبِي
 فَإِنْ كَانَ فَحْلًا ذَلِكَ الرَّزْعُمُ عَنْدَكُمْ
 فِي الْطَّمَعِ الْمُرْزِي بِكُمْ عَنْدَنَا جُبَّا
 وَلَوْ صَحَّتِ الدُّعَوَى تَساوَتِ ثِيَابُكُمْ
 وَلَمْ تُلْحِقُوا الْمَأْكُولَ فَرْقًا وَلَا الشُّرْبَا
 وَكُنْتُمْ كَائِنَ الرَّزْقِ رَمْحَ لَدِيكُمْ
 وَكُلُّ يُرِيهِ الْقَسْمُ فِيهِ لَهُ كَعْبَا
 وَعَشْتُمْ وَكُلُّ الْأَرْضِ دَارُ وَأَنْتُمْ
 بِهَا أَسْرَةٌ تَأْبِي تَفَاقُّتِهَا الْقُرْبَى
 فَلَوْلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّفَاقُّتُ بَيْنَكُمْ
 لَمَا جَالَ فِيهِمْ مَارِدُ الشَّرِّ أَوْ خَبَا^(١)
 وَغَيْرُ صَحِيحٍ الْعُقْلُ خَلُقُ بِعَقْلِهِ
 وَلَا يُفَدِّهُ الْخَيْرُ يُفَخِّرُ أَوْ يَعْبُأ
 وَيَحْزِنُنِي ذُو الْفَقْرِ يُكِبِّرُ ذَا الْغَنِي

(١) خب: عدا نوعاً من العدو.

ولو لم يَجِدْ يوماً بما يُشبعُ الْخَبَّا
 فَأَضْمِرْ كرهاً لِلْفَنِيْ وَمَا لَهُ
 وإن مات فاكسرْ خلفُ الْكَوْزَ وَالْحُبَّا^(١)
 وأكثُرُ الْثَانِي احتقاري وَأَنْشَنِي
 وجامِ سُخْطِي صُنْعَهُ فِي الْحَشَا شَبَّا
 أَتْرَخِي أَمَامَ الْأَغْنِيَاءِ تَأْدِبَّا
 على ما ترى من بخالهم عينُهُ الْهَدْبَا
 ولو لم يكن أمثالهم سَلَماً لَهُم
 لما وطئوا تلاً من الْيُسْرَ أو هَذْبَا
 فلو حَرَمَ النَّاسُ احترامَ ذوي الغنى
 إِذَا لَمْ يُوَاسِوَا النَّاسَ بِذَلِّ وَلَا وَهْبَا
 وأَبْطَلَ مَنْ مَلْبُوسُهُ الْخَيْشُ شِرْعَةً
 بها يُسرقُ الْأَرْزَاقَ مِنْ يلبِسُ الْعَصْبَا^(٢)
 رأوا من رُخَاءِ الْعِيشِ فِيهِمْ مَنَاهِلًا
 يَفْخِسُنَ لِكُلِّ إِنْ تَحْسَى وَلَنْ عَبَّا
 وَلَمْ يَنْفَرِدْ بِالْخَفْضِ شَعْبُ وَعِيْنَهُ
 ترى الموت في جيش الطُّوى غازياً شَعْبا
 وهيهات. فـالإنسان لو قلب خِدْنِه
 يذوب، حَسَا منه - ولم يخجل - الذُّوبَا
 لينقضَ صقرًا خاطفًا رزقَ غَيْرِهِ
 تعلمَ حتى أتقنَ الْحَرْوَمَ وَالْأَلْوِبَا^(٣)
 ولم يكفِهِ أن يخطفِ الرزقَ وَحْدَهُ

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لاب لوبًا: حام حول الماء وهو لا يصل اليه.

(٤) الحوباء: النفس وهذا قصرها للقايفية.

فيخطفَ قبل الرزقِ من جسمه الحَوْيَا^(٤)

فتبكِي اليتامي والأيامى ولم يكن
يبالى على الصرعى لأدمعها سَكُباً
ولله سَيْبٌ فِيهِمْ لَوْ تناصَفُوا
كفاهم معاً أن يطلبوا غيره سَيْبَا^(١)

﴿كَلَّا لَنْ يَرَوْا هَذِهِ أَيُّهُنَّ

فلا سَعِدَتْ عَنْ زُتْمَتْ أَبَاكُمْ
لَهَا وَالدَّا يَوْمًا وَتَبَّا لَهَا تَبَّا
لأنَّ أَبَاكُمْ آدَمًا كَانَ نَسَلَهُ
وَلِمَّا يَزَلْ فِيهِ نَرِي الْعَيْبَ فَالْعَيْبَا
فَمَا مَرَّ حَيْنٌ لَمْ يُبَيِّنْ مِنْ عَيْوَبِهِ
لَمْ عَاصِرُوهُ مِنْ أَوَائِلِنَا ضَرِبَا
كَأَنَّ امْتَدَادَ الدَّهْرِ أَعْدَى عُدَاتِكُمْ
إِلَبَادِءِ مَا أَدَنَاهُ يَغْمُرُكُمْ ثَلْبَا
فَهَا هِيَ تَنْمُو مَا تَمَادَى زَمَانُكُمْ
وَتَكْثُرُ حَتَّى شَانَتِ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا
وَمِنْ شَرُّ هَاتِيكِ الْعَيْوَبِ شَرَاسَةً
تَشْقُونَ عَنْ كَبْدِ الْخَعِيفِ بِهَا الْخِلْبَا
وَلَوْلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ لَمَا كَنْتَ رَامِيَا
بِنَبْلِ الْأَذِي شَرْوَايِ لَا إَسْدَ الْغُلْبَا
وَمَا زَلتَ كَالصَّخْرِ الْأَصْمَ صَلَابَةً
عَلَيْنَا وَلَوْلَا ضَعَفْنَا لَمْ تَكُنْ صُلْبَا
وَأَقْبِحُ مِنْ الطَّفْلِ الصَّغِيرِ بِقَسْوَةٍ

(١) السَّيْبُ: العطاء.

فكيف بها من مكتسِ رأسه شيئاً
 تُكَبِّرُ ظالماً هفوتي عند صاحبي
 ل يجعلَ لحمي بعد ذبحي لكم نهباً
 وما هفوتي عند القياس ببعضِ ما
 أتَيْتَ إِلَيَّ الْيَوْمَ مَعْدُودَةً ذَنْبَاً
 ل تجعل حقاً باطلَ الأمر جاهداً
 مُجِداً أرى في شخصِ البطل النَّدْبَا
 وما زال عكسُ الحق دأبكُم فمِنْ
 دَبَى شَرَكُمْ أَيُّ الْمَرَاتِعِ مَا أَدْبَى
 فلا حُذِيَ الأظلافِ مِنْ أَكِ شاعرُ
 تقِيهِ أذى شوكِ الطريق أو الحصبةِ
 ولا نَبَتَ الْقَرْنَانِ مِنْهُ بِهَامَةٍ
 يُخِيفَانِ مِنْ يَأْتِي لَهُ نَاوِيَا حَرْبَا
 ولا صارتِ الأذنانِ مِنْهُ مَذَبَّةً
 يَذْبُبُ بِهَا مَا طَارِ يَؤْذِيَهُ أَوْ دَبَّا
 ولا سَرِيلَ الضَّافِي مِنْ الشَّعْرِ جَسَّمَهُ
 ل يَأْمَنَ فِي الْمُشْتَى أذى رِيحِ النَّكْبَا
 ولا اجْتَرَ مَسْرُوراً بِجِرْتِهِ إِذَا
 أَرَادَ التَّذَادَا أَوْ أَحْسَنَ بِهِ سَفْبَا
 ولا اكْتَنَفَتِ الْمَعْزُ يَوْمًا بِرَوْضَةٍ
 عَلَى مَا أَتَتْ مِنْ رِيَهَا تَشَكِّرُ السُّحْبَا
 مَنْوَرَةُ الْأَعْشَابِ تَحْسُبُهَا سَمَا
 وتحسب فيها أنجمًا زهرها الرُّطْبَا
 إِذَا شَبَعَتْ مِنْ عَشْبَهَا العَنْزُ وَاحْتَوَى

لها مَرْبِضٌ في سفح ربوتها الجَنْبَا
 وداعبَ عطريُّ النَّسِيمِ أَنَيْفَهَا
 ونادت فَلَبَّاهَا من المَعْزِ من لَبَّى
 أَحْسَتْ كَمَا تَهْوَاهُمْ سَعَادَةً
 تفوَتْ يَدِيْ من شَابٍ مِنْكُمْ وَمِنْ شَبَّا
 لَكِي ما تَنَالُوا مِثْلَهَا سَلَّ بَعْضُكُمْ
 عَلَى بَعْضِكُمْ مِنْ حَيْفِهِ سِيفَهُ الْعَضْبَا
 كَأَنَّ الْفَتَى يَغْدو سَعِيدًا إِذَا اِنْشَنِي
 إِلَى جَيْبِهِ مَا فِي جَيْبِ السَّوَى غَصِبًا^(١)
 وَهِيَهاتِ مَا نَفْسُ أَمْرَئٍ بِكَنْزِهِ
 تصادف يومًا من سعادتها جَلْبَا
 عَلَى حَسْبٍ مَا يَزْدَادُ مَالُكَ وَجْهُهَا
 يَزِيدُ لِيُخْفِي عَنْكَ مَشْهُدَهُ التَّقْبَا
 سَكِينَةُ نَفْسِ الْحَيِّ مِنَا وَمِنْكُمْ
 سَعَادَتُهُ لَا مَا بِهِ يَمْلأُ الْجَيْبَا
 وَلَمْ نَرَ مِنْكُمْ سَاكِنَ النَّفْسِ هَادِيَا
 سَوَاءً رَعَى خَصْبُ الْمَرَاعِيِّ أَوِ الْجَدْبَا
 وَحَرْمَانُكُمْ أَنْ تَهَدَّوْا أَوْلُ الْجَزا
 عَلَى ظُلْمِكُمْ دُهْمَ الْحَيَاوِينَ وَالشُّهْبَا
 وَمَا تَخْبَأُ الأَخْرَى أَمْرُ مَذَاقَةٌ
 لَكُلِّ أَمْرَئٍ مِنْ ظُلْمِهِ تَرَكَ التَّوْبَا
 فَإِنْ لَمْ تَخَافُوا اللَّهَ فِينَا وَتَرَفُّقُوا

(١) السَّوَى: الغير.

فَلَا تَأْمُنُوا مِنْ سُوءٍ مَا جَئْتُمُ الْغِبَّا
فَإِنَّ الَّذِي وَلَكُمُ الْيَوْمُ أَمْرَنَا
وَأَجْرَى لَكُمْ أَقْوَاتَنَا لِبَنًا عَذْبًا
سِيَجِزِيكُمْ عَنَا غَدًا مِثْلَ فَعَلِكُمْ
فَلَا تَأْمُنُوا عَكْسَ الْجَزَاءِ وَلَا الْقَلْبَا
كَذَا خَاطَبَتِنِي الْعَنْزُ وَهِيَ مُحِقَّةٌ
وَذَكَرَى حَقْوقِ الْعَنْزِ إِنْسَانِي الشُّفْبَا
فَلَا تُهْمِلُوا حَقَّ الْبَهَائِمِ وَاسْلَكُوا
بِهِنْ سَهْلَ السُّبْلِ وَالْمَرْتَعَ الْخِصْبَا

يا أشقاءي العرب^(١)

دَعُوا الجَزَائِرَ تَلْقَى الْوَيْلَ وَالْحَرَبَا
ثُمَّ ادْعَوا أَنْكُمْ مَا زَلْتُمْ عَرَبَا
لَوْلَمْ نَزَلْتُ عَرَبَا لَمْ تَلْقَ إخْوَتُنَا
مِنْ دُونِنَا كُلُّ مَا قَدْ أَدَّ أَوْ كَرَبَا^(٢)
وَلَمْ نَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ عَنْ مَعْوِنَتِهِمْ
بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ لَا بِالْقَوْلِ قَدْ هَرَبَا
وَأَصْبَحَ الْكُلُّ مِنْنَا جَهْدًا طَاقَتِهِ
مَخْفَفًا عَنْهُمُ الْأَشْجَانُ وَالتَّعَبَا
مُشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَسْتَبَذُ الْجُهْدُ مِنْهُ صَالَ أَوْ وَهَبَا
أَمَا وَيَعْرُبُ لَوْظَلْنَا بَنِيهِ رَأَتِ
مِنْنَا فَرَنْسَا شَجَّا فِي حَلْقَهَا نَشِبَا
وَمَا أَحْسَتَ وَقَدْ جَاءَتْ بِفَعْلَتِهَا
فِينَا فَتَّى خَدَّهَا لَمْ يَسْتَحِلْ لَهَبَا
أَيْعَرْبِيُّونَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ بَعْدَ
عَنْ فَعْلِ يَعْرُبَ فِيمَا جَلَّ أَوْ حَزَبَا
ظَنَنْتُ ظَنًّا شَجَانِي أَنْ رَابِطَنَا
بِيَعْرُبَ الْمَعْتَلِيْ قَدْرًا قَدْ اَنْقَضَبَا

(١) قيلت في ١٩٦٢/١٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

أو أنّ موصوله المحسّن الرفيع دنا
منه الوضياعُ من الأنساب فانتشبا^(١)
لولم يكن ذاكَ ظالْنَا مُشَبِّهِينَ له
- مهمماً تقلَّبتِ الدُّنيا بنا - حسَّبَا
ظنُّ شجاني وأب��اني على نسبٍ
زَهَتْ برفعته أجدادنا حقة بنا
لا صدقَ اللَّهُ مُشْجِي ظُنُّتي لأرى
ما أوجعَ القلبَ منها باطلًا ذهبا
فإن تكذيبها أشهى الأمورِ إلى
قلبٍ عليه بها مُدمِي الأسى جَلَّبا

لِمْ لَا ترانيَ هذَا الوقتَ مُنطوِيَا
عَلَى شجونٍ يُبَدِّلُ الصَّبَرَ مَكْتَبَا
وَالْأَذْنُ تسمعُ مَا عَنْ نَفْعٍ مُعْشِرِهَا
يُلْهِي وَيُشْفِلُ، فَاسْمَعْ تَحْزَنَ الصَّخْبَا
مَا لِلإِذاعاتِ بَيْنِ الْعُرْبِ دَائِبَةً
تَبِثُّ مِلَءَ الشَّرْوَقِ الْأَهْوَى وَالظَّرِبَا
كَانَهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الْجَزَائِرِ فِي
مَا يِقْتَضِي طَولَ بَثِ الْأَهْوَى وَالدَّأْبَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ الْكُلُّ مَنِّا وَقْتَ مَحْنَتِهِمْ
لَطِيبِ لِذَاتِهِ جَمِيعَهُ مُحْتَسِبَا
مُوجِّهَا مِنْ قَوَاهُ الْكُلُّ يُنْجَدُهُمْ
هَتَى يَرَى كُلُّ صَدْعٍ عِنْدَهُمْ رُبَا

(١) انتسب: اختلط.

فَأَيُّ وَقْتٍ نُواصِي مِنْهُمْ أَسَرًا
 تَكَابِدُ الْآنَ خَنْكَ العِيشِ وَالشَّجَبَا
 أَكَانْ يَعْرُبُ يَرْضِي اللَّهُ وَهُوَ يَرِى
 مِنْ قَوْمِهِ أَحَدًا قَدْ سِيَءَ أَوْ نُكِبَا
 عَنِ الْجَزَائِرِ يُشْجِي الْقَلْبَ مُنْبِؤًهُ
 حَتَّى يَغَادِرْهُ أَسْوَانَ مُضْطَرِبَا
 فَمَا الَّذِي أُيُّهَا الْلَّاهُونَ أَطْرَبِكُمْ
 أَعْنَدُكُمْ غَيْرُ مَا يُشْجِي الْقُلُوبَ نَبَا
 حَتَّى مَتَى لَا يَكُونَ اللَّهُ مُطْرَحًا
 مَا بَيْنَ كُلَّكُمْ لَا الْبَعْضِ مُجْتَنِبَا
 وَفِي الْجَزَائِرِ مَنْ يَرْجُو بِنْجَدِتِكُمْ
 رَدَّ الَّذِي ضَاقَ مِنْ أَمْرٍ وَقَدْ رَحُبَا
 خَلَوْا إِلَى الْجَدِ هَذَا الْهَزْلُ وَادْكَرُوا
 دَمَ الْكَرَامِ الَّذِي مَا انْفَكَ مِنْكُمْ كَبَا
 حِيَالَ دَمِ الْيَتَامَى وَالْأَرَاملِ مِنْ
 قَوْمٍ هُمْ أَنْتُمْ إِنْ تَذَكَّرُوا النَّسَبَا
 شُنِّنَوا مَفَارِكُمْ مِنْ كُلَّ نَاحِيَةٍ
 عَلَى (دُويْكِيل) حَتَّى يَرْعُوِي رَهَبَا
 لَا تَحْسِبُوا الْقُخْبَ لِلْمَوْتَوْرِ أَسْلَحَةً
 فَحَسْبُ، إِنْ جَدَّ فِي أَوْتَارِهِ طَأَبَا
 بَلِ السَّلَاحُ كَثِيرٌ غَيْرُهُنَّ وَكُمْ
 بِبَعْضِهِ قَلُّ مَوْتَوْرُ الْوَرِي الْقُخْبَا
 فَأَعْمَلُوا كُلَّ مَا فِيهِ أَذِيَّتُهُ
 فَكُلُّ مُؤْذِنِ سَلَاحٌ لِلَّذِي غَرَبَا

كِيمَا يُحَدِّقَ مَنَا كُلُّ مُفْتَخِرٍ
 إِذَا عَزَّا نَفْسَهُ يَوْمًا إِلَى ابْنِ سَبَّا
 أَخْلَاقُ يَعْرُبُ مَا كَانَتْ بِفَائِتَةٍ
 يَوْمًا دَرَأْيَتُهَا الْأَفْرَادُ وَالْعُصَبَا
 لَوْفَاتُهُ الْعِزْلُمُ يَقْبَلُ بِهِ بَدَلًا
 لَهُ وَلِلْقَوْمِ طَرَّاً مَا عَدَا الْعَطَبَا
 فَإِنْ نَكَنْ مُثْلَهُ فِي طَبَعِهِ صَدَقَتْ
 مَنَا ادْعَاءُتُنَا إِذْ نَدْعُهُ أَبَا
 إِذَا انْتَمَى لِأَبِنِ جَلْ فَشِيمَتْ
 تُقَرِّرُ الْأَمْرُ إِنْ صِدَقَا وَإِنْ كَذَبَا
 يَا مِنْ جُودُهُمْ كَانُوا الشَّمْوَسَ - إِذَا
 دَجَّتْ حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ - وَالشُّهُبَا
 وَالنَّبْعُ مِنْ جُرَأَةٍ تَثْنَيْ صَلَابَتْهُ
 أَمَامَهُمْ فِي الْوَغْيِ أَبْطَالَهَا قَصَبَا
 شَبَّتْ مَطَامِعُ (دِيكَوْل) جَهَنَّمُهَا
 وَقَدْ أَرَادَ لَهَا مِنْ بَعْضِنَا حَطَبَا
 فَجَاهَدُوهُ - وَإِنْ شَقَّ الْجَهَادُ - إِلَى
 يَوْمٍ يُرِيهِ بِهَا أَعْوَانَهُ حَصَبَا
 أَرَاحَةً تَطَّبِيْكُمْ وَالْجَرَازِرُمُ
 تَبْرَحُ تُكَابِدُ مِنْ جُورِ الْعِدَا نَصَبَا
 وَتَسْتَطِيْبُونَ خِصْبَ الْعِيشِ فِي زَمِنِ
 يَلْقَى الْأَشْقَاءُ فِيهِ الْمَوْتُ وَالسُّفَبَا
 قَدْ أَمَلَ الْكُلُّ مِنْهُمْ صِدْقَ نُصْرَتِكُمْ
 إِيَاهُمْ فِي جَهَادِ الْمُعْتَدِي كَلِبَا

وَلَوْ نَهَخْتُمْ كَمَا رَجَوْا لَـا حَبَسْتَ
 عَنْهُمْ ذَئَابُ فَرَنْسَا النَّصْرَ وَالْغَلَبَا
 لَوْ أَنْسَوْا صِدْقَ فَعَلِ الْعُرْبِ ضَدَّهُمْ
 لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ لَحْقَ الْعُرْبِ مُفْتَصِبَا
 مَا كَانَ بِالصَّفْرِ «دِيكُولُ» تُجَاهَكُمْ
 بَلْ كَانَ - لَوْلَا تَرَاهِي بَعْضِكُمْ - خَرَبَا^(١)
 فَطَهَّرُوا كُلَّ أَرْضٍ مِنْ دِيَارِكُمْ
 مِنْ كُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ ضِدَّ الْعِدَا صَلْبَا
 تَرَوْا (دوبيكيل) عَنْ ظَلَمٍ يَوْاصِلُهُ
 إِلَى الْعَدْالَةِ مُخْطَرًا قَدِ اَنْقَأَهَا
 وَيَنْثَنِي الْكُلُّ مِنْ قُصَادَ ظَالِمَكُمْ
 بِرَغْمِهِ مِنْصَافًا عَنْ قَصْدِهِ رَغْبَا
 لَمْ يَتَّخِذْ دَرَبَهُ فِي بَحْرِ نَعْمَتِكُمْ
 حُوتُ الْمَطَامِعِ - لَوْلَمْ يَوْجُدُوا - سَرَبَا
 مِنْ لَيْ بِيَعْرُبَ أَشْكُوَ الْمُنْتَمِينَ لَهُ
 وَكُلَّ طَبِيعَ لَهُمْ عَنْ طَبِيعِهِ غَرْبَا
 كَيْمَا يُعَلَّمُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْتَهِلٍ
 - إِذْ يَنْتَمِي نَسْبًا قَدْ فَاتَهُ - الْأَدْبَا
 سَأُلُوا بِيَعْرُبَ مِنْ عُشَاقِ سِيرَتِهِ
 رَوَاتَهَا الصَّادِقِينَ الْقَوْلَ وَالْكُتُبَا
 هَلْ جَاءَ يَعْرُبُ إِنْ مَكْرُوهَةً صَعُبَتْ
 بِمَا سَوَى الْجِدُّ فِي تَسْهِيلِ مَا صَعُبَـا
 حَتَّى يَرُدُّ إِلَى سَهْلٍ صَعُوبَتِهَا
 لَكُلِّ مَنْ قَدْ أَتَاهُ يَشْتَكِي التُّؤْبَا

(١) الخرب: ذكر الحباري.

يستوعبُ الجِدُّ منه الجَهْدُ عن كرمٍ
 في الذَّبُّ عَمَّنْ عَلَيْهِ ظَالِمٌ وَّبَا
 وفي إغْاثَةٍ من رَجُّى إغْاثَتَهُ
 مِنْ مُحَيَا الْحَيَا عَنْهُمْ قَدْ احْتَجَبَا
 مَا جَاءَ فِي أَحَدِ الْأَمْرِينَ مِنْ عَمَلٍ
 إِلَّا وَجَهْدُ الْقَوْى فِيهِ قَدْ انْتَصَبَا
 وَالْجِدُّ إِنْ لَمْ يَمْثُلْ جُهْدَ صَاحِبِهِ
 فِيمَا عَلَيْهِ مِنْ الإِنْجَادِ قَدْ وَجَبَا
 فَمَا هُوَ الْجِدُّ إِذْ تُولِيهِ تَسْمِيَّةُ
 فَسَمَّهُ أَيْنَمَا أَبْصَرَتْهُ لَعِبَا
 خَيْرُ النُّفُوسِ الَّتِي تَهْتَمُ مَصَالِحَةً
 لِقَوْمِهَا كُلُّ شَيْءٍ عَنْهُمْ حَزَبَا
 فَيُبَصِّرُ الْخِصْبَ بَعْدَ الْجَدِّ قَاصِدُهَا
 كَمَا اشْتَهَى عَنْهَا وَالْأَمْنَ مَنْ رُعِبَا
 تَأْبَى مُرْوَعَتَهَا إِلَّا تَقْدُمَهَا
 بِالْجَهْدِ مِهْمَا لَهَا دَاعِيُ الْعُلَانَدَبَا
 تَظْلِلُ مِنْ بَاهِرَاتِ الْمَجْدِ فَاعْلَمَهَا
 مَا غَيْرُهَا مِنْهُ مَبْهُورُ الْحِجا عَجَبَا
 سَدَدَتْ أَذْنِي فَلَا إِشْعَارَ أَسْمَعُهَا
 تَعْنِي الْجَرَائِرَ مُذْحِينَ وَلَا الْخُطَبَابَا
 فَإِنْ مَا قَيِيلَ فِي إِخْلَاصِ قَائِلَهُ
 قَدْ كَادَ يَبْعَثُ فِي الشَّكِّ وَالرَّيْبَابَا
 فَصَادِقُ الْقَوْلِ مَا يَدْنُو بِهِ أَمْلُ
 نَاءٍ وَيُنْثَى مِنَ الْآلامِ مَا اقْتَرَبَا

ونحن لم نر حتى الآن ضجتنا
كانت لتحقّيقها أمّا سبباً
ما خلّب البرق مرجوك صادقهِ
مهما استثار من الإعجاب أو خلباً
والسُّحب ممطرةٌ - ليس الجهم - به
لنا الثرى يخرج الأشجار والعُشّبا
 مجرد القول أو شبّه المجرد لا
تلقي الجزائر فيه القصد والأربا
فأسفواها بافعالٍ يُعدنَ لها
ما من معينٍ رخاء العيش قد تخابا

لَنْ يَرَانِي الْقَوْمُ إِلَّا مَذْبُحًا

ما زلت أشكُو من زماني نُوبَا
تُغادر الطفَل الرضيَع أشِيَّبا
لكلٌّ من يحكي الصَّفَا فَوَادُهُ
صلابةً أو كان منه أصَابَا
وأسرع القوم عتابًا لوسَرَتْ
رِقْتَهُ بِجَامِدٍ لِأَعْتَبَا^(١)
فلم أجدْ لي مُشكِّيَا أو مُعتَبَا
ولم أجدْ علىَيْ مِنْهُمْ حَدَبَا
كأنني أصبحتُ لِيَثَا كاشرَا
عن عُصْلٍ مجتمعاً كَيْ يَثِبَا
وكان لا لَوْمَ عَلَى من قد نَائِي
بنفسه يخافُ لِيَثَا أَغَابَا
والكلُّ يهوى أن يَكونَ بادئَا
إيذاء ذاك الالبيثِ أو مُعَقَّبَا
فما ترى في القوم عن إيذائهِ
من أمكنتهُ فرصةً مُنَكَّبَا
فليَتَهم إذ منعوني خيرَهم
لم يُركِبُونِي من أذاهُمْ مركَبَا

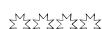
(١) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لَمْ يَحُلْ فِي قَوْمِي مَقَامِي سَاعَةً
 لَوْأَنِي أَسْطَعُ مِنْهُمْ هَرَبًا
 فَإِنْ أَقْمَتُ فِي الْكَوْيْتِ مَرْغَمًا
 مُخْطَهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مَكْتَبًا
 أَشْكَوْلَا مُشْكِيَّ مِنْهُمْ فَالْقَضَا
 عَلَيَّ أَنْ أَهْرُبَ مِنْهُمْ قَدْ أَبَى
 وَكَيْفَ يَسْطَعُ فَرَارًا مِنْ غَدَا
 يَشْكُو الْوَثَاقِينَ الْعَمَى وَالْوَصَبَا
 حَقِّيَّ مِنْهُمْ أَنْ أَلْقَى رَاحَةً
 فَمَا لِقَوْمِي الْحَقُونِي نَصَبَا
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي عَنْهُمْ صَرَاحَتِي
 فَلَنْ يَرَانِي الْقَوْمُ إِلَّا مُذْنِبَا
 وَكَيْفَ عَنْهَا أَنْ شَنِي وَلَمْ تَكُنْ
 تَخْأُلَقَابِلُ خُلُقَابِي رُكْبَا
 مَعْ أَنْهَا لَوْلَمْ تَكُنْ سَجِيَّتِي
 لَمْ أَلْفِي تَخَلِيصِهَا تَسْبُبَا
 فَإِنْ قَلْبِي حَسْنُهَا اسْتِمَالُهُ
 فَمَا كُلَّ الْمَمْلِقَلْبِي وَصَبَا
 فَإِيَّا مَعْمَلِ الْقَوْمِ عَلَى أَذِيَّتِي
 إِنْ كَانَ إِيَّاهُ عَلَيْهَا وَجَبَا
 فَلَنْ يَرَوْنِي عَنْ صَرَاحَتِي وَلَوْ
 رَأَيْتُ فِيهَا مَصْرُعِي مُنْقَابَا
 وَكَيْفَ يَا قَوْمُ أَقْوُلُ عَنْ فَتَّى
 أَعْرَفُ عَنْهُ كِنْبَهُ: مَا كَذَبَا

أَمْ كَيْفَ قَوْلِي عَنْ فَتَّى يَصْدُقُنِي
 شَبَّ عَلَى الْكَذْبِ فَلَانُ وَرَبَا
 وَعَنْ فَتَّى حَرْبَ: ذَا مُغَمِّرُ
 وَعَنْ فَتَّى عَمَّرَ: هَذَا حَرْبَا
 وَعَنْ فَتَّى أَطْنَبَ: هَذَا مَوْجِزُ
 وَعَنْ فَتَّى أُوجَزَ: هَذَا أَطْنَبَا
 وَعَنْ فَتَّى غَرْبَ: ذَا مَشْرُقُ
 وَعَنْ فَتَّى شَرْقَ: هَذَا غَرْبَا
 إِنْ كَانَ ذَا يَرْضِيْكُمْ فَإِنِّي
 أَبْقَى لَمَا يَرْضِيْكُمْ مَجْتَنِبَا
 فَلَا يُسَيِّرُنِي إِلَيْكُمْ مَسْأَوِكُمْ
 فَأَمْطَرُونِي مِنْ أَذْكُمْ صَيْبَا
 فَإِنْ لِي صَبَرًا عَلَيْكُمْ مَسْعِدًا
 مَا لَمْ تَجِرِّدُوا عَلَيَّ الْقُظْبَا^(١)
 فَإِنْ لِي فِي أَنْ أَعْيِشَ رَغْبَةً
 وَلَوْكَمَا تَرَوْنِي مَعْذِبَا
 وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ الْأَذِي مَا لَمْ يَصِلْ
 لِالْأَمْوَاتِ بِي أَعْدُهُ مَدْرِبَا
 لِلَّهِ دَرُّ مَعْشَرِيْ مَا بَيْنَهُمْ
 لَا يَشْتَكِي إِلَّا الصَّرْبُ الْكَرَبَا
 أَمَا الَّذِي نَافَقَ فَهُوَ عَنْهُمْ
 مَقْدَمُ مَسْمَوْعٍ قَوْلٌ مُجْتَبَى
 وَلَمْ أَزِلْ أَمْلُ مَنْهُمْ نَهْخَنَةً
 حَتَّى لَخَأْلَتِنِي غَدُوتُ أَشْعَبَا^(٢)

(١) مَسْعِدٌ: مَعْنَى وَمَسَاعِدٌ.

فَأُولَئِكَ مِنْ رَجَائِي كُلُّ مَنْ
 أُوتِيَ قَلْبًا لَا يُسْفِهُ فِيهِ مِنْ غَبَّا
 فَمَا رَجَائِي مُعْشِرِي أَنْ يَنْهَا
 وَأَنْ يَمْدُوا لِلْمَعَالِي سَبَّابًا
 إِلَّا كَمَا أَرْجُو لِعِينِي أَنْ تَرِي
 عَلَى عَمَاهَا فِي سَمَاهَا الشُّهْبَا
 وَأَيُّ خَيْرٍ يُرِتَجِي لِأَمَّةٍ
 مَا بَيْنَهُمْ نُورُ الْحَرَاحَاتِ خَبَا



أَقُولُ لِلْعِلْمِ الَّذِي قَدْ جَاءَنَا
 فَلَمْ نُقْلِ أَهْلَلَهُ أَوْ مَرْحَبَا
 يَا أَيُّهَا الْعِلْمُ ارْتَحِلْ عَنْ بَلَدِي
 قَدْ ضَاقَ عَنْكَ رَحْبُهَا وَقَدْ نَبَّا
 وَاسْتَصْبِرْ بِالشِّعْرِ فَمَا نَحْتَاجُهُ
 وَلَا تَذَرْ يَا عِلْمُ فِينَا الْأَدْبَارَا
 وَخُصُّ بِالْتَّحْطِيمِ أَقْلَامَ الْأَلْيَارَا
 عَقُولَهُمْ حُبُّ الْحَرَاحَاتِ سَبَّابَا
 وَأَوْسِعُنْ أَسْفَارَهُمْ مَحْوَا إِلَيْنا
 أَنْ لَا أَرَى مِنْ تَلَكَ فِينَا كُتُبَا^(١)
 فَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ لَا تُمْجِبُنَا
 وَلَا تَرِي مِنَ الْهَمَاتِ مَعْجَبَا
 وَأَنْتَ يَا جَهْلُ أَقْمُ مَكْرَمَا
 وَأَتَخِذِ الْأَلْبَابَ مِنَ الْمَاعِبَا

(١) الأسفار: الكتب.

أَفْسِدْ وَعِثْ حَرْبٌ وَمُرْلَنْ تَرِي
 تَقْطِيبَ شَعْبِ الْعَالَمِ قَطْبَا
 وَلَا تَخَفْ مِنَ الْعَالَمِ صَوْلَةً
 فَقَدْ فَلَانَابَهَا وَالْمُخَابَهَا
 وَأَصْبَحْتَ عَنْنَا إِلَى حِيثُ الْأَلَى
 تُعْجِبُهُمْ مِنَ الْأَنَامِ مَهْرَبَا
 وَغَيْرُ بَدْعٍ إِنْ قَائِنَاهَا وَإِنْ
 أَقْمَتَ أَنَّتَ بِيَنَنَامِحَبَّبَا
 فَأَنْتَ قَدْ رَضِيَتَ عَنْ نِفَاقِنَا
 وَالْعِلْمُ أَبْدِي لِلنِّفَاقِ الْغَخَبَا
 وَالْعِلْمُ يَقْضِي بِالْمَسَاوَةِ الْتِي
 تَنْفِي عَنِ الْجَائِعِ مِنْنَا الْعَطَبَا
 وَأَنْتَ بِالْأَكْرَةِ تَقْضِي هَازِئَا
 بِكُلِّ شَاكِّ مِنْ طَوَاهِ الْحَرَبَا^(١)
 وَنَحْنُ لَا نَرْضِي لَذِي مَتْرَبَةِ
 يَشْكُو الطَّوَى مِنْ مَالَنَا أَنْ يَنْصَبَا
 سِيَّانِ مَنْ عَاشَ وَمَنْ مَاتَ طَوَى
 إِنَّا غَدَوْنَا وَافْرِينَ النَّشَبَا^(٢)
٤٣٢٣٤٣٥
 وَإِنْ نُخَصِّصْنَكَ بِكُلِّ مَعْهَدٍ
 أَرْخَصَ فِيهِ شَائِدُوهُ الْذَّهَبَا

(١) الأشرة بفتح الثناء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء هنا للشعر. والحرب: الضيق.

(٢) الطوى: الجوع. والنشب: الماء الأصيل.

ولم ندع لالعلم في أرجائه
 فرعاً تخاف بطشه أو منصباً
 فالعلم قد يرضي بـطمر ملبسًا
 وأنت لا تلبس إلا القشيباً^(١)
 ونحن لا يرثونا إلا الذي
 يختار الظاهر منه السأبا^(٢)
 فلو رأينا نصبًا مرتدًا
 حلة ديناج عبدها النصبًا^(٣)
 وقلت والجهل يشبّ ناره
 ويجعل الألباب فيها حطباً
 أحسنت يا جهل لعمري موقدًا
 أحسنت يا جهل لعمري ملهمًا
 إن أنت أتبعت النهي عواطفًا
 منا وأخلاقًا نراها نخبًا
 فقال لا تعجل فذا من أربى
 وإنني منكم سائق خي الأربا
 فصفقوا يا قوم للجهل معى
 أحد تصفيق ويسروا طربا
 فكما الجهل غداً محرقاً
 منالنا غير العنام ماجلاً
 فليس يشكو غير ذي عواطفٍ
 سليمٌ في الحياة التعبا

(١) الطمر: الثوب البالي. والقشيب: الجديد.

(٢) السلب: الثياب السود.

(٣) النصب: الأصنام.

والجهلُ - والحمدُ لَهُ - مُرِحْنَا
 من كلٍّ ما نُخْمِرُ منه الرَّهْبَا
 والشَّعْبُ طوعٌ للهُوَى والهُزُءُ إِنْ
 بكلٍّ شَعْبٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَعْبًا
 وَكُلُّ مَنْ مُوْطَنُهُمْ مَا بَيْنَهُمْ
 الْقَى إِخَاءً جَلَّ أَنْ يَنْقُضُ
 فَأَصْبَحُوا يَرُونَهُمْ أَمَّا لَهُمْ
 جَدِيرٌ بِالبَرِّ مِنْهُمْ وَأَبَا
 وَكُلُّ مَنْ وَاصَلَ - طَوْعَ عَقْلِهِ
 وَعَالَمَهُ لَكِي يَعْيِشُ - الدَّابَا
 وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَخْشَ - فِي تَطْلِبِهِ
 مَعَارِفًا يَعْلُو بِهِنَّ - الْلَّغْبَا^(١)
 فَالهُزُءُ مِنَابِهِمْ مُتَّمٌ
 لِجَهَانَارَضًا عَلَيْنَا لَزِبَا^(٢)
 وَإِنْ يَأْمُنْ مِنَ الْأَئَمُ فَلَنْ حَثَّنَ
 فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَكْفَ التُّرْبَا
 وَلَنْرِفِي الأَصْوَاتَ مِنَاقَحَةً
 نَقْوُلُ عَنْهُ: احْتَاجَ أَنْ يَرْدِبَا
 فَذَاكَ مَمَّا يُحْزِنُ الْعِلْمَ الَّذِي
 خَفَنَا عَلَى الرَّاحَةِ مِنْ الشَّجَبَا
 وَحَقْفُهُ يَا قَوْمُ أَنْ تُحْزِنَهُ
 حَتَّى وَلَوْعَنَا تَوَلَّ خَبَبَا

(١) اللغب: التعب والإعياء الشديد.

كَيْ لَا نَرَاهُ أَبْدًا عَنْ أَرْضِنَا
إِلَّا بَعِيدًا شَاحِطًا مُغْتَرِبًا
فَإِنَّنَا غَيْرُ أَمِينَ - إِذَا
عَادَ - عَلَى رَاحْتَنَا أَنْ تُسْأَبَا

لنس في الوطن أحبابا

وَشَرُّ أَغْرِبَةِ التَّفْرِيقِ مِنْ جَعَلُوا
لِلارتِزاقِ مِنِ الْعِمَّاتِ أَسْبَابًا
بِاسْمِ الدِّيَانَةِ رَدُّوا جَمِيعَكُمْ فِرَقًا
وَالدِّينُ جَاءَ لِصَدْعِ الشَّمْلِ رَأْبَا
سَعَوْا يَبْثُونَ رُوحَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ
لَيُدْرِكُوا مِنْكُمْ بِالْخُلْفِ آرَابَا
قَدْ أَعْرَبْتُ لَكُمْ عَنْ سَوْنِيَّتِهِمْ
لَوْ تَفْطُنُونَ مَسَايِّعِ الْقَوْمِ إِعْرَابَا
إِنْ يُعْجِبِ السَّعْيُ مِنْهُمْ بَيْنَكُمْ نَفَرَا
رَمَاكُمْ بِهِمْ «الْتَّامِيزُ» إِعْجَابًا^(١)
فَإِنْ سَعَيْتُمُ الْمَشْرُومَ أَغْضَبَ مِنِ
أَبْنَاءِ عَدْنَانَ كُلَّ الصَّيْدِ إِغْضَابَا
قَدْ حَاوَلُوا فِيكُمْ تَنْفِيذَ مَكْرِهِمْ
بِاسْمِ الدِّيَانَةِ خَدَاعِينَ خُلَابَا
إِنْ انْطَلَتْ يَا لِقَوْمِي مِنْهُمْ حِيلَّ
عَلَيْكُمْ فَالبَثُوا فِي الذُّلُّ أَحْقَابَا
يَا أَحْبَطَ اللَّهُ مَسْعِي مَعْشِرِ فَتَحُوا
عَلَيْكُمْ مِنْ مَمِيتِ الْخُلْفِ أَبْوَابَا

(١) التَّامِيزُ: نَهْرٌ فِي بَلَادِ الْإِنْجِلِيزِ.

وَأَوْهَمُوكُمْ بِأَنَّ الدِّينَ يُلَزِّمُكُمْ
 أَنْ تَدْخُلُوهُنَّ أَحَادِيَاً وَأَسْرَاباً
 حَتَّىٰ مَيْضُكُمْ مِّنَ الْخُلْفِ مِنْ شَحَذُوا
 لِأَكْلِنَا مِنْ بَنِي «الْتَّامِيز» أَنْياباً
 بِنَاسَ يُنْشِبُ أَنْيابَ الْعَدُوِّ - كَمَا
 نَخْشِي - تَفَرَّقُنَا إِنْ دَامَ إِنْشَاباً
 فَلَتَنْفُ وَهَدْتُنَا الْمُثْلِي تَفَرَّقُنَا
 وَلَنْمُسْ فِي الْوَطَنِ الْمُحِبُوبِ أَحْبَاباً
 وَلَنْتَبِعْ مَا بِهِ الدِّينُ الصَّحِيحُ قَضَى
 وَلَنْعَتَلْ مِنْ ذُوِي الْعِمَّاتِ أَنْصَاباً^(١)

* * * *

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تُنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين^(١)

أرضى وأغضبَ تصريحُ المقال كما
تقضي الصراحةُ إرضاً وإغضاها
أما المُحِقُّونَ عَمَّا قد حوى فرَضوا
وأوسعوا رَبْهُ حَمْدًا واعجاباً
والآخرون عليه أَنْزَلوا سَخَطاً
هذا لأنَّ أخاهُ فِيهِ مَا حابَ
نافِقٌ وداهِنٌ وَلَا لَمْ تَلِجْ أَبَدًا
إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ إِيذَائِهِمْ بَابًا
خَلُّ الصِّرَاحَةِ أَوْ لَا فَانِتَصَبْ هَدَفًا
لِنَبَّالِهِمْ لَا يَرِي فِي الرَّمْمَى إِغْبَابًا^(٢)
وَيَأْمُمُهَا أَمَّةً تَلْقَاكَ مُعْرِبَةً
عَنْ بُغْضِهَا الْوَطَنِيِّ الْحُرُّ إِعْرَابًا
مَا ذَنْبُهُ عَنْهَا إِلَّا صِرَاحَتُهُ
فِيمَا يَقُولُ وَإِنْ لَمْ يَغْدُ كَذَابًا
أَوْ قَفْتَمُوهُ عَلَى جَمِيرِ الْأَدَى سَفَهًا
لَا انْبَرَى لَانْصَادَعِ الشَّعْبِ رَاءَ بَابًا^(٢)

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تصريحهم في حق صقر الشبيب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.

(٢) أغب: جاء يوماً وترك يوماً.

شَنَّ الْمَغَارَ عَلَى الْعَادَاتِ فَاسِدَةً
 وَاجْتَثَّ مِنْهُنَّ أَوْتَادًا وَأَطْنَابًا
 بِئْسَ الْجَزَاء تَلَقَّى مِنْكُمْ رَجُلٌ
 فِي نَصْحَكُمْ لَمْ يَرْزُلْ إِنْ غَابَ أَوْ آبَا^(١)
 جَدَّدْتُمْ مَا «سَنِمَار» جَنَتْ يَدُهُ
 إِذْ أَغْرَيْتُ فِي ابْتِنَاءِ الْقَصْرِ إِغْرِابًا^(١)
 أَرَاقُكُمْ مَا جَزِي «النُّعْمَانُ» عَامِلَهُ
 إِنِّي أَرِي صُنْعَهُ أَضْحَى لَكُمْ دَابَا^(٢)
 أَصْنَعْ «نُعْمَانَ» أَحَبَّبْتُمْ مَغَبَّتَهُ
 حَتَّى اتَّنْهَيْتُمْ لَهُ فِي الصُّنْعِ أَضْرَابَا
 نَقْمَدْتُمْ مِنْ أَخِي الإِلْصَاحِ صِحَّتَهُ
 بِكُمْ لِيُوقَظَ أَفْكَارًا وَالْبَابَا
 طَابُ النَّاسُ لَكُمْ عَنْ كُلِّ مَوْصَلَةٍ
 إِلَى الْعُلَا وَلِهِ الْإِيقَاظُ قَدْ طَابَا
 فَجَاءَ يُوقَظُكُمْ مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ
 يُنْسِيَكُمُ النَّوْمُ أَخْلَاقًا وَآدَابًا
 فَقَمَمْتُمْ وَالْكَرِي غَاشِ عَقْوَلَكُمْ
 لَهُ تُحِدُّونَ أَطْفَارًا وَأَنِيابَا
 تَمَهَّلُوا رِيَثَمَا تَسْتِيقُظُوا تَضَعُوا
 مَكَانٌ سُخْطِكُمْ حُبِّاً وَإِعْتَابَا
 أَقْوَلُ وَالْحَزْنُ يُذْكِي النَّارَ فِي كَبْدِي
 لِلْحَاسِمِينَ مِنَ الْآدَابِ أَسْبَابَا

(١) سِنِمَار: الَّذِي بَنَى قَصْرًا لِأَحَدِ الْمُلُوكِ وَهُوَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُتَذَرِ فَكَافَاهُ بِأَنَّ الْقَاهَ مِنْ فَوْقَهُ فَقُتِلَ.

(٢) دَابَا: دَابَا، عَادَةً.

لِتُكِبِّرُوا عَالَمَهُ أَنْ تُلْحِقُوهُ أَذَى
 أَوْ تُكِسِّبُوهُ فَظِيعَ السَّبَّ إِكْسَابَا
 رُدُوهُ إِنْ زَلَّ بِالْحَسْنَى فَذَاكَ فَتَّى
 مَذْكَانَ نَعْرَفُهُ لِلْحَقِّ طَلَابَا
 هَلَّا نَقَاتِمْ إِلَى النَّقْدِ الشَّرِيفِ خُطَّى
 نَزِيهَةً وَلَجْنَمْ مِنْهُ أَبْوَابَا
 فَذَاكَ أَذْنِي إِلَى النَّفْعِ الْمُؤْمِلِ مِنْ
 أَنْ تَرَكَبُوا السَّبَّ أَكْوَارًا وَأَقْتَابَا
 إِنَّ السَّبَابَ سَلَاحُ الْعَاجِزِينَ فَمَنْ
 يَسْتَلُّ مِنْهُ حَسَامًا فِي الْوَغْيِ خَابَا
 سَلُوا الْجَبَانَ إِذَا مَا رَاحَ يَحْمَلُّ
 هَلْ اقْتَنَى مِنْهُ إِلَّا الدَّمُ وَالْعَابَا^(١)

* * * *

(١) العاب: العيب.

خير من تخير^(١)

على غير صافي الهمي ما انطويتْ
وطوع سوى أمره ما جرىتْ
وأنتَ ولا شك عـندـي كـذـا
ك وإن كنتَ أـوهـمتَ أـنـي جـنـيـتْ
وإن غـيـبـ الـوـهـمـ عـنـكـ الصـوابـ
فـعـمـاـ قـالـيـلـ أـرـاكـ اـرـعـويـتـ
فـمـاـ الـوـدـادـ غـداـ بـائـنـاـ
عـلـىـ أـسـ شـكـوـيـ عـلـيـهـ بـنـيـتـ
ـتـوـهـمـ مـاـ يـتـقـيـ فـاشـ تـكـيـ
إـلـيـ كـمـاـ الـيـوـمـ مـنـيـ اـشـتـكـيـتـ
وـقـالـ أـرـىـ أـحـمـدـ قـدـ أـتـيـ
سـوـىـ كـلـ مـاـ كـنـتـ مـنـهـ اـشـتـهـيـتـ
فـقـلـتـ التـسـرـعـ ضـدـ الصـوابـ
فـخـلـ التـسـرـعـ فـيـمـاـ رـأـيـتـ
ظـنـنـتـ فـخـفتـ وـكـمـ أـخـطـأـتـ
ظـنـونـ جـنـىـ غـرـسـهاـ كـانـ لـيـتـ
لـعـمـرـ أـخـيـ أـحـمـدـ مـاـ نـوـيـ
مـنـ الـأـمـرـ مـاـ تـتـقـيـ أوـ نـوـيـتـ

(١) كان الأستاذ أحمد البشير من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وَإِنِي مُرِيكَ وَشَيْكَ جَلِيْ
 حَقِيقَةً مَا كُنْتَ فِيهِ امْتَرِيْتَ
 سَأُطْلِعُ فَجَرَ عَتَابٍ يُزَيلُ
 دُجَى لِي لِيْلٌ ظَنٌّ بِهِ قَدْ سَرِيْتَ
 فَقَالَ الْعَتَابُ إِذَا سَيُعِيدُ
 بِهِ الْيَوْمَ حَيْ شَكُوكِيْ كَمَيْتَ
 فَقَاتُ أَجَلُ فَالْعَتَابِ الْحَكُ
 لَمْ أَبْتَلِي فِي الْوَرَى وَابْتَأْلِيْتَ
 فَقَالَ الْعَتَابُ يُسِيرُ فَسُمْهُ
 صَدِيقَكَ حَتَّى أَقُولَ أَكَتَفَيْتَ
 فَقَاتُ سَأْفَعُلُ حَتَّى تَقُولَ
 صَدِقَتْ وَنَعَمَ الصَّفَيْ أَصْطَفَيْتَ
 فَسَاءِنِيْ مِنْ قَانِبَهِ نَازِلُ
 بِحَيْثُ أَرَدْتُ وَحِيثُ ارْتَخَيْتَ
 فَعَاتَبْتُ لَا أَبْتَغِي غَيْرَ ذَاكَ
 فَأَوْهَمْتُ أَمْرًا سَوِيْ مَا ابْتَغَيْتَ
 أَهْجَوْا أَسْوَمُ أَخَا بَسَوِيْ
 سُلَافَةً أَخْلَاقَهِ مَا اانْتَ شَيْتَ
 وَإِنْ شَئْتُ رَاحَةً نَفْسِي عَمَدْتُ
 إِلَى رَاحِ آدَابِهِ فَاحْتَسَيْتَ
 أَسْمَمَاً ظَنَنْتَ كَؤُوسَ الْعَتَابِ
 وَلَيْسَ بِهِ مَنْهِ إِلَّا الْكُمَيْتَ
 أَسَأَتِ الظَّنَنُونَ إِلَى أَنْ نَسَبَتْ
 لَا فَظِيْ مَعْنَى لَهِ مَا عَنَتْ

وما كنتُ أحسبُ أن تَسْتَرِيبَ
 ولو بِمَرِيبِ المَقالِ أَتَيْتُ
 لِأَذْكَرْتُ مَا لَمْ أَمْرُؤْ
 لِصَحْبِي وَإِنْ غَدَرُوا بِي وَفَقِيتُ
 وَأَنْتَ لِعَمْرِي مِنْ خَيْرِ مَنْ
 تَخَيَّرْتُ مِنْ مُعَشَّرِي وَانْتَقِيتُ
 لِي السَّوْلُ مِنْ سَوْءِ حَظٍ قَضَى
 عَلَيَّ بِذَنْبِهِ مَا جَنَيْتُ
 إِذَا سَاءَ بِي الظَّنُّ مِنْ صَفَوْتِي
 فَهُلْ يَحْسُنُ الظَّنُّ مِمْنَ قَائِيتُ
 وَهَبْنِي عَثَرْتُ بِعُرْضِ طَرِيقِ
 عَلَيْهِ إِلَى خَيْرِ شَأْوِسَعَيْتُ
 أَلَيْسَ إِذَا وَاجَبَيْتُ أَنْ تَقُولَ
 لَعَالَكَ حَتَّى تَرَانِي اسْتَوَيْتُ^(١)
 وَمَنْ ذَا إِذَا مَا عَثَرْتُ يُقْبَلُ
 عِثَارِي وَيُنْهِي خُسْنِي فِي الْكُوَيْتِ
 سَوْى مَنْ بَهْمِ يَعْتَلِي وَاعْتَلَى
 مِنَ الشَّعْرِ أَوْ طِينِهَا كُلُّ بَيْتٍ
 إِذَا عَزَّنِي غَيْرُ حَوْضِ اللَّئَامِ
 فَلَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ مِنْهُ اسْتَثَقَيْتُ
 وَكَيْفَ أَغْتَبَ بِسَاطِي بِرِبِّي إِذَا
 تَذَكَّرْتُ أَنِّي مِنْهُ ارْتَوَيْتُ
 أَلَمْ تَرَنِي حِينَ غَاضَ الْكَرَامُ
 وَفَاضَ اللَّئَامُ بِبَيْتِي انزويت

(١) لَعَالَكَ: دُعَاء يُقْصَدُ مِنْهُ طَلْبُ إِزَالَةِ آثَارِ الْعَثَارِ.

فَبَعْدًا لِطُولِ حَيَاةِ بَهَا
 أَرَانِي بِهِمْ مِنْ حِمَامِي احْتَمَيْتُ
 فَلَيْسُ تُسَاوِي الْحَيَاةُ امْتِنَانَ
 لِئَامِ بِلَادِ إِلَيْهَا انْتَمَيْتُ
 فَلَمْ أَرَ أَشْنَعَ مِنْ لَؤْمِهِمْ
 وَالْذَّعَ منْ نَارِهِ مَا اصْطَأَيْتُ
 إِذَا قَلْتُ ذَا يَسْتَحْقُ النَّدِي
 وَبِرْهَنْتُ كَيْ لَا يَقُولُوا افْتَرَيْتُ
 أَجَابُوا أَلْمَ تَدْرِي مِنْ أَمْرِهِ
 بِمَا هُوَ كَيْتَ - اعْتَلَالاً - وَكَيْتَ
 وَقَالُوا كَمَا يَقْتَضِي لَؤْمُهُمْ
 بِهِ عَكْسَ مَا كَنْتُ مِنْهُ دَرِيْتُ
 لَكِيمَا يُجِيزُ لَهُمْ شُحُّهُمْ
 عَلَى مِنْ لِحَالِتِهِ قَدْ رَثَيْتُ
 فَعِنْ رِفَدِهِمْ زُورُهُمْ نَائِبُ
 وَدَعْنِي وَجَرِبْ تَجْدُّ مَا ادْعَيْتُ
 وَهُلْ بِسِرِّي الشُّوكُ مِنْ عَوْسِجٍ
 تَؤْبُ إِذَا جَئَتُهُ وَاجْتَنَيْتُ
 فَحَالُ مَسَاكِينِهِمْ بَيْنَهُمْ
 فُؤْيقَ مَنْ يَا هُمْ أَوْ تُحَبِّتُ
 فَأَوْعَجَ اللَّهُ عَدْلَ الْجَزَاءِ
 أَحْيِطُوا بِنَارِهِمْ جَيْدُوا بِرِزْيَتِ
 وَلَكِنْهُمْ أَمْهَلُوا فَاسْتَطَابُوا
 خَبِيثَ غَوَيْتِهِمْ، لَا غَوَيْتُ
 وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ إِمْهَالِهِمْ
 وَإِمْهَالِهِمْ فَابْكِهِمْ إِنْ بَكَيْتَ

أهَبْتُ إِلَى الرُّشْدِ جَهْرًا بِهِمْ
 فَلَمْ يَسْمَعُونِي حَتَّى وَهَيْتُ
 فَغَادَرْتُهُمْ وَاقْفَنِينَ عَلَى
 شَفَاهُوَةِ تَاتِيَظِي وَانْثَانِيْتُ
 فَلَوْكَنْتَ شَاهِدَتِهِمْ وَاقْفَنِينَ
 هَنْاكَ هَرَأَتَ بِهِمْ وَارْدَرِيْتُ
 فَأَصْبَحْتَ مِنْ فَرْطِ تَغْرِيرِهِمْ
 بِأَنْفُسِهِمْ عَجَبًا قَدْ قَخَنِيْتُ
 وَصِحْتَ بِمَا شَارَفُوا قَائِلًا
 عَنِ الْقَوْمِ يَا هُولُ كِيفَ اخْتَفَيْتُ
 وَمِنْ سَدَّعَيْنِيْنِيْ حِجَاهُ الْهَهْوِيْ
 فَهَيْهَاتِ أَنْ يَجْتَلِيْ ما اجْتَأَيْتُ
 فِيَا يُسْرُ إِنْ كَنْتَ بِي صَانِعًا
 كَذَا، فَإِلَى مَنْزِلِي لَا اهْتَدَيْتُ
 فَمَا خَيْرُ يُسْرِ أَرَانِي بِهِ
 ظَلَمْتُ كَمَا ظَلَمُوا وَاعْتَدَيْتُ
 تَبَارَكَتْ مُمْهِلًا أَمْثَالَهِمْ
 عَلَى سَوِءِ أَعْمَالِهِمْ وَاعْتَأَيْتُ
 شَكَوْتُ إِلَى بَعْخَهُمْ غَرَّةً
 زَمَانًا حَدَابِي إِلَى مَا اجْتَنَوْتُ
 فَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُمْ رُحْتُ مِنْ
 شَكَاتِي لَهُمْ شَاكِيًّا وَاغْتَدَيْتُ
 وَلَوْلَا اغْتَرَارِي بِهِمْ لَمْ أَكُنْ
 إِلَيْهِمْ بِشَكْوِ الزَّمَانِ انْبَرِيْتُ

العزلة

عَرَّتْنِي وَحْشَةٌ مِنْ كُلِّ حُرَّ
وَعَبَدَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَانْفَرَدَتْ
فَخَالَطَ مِنْ تَشَاءُ وَلَا تَأْمُنِي
فَإِنِّي عَنْ مَلَامِتِكَ ابْتَغَيْتُ
فَإِنَّ تَسْعَدْ بِمَجْتَمِعِ الْبَرِّيَا
فَإِنِّي بِاَنْفَرَادِي قَدْ سَعِدْتُ



إلى محتكر الجنة

إِنْ كَانَ لَا يَظْفَرُ بِالْجَنَّةِ
إِلَّا امْرُؤٌ مُثْلُكٌ نَوْجَنَّةٌ
مَنْ يَصْبِّنَ عَطَايَاهُمْ
بِجَيْبِكَ الْفَارِغِ ذِي الْفُسْحَةِ
وَالنَّارِ يَصْلِي جَمَرَهَا مِنْ غَدَا
بِهِ انْحرافٌ عَنْكَ بِالْمِنْحَةِ
فَلَا يَسِّي فِي الْجَنَّةِ لِي رَغْبَةٌ
فَأَعْطَى مِنْ شَتَّى بَهَا حِصْنَتِي
وَمَا سَوَى النَّارِ الَّتِي تَأْتَى
- إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهَا مَعِي - مُنْيَتِي



ذكرى كريم^(١)

ما تذكرت سالماً قط إلا
وتجارت لذكره عبراتي
عاصياتِ تجلدي طائعاتِ
لي شجونا كالنار ملتهباتِ
ذاك ما تفتخشه ذكرى كريم
قد أطابت حياته لي حياتي
شتئتْ أو لم أشتأْ كذلك سأبقي
حسبَ ظني المصير حتى مماتي
ما عجيبٌ عليه طولُ بكمائينِ
واشتعلالي بِمُلتنسي الزُّفراتِ
بل عجيبٌ أن لا تذيبَ وتبلي
مهجتي بعد سالم حسراطي
كنتُ في موطنِي الكويتِ بناري
أصطليها في سائر الأوقاتِ
فاستحالت بِرِّهِ المتواли
مثل ما أشتاهي إلى جناتِ

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محباً للشاعر وينعم عليه كثيراً. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثُمَّ لَمَّا قَضَى اسْتِحْالَتْ شُجُونًا
كَاوِيَاتٍ حَشَائِيْ بَلْ مَحْرِقَاتٍ
فَعَالِيَهُ أَرْزَكَى التَّحْيَةَ مِنِي
وَمِنَ الْلَّهِ أَوْفَرُ الرَّحْمَاتِ

****[]

الحريري على تاريخ الكويت^(١)

كَسَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمُ أَضْفَى
شِيَابِ الْفَخْرِ مَوْطَنَةَ الْكُوَيْتِ
بِبَثٍ نَفِيسٍ رُوحِ الْعِلْمِ فِيهَا
وَإِحْيَاءِ الْحِجَاءِ وَكَانَ مَيْتًا
فَمَرْحِى لَابْنِ أَحْمَدَ إِذَا أَعْادَتْ
مَسَاعِيهِ مُحَلِّيْنَا سُكِّيْتَا^(٢)
فَحَأْبَبَهُ كُلُّ فَضْلٍ مِنْ تُجَارِي
بِهَا يَا نَجْلَ أَحْمَدَ قَدْ شَأْيَتَا^(٣)
سَرِيْتَ وَنَحْنُ فِي لَيلِ التَّوَانِي
نِيَامُ الْعَالَمِ وَمَا وَنَيْتَا
فَأَجْنَاكَ السُّرُى أَحْلَى جَنَاهُ
وَأَطْيَبَهُ كَمَا مِنْهُ اشْتَهَيْتَا
فَأَصْبَحَنَا نَقْولَ وَقَدْ رَأَيْنَا
جَنِيْ غَرِسِ الْمَتَاعِبِ إِذَا سَرِيْتَا
لَوْأَنَا، لَيْتَنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
تَقْوِلَ هَوَازِنَا هَيْهَاتَ هَيْتَا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبد العزيز الرشيد.

(٢) السكيت: آخر خيل الحلة. والمجي: أولها.

(٣) شاي: سبق.

لَكُلٌّ مَرْدِخٍ فَخَلٌّ إِذَا مَا
 سَعَى يَا ابْنَ الرُّشَيدِ كَمَا سَعَيْتَا
 أَلَمْ تَجُلُّ الْحَقَائِقَ نَاصِعَاتٍ
 سَوَافِرَ مُنْزَسِيَّاً لَوْاً وَلَيْتَا
 وَلِبَدَاءُ الْحَقَائِقِ كُلُّ حُرٌّ
 بِهِ شَفَقٌ إِلَيْهِ كَمَا رَأَيْتَا
 فَتَارِيخُ الْكَوْيِتِ الْحُرِيَّثِيِّ
 بِهِ خَيْرًا عَالِيكَ وَإِنْ أَبَيْتَا
 بَنِيتَ عَلَى الْحَقَائِقِ مِنْهُ أَسَّا
 فَمَا نَخْشَى تَدَاعِيَ مَا بَنَيْتَا
 وَأَجْنَبَيْتَ الْأَلَى نَظَرُوا إِلَيْهِ
 بِإِنْعَامٍ أَطَايبَ مَا جَنَيْتَا
 وَأَجْرَيْتَ الصِّرَاحَةَ فِيهِ صِرْفًا
 وَلَمْ تَمْرِجْ سُلَافَتَهَا الْكُمَيْتَا
 كَأَنَّيْ بِالذِّي يَتَلَوَهُ جَهَرًا
 يَقُولُ لَمْ وَعَاهُ هَلْ اَنْتَ شَيْتَا
 لِيَسْ قُطْكُلْ تَارِيخٍ إِذَا لَمْ
 يَكُنْ مَجْرِي ذُويهِ كَمَا جَرِيَتَا
 فَلَا شُلْتَ يَمِينُ مِنْكَ خَلَطْتَ
 نَفَائِسَ مَا جَمَعْتَ وَمَا وَعَيْتَا
 وَلَا حَطَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا يَرَاعًا
 بِهِ عَنْ كُلِّ سَفَرَةٍ نَّايَتَا
 وَلَا تَلَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ عَرْشًا
 عَلَيْهِ مِذْحَادِتَكَ اسْتَوَيْتَا

فَأَنْتَ أَجَلُّ نَاسٍ صَحَا وَنَفَعَا
 لِمَنْ لَا تَجْتَبِي وَمَنْ اجْتَبَيْتَا
 وَأَطْوَلُّ نَاسًا وَأَصْفَانَا إِذَا مَا
 دَجَا خَاطِبُ ذِبَالَاتِ وَزَيْتَا
 عَلَى الْقِدْحِ الْمُعَلَّى فِي الْمَعَالِي
 وَكُلُّ مَوْئِلٍ مَجْدِ احْتَوَيْتَا
 فَأَيُّ سَنَامٍ مَكْرَمَةٌ تَعَالَّ
 وَأَنْتَ عَلَى ذُرَاهٍ مَا اعْتَدَيْتَا
 كَمْ لَاتَ فَإِنْسَتُ أَسْأَلُ فِيكَ رَبِّي
 سَوْى إِسْهَابِ عَمْرَكَ لَا رَدِيْتَا
 فَإِنْ حَيَا تَكَ الْمُثْلَى حَيَا
 لِأَوْطَانِ رَقَّتْ بَكَ إِذْ رَقَّيْتَا

من عاداتي وشيمي

أرى خير ساعات المسيرة ساعةً
يكون بها حولي صديق أحابه
يُبَيِّنُ كلاما سره لصديقه
بغير احتشام أو حبيب أعاشه
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسُفْرُ جليل النفع تشي مباحثه
فذلك ريحانى دراهي وراحاتي
وداعي سروري حين أسى وباعته
فيما قاصدي بالخُبُث ما أنا بالذى
يُخَايِثُ فاقصده في الورى من تُخَايِثُه
فوقتي بكتبي والحبيب وإخواتي
له شُغُل عن رد ما أنت نافعه
من الجهل إنفاقي من الوقت لحظةً
بنبئي ثرى أمثال ما أنت نابعه
على أنني والحمد لله لم يكُنْ
قميصي على غير الفضيلة لائته^(١)
وبرهان فضلي أنني عنك معرض
وقابع في أمري به عاث عائده

(١) لاثه: لفه وعصبه.

أخذتُ على نفسي أكيدَ عهودها
 لصفحي عن الجاني وما أنا ناكثٌ
 وأقسمتُ أنني لا أكافئُ حاسداً
 على حسدِ والhalbُ غيري حانثٌ
 وما رأثَ في عَونِي على دفعِ محنٍ
 إذا اسْطَعْتُ عن قلبِ امرئٍ قطُّ رائثٌ
 وما زلتُ مُسْطِيعاً لَحَصْدِي ما به
 من الشوكِ ما يؤذى الذي هو حارثٌ
 ولم أستطع صرفَ الأذى عن حشا امرئٍ
 تولتْ حشادَ في سكوتِي فوارثه^(١)
 فلا ينتظِرْ مني الإجابةَ شاتمٌ
 ولو أنه كالدهر جمتْ حوادثٌ
 بشيءٍ سوى حُسْنِ المقال وإنه
 لطبعِ أبي قبلي وإنِي لوارثٌ
 وإن لم أجده شافياً قلباً كاشحٌ
 فإني طويلُ الصمتِ راعيهِ ماكثٌ
 وهل يُتحفُ المسكُ الأنوفَ بغيرِ ما
 يطيبُ إذا ما ثته يوماً موائته^(٢)
 إذا استَوْغَرَ الإنْسَانُ أخلاقَ صاحبٍ
 تولتْ خالياني في خلاقي دمائته^(٣)
 وما حُلتُ عن خِدْنِ أمالٍ يساره
 إلى فاقدي من ذا الزمانِ كوارثٌ

(١) فرث كبد: ضربها وهو حي.

(٢) ماث الشيء في الماء يميته: أذابه.

فَقَدْ عَلِمَ الْأَخْدَانُ أَنِي وَفِيهِمْ
 وَأَنْ وَدَادِي دَائِمُ الْعَهْدِ لَابْنِهِ
 وَأَنِّي لَا يَخْشَى الْعَدُوُّ بِوَادِرِي
 إِذَا انْحَصَّ عَنْ رِيشِ الْعَدُوِّ أَثَائِهِ^(١)
 فَمِنْ سَوْءِ قَمْعِي لِلْعَدُوِّ أَمَانِهِ
 وَمِنْ حُسْنِ صُنْعِي لِاَصْدِيقِ مَغَاوِتِهِ
 وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ الْأَلْيَنِ لَا الَّذِي
 تُصَبِّ عَلَى رَأْسِ الظَّالِمِ هَنَابِثِهِ^(٢)
 وَإِنِّي فِي ذَبَّيِّ عَنِ الْحَقِّ تَنْنَثِي
 أَجَادِلُ ظَلَمٍ عَنْهُ وَهِيَ أَبَاغِثِهِ^(٣)
 وَمِنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ حَقٍّ وَغَاصِبٍ
 فَلَا لَمْ فِي الدَّارِينِ مِنْهُ مَشَاعِثِهِ
 وَيَا نَاقِدِي إِنْ لَمْ أَخَفْ بِطَشَ ظَالِمٍ
 بِفِيكَ عَلَى النَّقْدِ النَّقِيدِ كَثَاثِهِ^(٤)
 أَأَحْجَمُ عَنْ فَكِّي لِذِي الْضَّعْفِ حَقَّهُ
 إِذَا قَيَّدْتَهُ مِنْ ظَلَمٍ رَوَابِثِهِ^(٥)
 إِذَا لَا تَمَادَتْ بِي مِنَ الْعِيشِ فَسَحَّةٌ
 وَلَا أَمْهَلْتَنِي فِي حِمَامِي حَثَاثِهِ^(٦)
 وَإِنِّي عَلَى بُؤْسِي مَتَى أَلَقَ بَائِسًا

(١) انْحَصَ الشِّعْرُ: سُقْطٌ وَالْأَثَائِثُ: جَمْعُ أَثْيَثٍ وَهُوَ الْمُلْتَفِ الْكَثِيرُ.

(٢) الْهَنَابِثُ: الدَّوَاهِيُّ.

(٣) الْأَبَغْثُ: جَمْعُهُ أَبَاغْثٌ طَائِرٌ مِنْ طَيُورِ الْمَاءِ، وَهُنَّا يَرِيدُ طَيْرًا أَصْفَرُ مِنْ الرَّخْمِ بَطْيَءُ الطَّيْرَانِ.

(٤) الْكَثَاثُ: التَّرَابُ، وَجَمْعُهُ كَثَاثٌ.

(٥) الرَّوَابِثُ: الْمَوَانِعُ.

(٦) الْحَثَاثُ: السَّرَّاعُ.

فَفَلْسِي لَكِيسي كَالعُدوِّ يُمَاغِتُه^(٧)
 وَيُطْرُبُنِي شَكْرُ الْخَعِيفِ أَعْيَنِه
 عَلَى أَمْرِهِ لَا مِزْهَرُ وَمَثَالِهُ^(١)
 وَمَا طَابَ لِي يَوْمًا مِنَ الزَّادِ طَعْمَهُ
 وَذُو رَحْمٍ لِي ضَامِرُ الْبَطْنِ غَارِتُهُ^(٢)
 فِيَا طَاعُمًا وَالْجَوْعَ يَشْكُو قَرِيبُهُ
 أَمَاتَكَ مِنْ دَاءِ السَّرَّاحِينِ ضَابِتُهُ^(٣)
 وَمَا خَيْرُ مَحْيَا مُسْهِلٍ وَحَمِيمَهُ
 تَهَادَاهُ مِنْ نَهَجِ الْحَيَاةِ أَوْاعِتُهُ^(٤)
 وَلَا رَوِيَتْ نَفْسُ الَّذِي الْمَاءُ عَنْهُ
 إِذَا لَمْ يَرِدْهُ جَاهَدُ الْأَرْوَحِ لَاهِتُهُ^(٥)
 وَإِنِّي لَذُو عَرْضٍ بِعَيْدٍ مِنَ الَّذِي
 يَسْبُ صِلَالَ السَّبِّ وَهِيَ بِرَاغِتُهُ^(٦)
 وَيَا رَبِّيَا آذَاهُ فِي مَقَالَهُ
 مُدْيِ التَّيْسِ فِي التُّرْبِ الَّذِي هُوَ بَاحِتُهُ^(٧)



(١) المزهـر: الله من آلات الـطرب. والمـثالـث: مفردـها المـثلـث وـهو ثـالـث أوـتـار العـود.

(٢) غـارـثـ: جـائـعـ.

(٣) السـراحـينـ: الذـئـابـ. والـخـابـثـ: القـابـضـ قـبـضاـ شـدـيدـاـ.

(٤) الأـوـاعـثـ: الـطـرقـ العـسـرـةـ.

(٥) لـاهـهـ العـطـشـ أوـ السـفـرـ لـوـحـاـ: غـيرـهـ.

(٦) الصـلـالـ: الـحـيـاتـ. السـبـ: الثـوبـ، وـقـدـ شـبـهـ بـرـاغـيـتـهـ بـالـحـيـاتـ، كـنـيـةـ عنـ شـدـدـةـ لـسـعـهـاـ.

(٧) يـشـيرـ إـلـىـ المـثـلـ كـالـبـاحـثـ عنـ حـتـفـهـ بـظـلـفـهـ، وـذـلـكـ أـنـ شـأـةـ أـوـ ثـورـاـ كـانـ يـرـادـ ذـبـحـهـ، وـحـفـرـ بـظـلـفـهـ فـظـهـرـتـ مـدـيـةـ.

لن يعيث^(١)

لكل سهام موجعة فؤادي
أراه في الكويت غدانجي ثا
إلى كم أستجير ولا مجير
وكم ذا أستغيث ولا مغيثا
كأني بيذكم ذئب خبيث
وكل يكره الذئب الخبيثا
فإن يغريبكم نصحي فإني
بسيري في النصيحة لن أريثا
سأبقى مثل ما أني قدِيمَا
بحبل الصبر معتصم، حديثا
حثيثا سير نصحيكم إليكم
فسيروا بالآذية لي حثيثا
فإنني أرجي لكم انتباها
ولو حبل الرجا أمسى رثيثا
ثقوا أن الآذى منكم بصربي
عليكم حين أنسح لن يعيثا
إلى أن أطمئن بنجح سعي
وأجننكم جنى غرسي أثيثا^(٢)

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

سَأَنْزَلُ فِي قَابِكُمْ مَكَانًا

(١) إِذَا انجَابَ الْكَرِي عنْكُمْ دَمِيَثَا

وَلَوْ أَسْمَعْتَمْ وَنِي الْيَوْمَ قَوْلًا

(٢) جَرِيرُ قَبْلُ أَسْمَعَهُ الْبَعِيَّثَا

فَرُبْ نَصِيحٌ أَقْوَامٍ شَتَّىمِ

(٣) أَصَارُوهُ لَهُمْ دِهْمٌ وَرِيَّثَا

(١) دَمِيَثٌ: لَيْن.

(٢) الْبَعِيَّثٌ: شَاعِرٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَرِيرٍ هَجَاءُ.

(٣) الشَّتَّىمُ: الشَّدِيدُ الْخَلْقُ مَعَ قَبْحِ الْوِجْهِ.

حَالُهُمْ أَدْهَى وَأَبْرَح

دَعَّتِنِي حاجاتي إلى مَدْحٍ مُعَشَّرٍ
فَجَئْتُ إِلَيْهِم طَوْعًا حاجيًّا أَمْدَحُ
فَكُنْتُ كَائِنِي مِنْ عُبُوسٍ وَجُوهِهِم
تُجَاهَ مَدِيْحِي جَئْتُ أَهْجُو وَأَقْدَحُ
يَخَافُونِ إِرْفَادِي لَأَنْ نُفُوسَهُمْ
بِهِنَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا الطَّبْعُ يَجْنَحُ
وَإِنْ خَيَّبُونِي أَشْفَقُوا مِنْ قَصَائِدِ
تُشَيرُ كَمِينَاتِ الْعُيُوبِ وَتَفْضَحُ
فَمَا بَيْنِ إِرْفَادِي وَمَنْعِي حَالُهُمْ
مِنَ الْمَنْعِ وَإِلَرْفَادِ أَدْهَى وَأَبْرَحُ
عَلَى أَنِّي مَا زَلتُ - مَذْكُنْتُ - قَالَيَا
مِنَ الشِّعْرِ مَا الأَعْرَاضُ تَخْشَاهُ يَجْرَحُ
وَلَكِنْ مَرِيبُ الْقَوْمِ يُرْدِيهِ خَيْفَةً
تَظَانِّيَّهِ حِيثُ الْأَمْنُ يُمْسِي وَيُصِبِّحُ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ مُحْوِجي
إِلَى غَيْرِهِ مَمْنُ يَشُّحُ وَيَسْمَحُ



أمع الحياة سعادة؟

ما كنتُ أغبِطُ مذ أربَتْ سوى الذي
ما كان قَطُّ ولن يكون مدي الأبدُ
أمَا الآلَى كانوا فاستُ بغابٍ
منهم على شيءٍ يفوزُ به أحدٌ
من كان ليس بمستحقٍ غبطةً
حتى وإن قال الورى عنه سُعدٌ
أمع الحياة سعادةً؟ لا والذي
جعل الحياة لأهالها أمَّ النَّكَدُ
ولدت حياتي مع شقائي كلَّ ما
أبلَى عليها الصَّبرَ مني والجلدُ
فإذا جزعتُ فكلُّ نفسٍ لم تكن
إلا تَجْزَعُ حين تُقرَنُ بالجسدُ
ما إن ترِثُ مصائبِي في مَحِبِّي
إلا أنت أخرى لتخافُها جَدَّاً^(١)
يا قدرةً سَجَنتُ بجسمِي روحَهُ
ضاقُ الخناقُ على السجين المخطَهد
إن لم تَفْكِي الروحَ من جُثمانه
فتداركي منزورَ صبري بالمدَّ
أرجوكِ لا أرجو سواكِ فائِنِعِي
عَجْلًا على بما تَرَينَ من الرُّشدَ

(١) الجدد، بفتحتين: القاسية الصلبة.

ثُقلُ الْحَيَاةِ خَعْفَتْ عَنْ حَمَلِي لَهِ
 ضَعْفًا بِهِ لِي الشَّيْبُ أَعْدُلُ مِنْ شَهِيدٍ
 قَدْ آدَنِي عِبْرَةُ الْحَيَاةِ وَمِنْ رَأْيِ
 عِبْرَةِ الْحَيَاةِ لِذِي مَشِيبٍ لَمْ يَؤْدِ^(١)
 وَارْحَمْتَ الشَّيْبَ مِنَاهُ إِنَّهُمْ
 مِنْ حَمْلِ أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ لِفِي كَمْدٍ
 طَوْبَى لِمَنْ حَطَّتْهُ عَنْهُ يَدُ الرَّدِيِّ
 إِنْ لَمْ يُرَدْ إِلَيْهِ أَخْرَى أَوْ يَعْدَ
 فَخَلُّ الْمَنِيَّةِ غَيْرُ مُنْكُورٍ عَلَى
 ذِي شَيْبَةٍ وَجَدَ الْحَيَاةَ كَمَا أَجَدَ
 مُذْشِخَتْ لَمْ أَحْمَدْ حَيَاةِي سَاعَةً
 فَسَلَوا سَوَّا يَمْنَانِي هَلْ حَمَدَ
 لَوْكَنْتُ أَحْسَدُ مَا رَمِيتُ - سَوَى امْرَئِي
 قَدْ شَابَ شَيْبِي يَوْمَ يَرْدِي - بِالْحَسَدِ
 هَذَا عَلَى جَهَلِي بِمَا نَلَقَاهُ مِنْ
 بَعْدِ الرَّدِيِّ مَا هَنَاكَ لَنَا يُعَدُ
 يَصْبُو إِلَى مَجْهَوْلِ أَمْرَيْهِ الَّذِي
 مَعْلُومُ أَمْرَيْهِ لَهُ جِدًا جَهَادٌ
 وَالْمَرْءُ ذُو أَمْلِي يَبْشُرُهُ إِذَا
 سَاعَتْهُ حَالَتُهُ بِآخْرَى تَسْتَجِدُ
 وَكَذَا مَدِي الْحَيَاةِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي
 مَا كَانَ مِنْ مَحْيَا مُشْفُوعًا بَغْدَ
 فَإِذَا انتَهَتْ دُنْيَاكَ بَشَرَهُ بِمَا
 تُخْفِيهُ أَخْرَاهُ لَهُ مَمَا يَوْدُ

(١) آدَنِي: أَنْقَلَنِي.

فترأه من آماله مهمماً فَسَتْ
 حالٌ عَلَيْهِ يُحْسِنُ أَنْهُ مُطَرَّدٌ
 ما إنْ أَتَى الْمُلْقَلْبِ جَارِ
 إِلَّا أَتَى أَمْلُ فَدَاوِي أَوْ ضَمَّدٌ
 فَلَاذَا أَرَى آمَالَنَا مَعْدُودَةً
 مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَيْسَتْ تُحَدِّ
 وَكَذَا أَرَى الْآلَامُ فِي إِيقَاظِهَا
 مَنْ عَنِ تَعْرِفُ لَطْفِ خَالِقِهِ رَقَدٌ
 فَجَمِيعُ آمَالِي وَآلَامِي إِذَا
 نِعْمُ تَشَابَهَ خَيْرُهَا حَتَّى اتَّحَدَ
 وَلَعِلَّ مَشَقَائِ الْمَلَحِ أَتَى جَزَا
 فَعَلَى وَقْوَلِي الْحَائِدِينَ عَنِ السَّدَّدِ^(١)
 كَمْ مَرَّةٍ قَارَفْتُ ذَنْبًا قَاصِدًا
 وَجَزَاءُ ذَنْبِ الْمَرِءِ مُشْقِّ إِنْ قُصِّيدٌ
 وَعَسَى الْمَعْجَلُ مِنْ جَزَائِي مُنْقِذِي
 مَا يُؤْجِلُهُ لِي الْعَدْلُ الْحَمَدَ
 أَخْشَى عَدَالَتَهُ وَأَمَا فَخَلَهُ
 فَإِلَى سَوْى تَأْمِيلِهِ لَا أَسْتَنِدٌ
 لَوْلَمْ أَوْمَلْ فَخَلَهُ لَتَطَايرَتْ
 لِخَافْتِي مِنْ عَدْلِهِ نَفْسِي بَدَدَ^(٢)
 يَا أَيُّهَا الْعُمَرُ الَّذِي أَنْفَقْتُ
 فِيمَا تَبَيَّنَ زِيفُهُ لَمَانْقِدٌ

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

لِمْ يَبْقَ لِي إِلَّا تَذَكَّرُ مَا مَضِي
 مَتَنَدِّمًا فَسِرِ الْهُوَيْنِي وَاتَّئِدِ
 فَعُسِي طَوِيلَ نَدَامَتِي يَقْضِي عَلَى
 سُودِ الذُّنُوبِ وَجَمِيعِهِنَّ الْمُحْتَشِدِ
 يَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ أَنْقَدُ كُلَّ مَا
 قَدْ كُنْتُ أَتَيْهِ وَعُمْرِي مَا نَفَدِ
 أَوْ حِينَ آذَنَ بِالنَّفَادِ أَخْذَتُ فِي
 إِصْلَاحِ مَا أَسْلَفْتُهُ مَا فَسَدِ
 يَا رَبِّ فَاعْفُ فَلَا يَسِ لِي إِلَّا إِلَيْ
 تَأْمِيلِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي مِنْ مَرَدِ
 يَا مَنْ يَؤْمِلُ عَفْوَهُ الْجَانِي وَإِنْ
 فَاتَتْ لِكَثْرَتِهَا الْجَنَاحِيَاتُ الْعَدَدِ
 خَوْفُ الْحَسَابِ عَلَى ذَنْبِي هَدَنِي
 وَعَلَيْكَ فِي التَّأْمِيلِ مِنْهُ الْمُعْتَمَدِ
 وَخَزْرُ الْخَمِيرِ - وَلَسْتُ مَنْ يَقْوِي عَلَى
 وَخْرَاتِهِ - أَوْهِي الْقَوِيُّ مِنِي وَهَدَ
 قَاسِيَتُ فِي مَحِيَايِي مِنْهُ شِدَّةُ
 وَأَخَافُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنْ أَلْقَى أَشَدَّ
 يَا أَيُّهَا الْقَبْرُ الَّذِي أَنَا وَافِدٌ
 حَتَّمًا عَلَيْهِ كَلُّ مَنْ قَبْلِي وَفَدَ
 مَاذَا أَعَدْتُهُ الْقَبْرُ؟ أَرَاهُ أَرَاهُ
 أَمْ ضِدَّهَا أَمْ بَيْنَ بَيْنَ لَمْ وَرَدَ
 قَلْ لِي وَأَفْصِحْ إِنِّي مَسْتَخِرُ
 عَنْ ذِي الْأَمْوَارِ مُذِّاكِتَهَا لَتْ فَلَمْ أَفَدِ

فَعَسَى جَوابَكَ أَنْ يُبَرِّدَ غُلَّةً
 كَانَتْ وَلَمْ تَبْرَحْ بِقَابِي تَتَّقِدِ
 هِيهَاتٌ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَكُلُّ ذِي
 مَحْيَا، جُمُودَكَ عَنْ جَوابِي قَدْ جَمَدَ
 وَلَأَنْتَ أَعْزَزُ مِنْ سَائِلَتُ فَلَمْ يُحِرِّرْ
 يَوْمًا جَوابًا مَقْنَعًا فِي ذَا الصَّدَدِ
 مِنْ قَامِ يَطْلُبُ مَا اسْتَحْالَ مَنَالُهُ
 شَرُوْيَ قِيَامِي يَائِسًا مِنْهُ قَعَدَ
 لَمْ أَدْرِ مَا تَحْوي الْقَبُورُ لَنَا إِذَا
 مَا صَخْرُهَا يَوْمًا عَلَيْنَا قَدْ نُخِدِ
 أَمْا ظَواهِرُهَا فَهُنَّ مَظَاهِرُ
 مَا مِنْنَنَّ مِنَا مَهْمَلًا مِنْ مَسْتَعِدِ
 وَوَرَاءَهَا مَا لَيْسَ يَعْلَمُ كَنْهَهُ
 مِنْ جَدَّ فِي التَّنْقِيبِ عَنْهَا وَاجْتَهَدَ
 سَبَحَانَ مِنْ حَجَبِ الْخَلَاقِ كُلُّهَا
 عَنْ عَالِمٍ وَبِهِ تَوَحَّدَ وَانْفَرَدَ

يا فهد القوافي^(١)

لو كنت مِمْنَ فِي طَبِيعَتِهِ الْحَسَدُ
لَحَسَدَتْ دُونَ النَّاسِ شاعرَنَا فَهَدْ
فَقَرِيقُهُ السَّامِيُّ الْمُحَلُّ مُنْبَهْ
ما كَانَ مِنْ حَسَدٍ بِنَفْسٍ قَدْ رَقَدْ
لَكُنْ بِرَأْيِ اللَّهِ خَلُوَّ الْقَلْبِ مِنْ
حَسَدٍ بِهِ مَحْيَا ذَوِيهِ قَدْ فَسَدْ
فَإِذَاكَ أَغْبَطْتُهُ وَلَمْ أَحْسِدْ وَمَنْ
غَبَطَ الْمُبَرَّزَ لَيْسَ يَعْذِلُهُ أَحَدْ
جَرَّتِ الْقَوَافِي مِنْهُ فِي خَلَدِي كَمَا
يَجْرِي لِذِيَّدِ الْبَرِءِ فِي مُخْنَى الْجَسَدِ
أَوْ مِثْلَ مَا يَجْرِي زَلَالُ بَارَادْ
مَتَدَارِكًا أَحْشَاءَ حَرَانِ الْكَبِيدْ
زَامِلَتُهُ ظَالِمًا بِدَعْوَاهِي الَّتِي
إِنْ يَرْضَهَا أَصْبَحْ بِهَا مِمْنَ سَعِدْ
مَتَخَلِّلًا أَنِّي لَهُ فِي نَظَمِهِ
مَا رَاقَنِي مِنْ مَحْكَمَاتِ الشِّعْرِ نِدْ
وَلَكَمْ حَسَبْتُ الزُّورَ يَأْتِيَنِي بِهِ
مُؤْلِهِي التَّخَيْلِ أَنَّهُ حَقُّ وَجِدْ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فإذا انتبهتْ ثني انتباхи كلَّ ما
 نَظَمَتْهُ من خيرٍ يَدَاهُ لي بَدَدَ^(١)
 وأعوْدُ بعْدَ مصْدَقَةِ مِنْ وحِيَهِ
 أَنْ سرِّ نفسي كُلُّ زورٍ يَسْتَجِدُ
 ولَقَاءً مَا كَشَفْتُ خِيالِي الْكَرَى
 لِي يَقْظَةً فَكَرَايَ هَذَا مُطَرِّدٌ
 فإذا ادعَيْتُ حَقْوقَ غَيْرِي فِي الورِي
 فَعَلَى تَخَيْلِي انتقادُ المُنَتَّقِ
 فَتَخَيَّلْتُ مَا زَالَ يَدْفَعُنِي إِلَى
 دُعَوَى أَمْوَالِ لِيسَ لِي فِيهِنَّ يَدٌ
 وَعَلَى ادْعَائِي قَدْ أَرَى لِي عَازِرًا
 شَرْواهُ إِنْ جَارَ ادْعَائِي أوْ قَصَدَ
 فَلَقَدِيلَذُلِّي ادْعَائِي رَتْبَةً
 غَيْرِي بِهَا قَدْ خُصَّ دُونِي وَانْفَرَدَ
 وَإِذَا تُخْيِلَ جَرْدَعَوِي لَامْرِئٍ
 فِيهَا مَسَرَّتُهُ فَعَنْهَا لَمْ يَحِدَ
 إِنِي أَعْدُ خِيالَ كُنْهِ سَرَنِي
 مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَيْسَتْ تُحَدَّ
 وَتَخَيَّلْتُ نَيْلِي نَفِيسَ الْأَمْرِ إِنَّ
 أَخْطَأَتُ مِنْهُ الْكُنْهَ لِي حَظٌّ يُعَدَ
 وَلَطَالِمَا أَدَنَى تَخَيْلُ نِعْمَةٍ
 مِنْ غَبْطَةِ قَلْبٍ امْرِئٍ عَنْهَا ابْتَعَدَ
 وَحَقَائِقُ الدُّنْيَا خِيالَاتٌ إِذَا
 مَا جَالَ فِيهَا الْفَكْرُ عَفْوًا أوْ جَهَدَ

(١) البدد: الفرق.

هَنَّاكَ يَا فَهْدُ الْقَوَافِي وَاثِبَا
 مِنْ مَقْوِلِكَ مَا تَخْطَاهُ السَّدَدَ
 فَيَهُنَّ تَفْتَخِرُ الْكَوَيْتُ مَقْلَةً
 مِنْهُنَّ تَاجًا فَوْقَ هَامِتْهَا اَنْعَدَ
 فَبِفُرْرٍ آدَابِ ابْنِهِ إِنْ لَمْ يَنْلِ
 فَخْرًا فَمَاذَا يُكَسِّبُ الْفَخْرَ الْبَلَدَ
 مَا رَمْتُ أَنْ أَوْفِيكَ حَقَّا مُطْرِبًا
 إِلَّا وَعَمَّا رَمْتُ بِي عَجْزِي قَعَدَ
 فَإِلَيْكَ جُهْدَ الْمَقْصِرِ لِمَ يَرْضَهُ
 لَكَ لَوْلَأْنَفْسَ مِنْهُ حُسْنًا قَدْ وَجَدَ
 وَكَفِى عَلَى صَدِيقِ الْوَدَادِ وَصَفْرَهُ
 جُهْدُ الْمَقْصِرِ شَاهِدًا مَهْمَا شَهِدَ

عليك بإحدى الحسنيين

أَتْرُكُنِي مَا بَيْنَ يَأْسِي وَالرَّجَا
وَمِنْ أَحَدِ الْخَدِيدَيْنِ عَنْدَكَ لَيْ بُدُّ
وَكُلُّ بَنَاءٍ شَادَهُ لَيْ مَعْقَلاً
جَمِيلُ اصْطَبَارِي بَيْنَ هَذِينِ يَنْهَدُ
عَلَيْكَ بِإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ مَبَادِرًا
كَمَا تَقْتَضِي مِنْكَ النِّجَابَةُ وَالْمَجْدُ
فَإِنْ تَعْتَذِرْ فَالْعَذْرُ يَلْقَى قَبْوَلَةً
لَدِيْ وَإِنْ تُسْعِفْ فَمِنِّي لَكَ الْحَمْدُ



نظام

ما في الصفا لذى عَمِي
مشاعى أمرور خَمْد
كم مررة قد ضَمَّنى
فيها زحام أنكاد
كادت به عن جُنَاحِي
نفسي العزيزة تُفْقَد



لا تؤذوا الصريح

إِذَا نَجَمَ الْحَرِيقُ بِأَرْضِ قَوْمِي
فَإِنْ جَزَاءَهُ مِنْهُمْ نَادٌ^(١)
أَرَوْنِي فِي الْكَوَافِتِ تَجَلَّتْ
نَصَائِحُهُ كَمَا يُوحِي الْفَوَادُ
فَلَمْ نُأْلِحْقُهُ جَهَلًا مَا يُخَالِي
مَحَاجِرَهُ يُحَالِفُهَا السُّهَادُ



(١) الناد والنادي: الدهيبة. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال^(١)

أيرفع رأسه العربي يوماً
إذا امتلكت فلسطين اليهود
وهل عذر له إن لم تجده
بأغلى مالديه لها يجود
وراء الخطب هذا أي خطب
تُسان له النفوس أو النقود
أبعد اليوم يوم فيه تزكي
لباذلها من العرب الجهد
بني العرب الآلى ما عدّ منهم
فتى عن نصر عشرة يحيد
اما كانوا وبعضاً لهم لبعضٍ
إذا حم العدا ركن شديد
اما أدى تعاونهم إلى ما
يعمّهم به العيش الرغيد
ولو لم نفترق من بعد جهلاً
لما عدنا وسائلنا مسدود
نجدد مدحهم والمدح عار
علينا - لو تأملنا - عتيد

(١) نشرت في السجل الأغر ١٧ شوال ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الأول ١٩٣٧ العدد ٧٧ وتكملتها في العدد

فَلِمْ نُطْرِي الْجُدُودَ عَلَى عُلَاهِمْ
 وَلَمْ نَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ الْجُدُودَ
 فَإِمَّا أَنْ نَكُونَ قَدْ افْتَرَيْنَا
 إِذَا رَحَنَا بِذَكْرِهِمْ نُشَيِّدَ
 فَلَمْ يَخْخَرْ مِنْ شَرْفٍ وَمَجْدٍ
 لَهُمْ مَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ عُوْدَ
 وَلَا كَانُوا وَقَائِدُ كُلِّ شَعْبٍ
 جَنِيبُ خَلْفِ قَائِدِهِمْ مَقْوُدَ
 وَلَا خَفَقَتْ أَهْمَافُهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ
 بِغَيْرِ مَجْرِ الدُّعَوَى بُنُودَ^(١)
 وَلَا كَانُوا مِنَ الْإِقْدَامِ قِدَمًا
 بِحَيْثُ تَهَابُهُمْ حَتَّى الْأَسْوَدَ
 وَلَا كَادَتْ عُدَاتُهُمْ - إِذَا مَا
 أَتَاهَا أَنَّهُمْ غَرَبُوا - تَبِيدَ
 وَلَا كَانُوا زَمَانَ الْجَدْبِ سُجْبًا
 عَلَى الْعَافِي بِمَا يُفْنِي تَعُودَ
 وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ بَنْيَ سِواهِمْ
 وَحَذْوُ الْجَدْ - يَحْذُو الْحَفَيدَ
 إِذَا انْتَسَبْتَ إِلَى أَصْلِ فَرْوَعُ
 فَأَخْلَاقُ الْفَرْوَعِ هِي الشُّهُودَ
 أَمِنْ أَخْلَاقِي يَغْرِبُ - إِنْ دَعَتْهُ
 إِلَى الْجُلَى مَعَاشِهِ - الصُّدُودَ^(٢)

(١) البنود: الأعلام.

(٢) الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

وَمِنْ أَخْلَاقِهِ شُحٌّ عَلَيْهِمْ
 بِمَا يَحْوِيهِ أَمْذَبُ وَجْهُود
 فَأَوْكَنَّا بَنِيهِ أَبْصَرَتْنَا
 فَالْسَّطِينُ نُواصِي أَوْ نَزُود
 أَيْعَرْبُ مِنْ بَنِيهِ عَرْبٌ يَوْمِي
 لِعَمْرٌ أَبِيكَ ذَا شَيْءٌ بَعِيد
 وَظَنَّنَّى أَنَّهُ لَوْ شُقَّ عَنْهُ
 لِيَشَهِدَ مَا أَتَيْنَاهُ - الصَّعِيد
 لِقَالَ إِلَيْكُمْ عَنِّي إِلَيْكُمْ
 فَإِنَّ لَكُمْ إِلَى نَسَبِي صُعُود
 وَزَادَ فَقَالَ مَا فِيْكُمْ - وَهَذَا
 - صَنِيعُكُمْ - إِنْسَانٌ وَلِيَد
 فَإِنْ نَمَتِ الْقُرُودُ شَكَوْلَ نَاسٍ
 فَعُرْبُ الْيَوْمِ نَامُوهَا الْقُرُود
 أَقُولُ مَا قَالَتِي هَذِي وَإِنِّي
 لِعُرْبِ الْيَوْمِ فِي الدَّعْوَى نَدِيد
 فَلَوْصَدَقَ ادْعَائِي مِنْ مَا
 رَوَى لِي عَنْ فَلَسْطِينِ الْبَرِيد
 أَحَادِيثُ لَهَا تَنْشَقُّ مِمْنَ
 لَهُمْ رُؤَيْتُ قَابُّ أَوْ كُبُود
 فَمَنْ إِخْوَانُنَا فِيهَا قَتِيلٌ
 وَمَنْ إِخْوَانُنَا عَنْهَا طَرِيد
 وَآخَرُ مِنْهُمْ فِي السَّجْنِ كَادَ
 عَلَى سَاقَيْهِ أَنْ تَأْتِي الْقُوْيد

وَمَا جَبَّنْتُ فَاسْطِينُ وَلَكِنْ
 عَلَيْهَا الْعِدَا كَثُرَ الْجُنُود
 «تَكَاثَرَتِ الظَّبَاءُ عَلَى خِرَاشِ
 فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ»
 وَهَا هِيَ تَسْتَعِينُ بَنَا فَحَتَّى
 مَتَى عَنْ أَنْ نُعِينَ بَنَا جُمُود
 إِذَا مَا نَحْنُ لَمْ نُسْعِفْ ذَوِينَا
 وَيُوفِي دِيَدَهُمْ مَنْ تَأْمِدُ
 فَنَعْخُدُ صِيدَهُمْ مَنَا بِصِيدٍ
 تُدِيلُ مِنَ الطُّغَاهِ وَتَسْتَقِيدُ
 فَلَيْسَ الْعُجُومُ تُعْذِلُ إِنْ تَرَأَخَتْ
 بَنَجَدَتِهَا وَلَا تُلْهِي الْهُنُودُ
 فَإِنْ مَتَّوْا بِدِينِهِمْ إِلَيْهِمْ
 وَنِعْمَ الْرَابِطُ الدِّينُ الْفَرِيدُ
 فَفِيمَا بَيْنَنَا لَفْةً وَدِينُ
 وَفِيمَا بَيْنَنَا النِّسْبُ الْأَكِيدُ
 وَهَلْ أَسْ لِجَامِعَةِ الْبَرَايَا
 سَوْى هَاتَا وَسَقْفُ أَوْ عَمَودٍ^(١)
 مَا لَوْكَ الْعُرْبِ إِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ
 وَإِنَّ اللَّهَ مَطَّلِعٌ شَهِيدٌ
 سَيِّسَالُ - وَهُوَ أَعْلَمُ - مَا صَنَعْتُمْ
 لَمْ شَيْطَانٌ ظَالِمٌ مَرِيدٌ

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أَسْ ما جَمَعَ الْبَرَايَا وَالْفَ وَالسَّقِيفَةُ وَالْعَمُودُ

ولكن وجدته في كراساته مضروباً عليه ومغيراً إلى ما أثبتته (الرومي).

فَهَلْ لِلَّهِ عَنْدَكُمْ جَوَابٌ
 لِصَرْفِ عَذَابِهِ كَافٍ مَفْيِدٌ
 أَفَكَرْتُمْ مَلَوَكَ الْعَرْبِ فِيمَا
 يَخْفَفُ عَنْ ذُوِّكُمْ مَا يَؤْودُ^(۱)
 أَقَارِبُكُمْ يُعَاثِبُهُمْ فَسَادًا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَعْوِنَتِهِمْ قُعُودٌ
 فَكُمْ عَانَتْ فَلَسْطِينُ خَطْوَيَا
 يَشِيبُ مِنَ الصَّبِيِّ لَهُنَّ فُودٌ
 وَلَيْسَ لِدَائِهَا هَذَا دَوَاءُ
 إِذَا مَا طَاشَ رَأْيُكُمُ السَّدِيدٌ
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَقْوِمُوا
 فَإِنْ قَمْتُمْ فَأَمْرُكُمْ رَشِيدٌ
 فَلَمْ يُغْزِيْكُمْ مَالٌ وَجُنْدٌ
 بِمَثَاهِمَكُمْ تُورِي الرَّزْنُودٌ
 فَإِنْ شَعُوبَكُمْ أَجْنَادٌ صِدْقٌ
 وَظِلُّ الْمَالِ فَوْقَكُمْ مَدِيدٌ
 وَإِنْ عَاقَتْ قِيَامَكُمْ أَمْوَادٌ
 فَمَصْدِرُكُلَّهَا أَنْ لَا تُرِيدُوا
 وَأَمَا صَرْفُ قَوْلَكُمْ فَمِنْهُ
 عَلَى الإِخْفَاقِ أَضْجَرَنَا الرَّدِيدٌ
 فَكُمْ كَلِمَ بَذَرْتُمْ مِنْهُ بَذَرًا
 فَمَا احْلَوْلَى لَنَا مِنْهُ الْحَصِيدٌ
 فَعَدُوا عَنْ مَجْرِدِ كُلِّ قَوْلٍ
 فَمَا سَعَدَتْ لِلَّازِمِ الْجُدُودُ^(۲)

(۱) يَؤْودُ: يَثْقلُ.

أَمْنَبْتُ مِنَ الطَّغْيَانِ يَوْمًا
 بِحَدٍّ مُجْرِدِ الْقَوْلِ الْوَرِيدِ
 أَجْبَنَا عَنْ مَصَادِمَةِ الْأَعْدَادِ
 وَمَا بَرِحَتْ مَظَالِّمُهُمْ تَزِيدُ
 أَلَمْ يَذْرِ الَّذِي يَخْشَى الْمَنَاهَا
 مِنَ الْجُبْنَاءِ أَنْ عَرَّضَ الْخَادِ
 وَأَنْ بَيْوَتَ مِنْ ذَلَّوْا وَهَانُوا
 بِرَغْمِ أَنْيَقِ مَحِيَّا هُمْ لَحُودٌ
 وَأَنَّ الْمَوْتَ فِي طُرُقٍ تَؤْدِي
 إِلَى قَمْعِ الْطُّغْيَةِ وَمَا تَكِيدُ
 هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي اكْتَنَفَتْ ذُوبِهِ
 جِنَانُ الْخَلْدِ وَالذِّكْرُ الْحَمِيدُ
 أَنْجَبْنَ عَنْ جَهَادِ خَصْوَمِ سَوِّيِّ
 مُجَاهِدُهُمْ شَهِيدٌ أَوْ سَعِيدٌ
 وَقَدْ أَجْرَوْا فَظَائِعَ لَوْرَتَهَا
 دِرَايَتَنَا الْجَبَالُ غَدَتْ تَمِيدُ
 نُحَوْقِلُ كَآمَا قَالُوا ذُووْكُمْ
 تَفَشَّى فِيهِمُ الْجَهْدُ الْجَهِيدُ^(١)
 وَنَأْبَى أَنْ نَقْوِمْ لَهُمْ بِأَمْرٍ
 يَقُومُ بِمُثْلِهِ الْبَشَرُ الْمَجِيدُ
 لَإِذَا أَطْلَقَ الْأَفْوَاهَ مِنْنَا
 وَلَمْ يُطْلِقْ سُواعِدَنَا الرُّكُودُ
 أَفِي يَوْمِ الْوَغْيِ تُغْنِي سِيَوفُ
 تَسْلِلُ وَلَا تُزَايِلُهَا الْغُمْرُودُ

(١) نحو قوله: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إِذَا دَوَّتِ الرُّعْدُ بِغَيْرِ قُطْرٍ
 فَهَلْ تُجْدِي نَوْيِ الْمَحْلِ الرُّعْدُ
 إِذَا مَا الْفَعْلُ لَمْ يَعْخُذْ مَقَالًا
 فَلَا كَانَ النَّثِيرُ وَالنَّخْرِيدُ
 أَقْوَلُ أَمْ دَعَى وَدُّي إِذَا مَا
 أَرَادَ مَسَايِّتِي الْخَصْمُ الْعَنِيدُ
 مُطْبِقَ مَعْوَنَتِي: إِنْ لَمْ تُعِنِّي
 فَأَنْتَ لِكَاشِحِي لَا لِي وَدُودُ
 وَيَا مَنْ ذَادَنَا عَنْ مَنْهَأِي
 وَلِي أَمْلُ بِوَرْدِهِ مَا وَطَيْدُ
 وَبِي ظَمَاءُ الْفَرْطِ الْبُخْلِ مِنْهُ
 وَقَدْ طَابَتْ لَهُ مِنِي الْعُهُودُ
 أَتَبْكِي إِنْ أَمْتُ عَطَشًا وَلَوْلَمْ
 تُحَلِّنِي لِأَحِيَانِي الْوَرُودُ^(١)

وَأَنْتُمْ يَا بَنِي «الْتَّامِينِ» قُولُوا
 أَمَا لِشَنِيعِ ظَالِمِكُمْ حُدُودُ
 نَعَيْتُمْ ظُلْمًا غَيْرِكُمْ عَلَيْهِ
 أَأَظْلَمُ مِنْكُمْ يَحْوِي الْوَجُودُ
 وَعِبْتُمْ كُلَّ غَنْدِرِثِمْ جَائِتُمْ
 بِغَدْرِلِمْ يَجِئُ شَرُواهُ سِيدُ^(٢)
 صَنِيْعُكُمْ تَكَشَّفَ عَنْ وَحْوشِ
 لَهَا صُورُ الْأَنْسَاسِيِّ وَالْجُـاودِ

(١) حَلَأَهُ: دفعه عن ورود الماء.

(٢) شَرُواهُ: مثله، وَالسِّيدُ: الذئب.

أَتَخْدِعُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مِنْكُمْ
مَوَاثِيقُ تَوْكِيدٍ أَوْ عَوْدٍ
وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النُّؤَابُ عَمَّنْ
أَرَادُوا السَّلْمَ فِي الدُّنْيَا يَسُودُ
عَلَامَ «إِنَّكَ أَيْزُ» بَغَوْا وَجَارُوا
وَأَنْتُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ رُقُودٌ
أَطَبَّتُمْ مَبَادِئَكُمْ عَلَيْهِمْ
وَصَحَّ الْوَعْدُ مِنْكُمْ وَالْوَعْدُ
وَلَا فَالْمُبَادِئُ مَا دَاهَا
أَأَبْطَأَهَا لِكُمْ وَضْعٌ جَدِيدٌ
أَعْصَبَةَ هَذِهِ الْأَمْمَ اِنْتِباهاً
فَمَثَلُكَ لَا يَنْسَبُهُ الْهُجُودُ
أَنَّوْمًا وَالْطُّغَافَةَ تَحْشُّ نَارًا
لَهَا مَنْ سَامَهُمْ عَدْلًا وَقَوْدٌ^(١)
أَلَمْ تَتَأَلَّ فِي قَبْلِ اِخْتِيَارٍ
وَقَمَعَ الْبَغْيَ مَقْصِدُكَ الْوَحِيدُ
لِيَفْنِي الْبَغْيُ أَجْمَعٌ لَا عُمُورٌ
تُثْقِيمُ لَهُ الْحُرُوبُ وَلَا زُيُودٌ
وَفُولِي لِي أَحْرُكُ كُلَّ عَظْمٍ
عَلَيْهِ اَنْخَمَ مِنْكَ الْمَشِيدُ
أَمِ الْأَعْخَاءُ فِيكِ - كَمَا اَقْتَضَاهُ
مُشَاعُ الظَّلَمِ - لِلأَقْوَى عَبِيدٌ



(١) حش النار: أو قدتها.

أفي الصحيفة در؟^(١)

إن شَجَاكِمْ مِنِي الْأَنْيَنُ الْمَدِيدُ
فَعَذَابِي بِالْفَقْرِ جَدًّا شَدِيدُ
كَلَمَا قَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ سِيمِضِي
مِنْهُ عَنِي اشْتَدَادُهُ أَوْ يَبْرِيدُ
عَنْ خَطْبٍ يَقُولُ إِنِّي كَفِيلٌ
أَنْ سَتَّبَلِي يَا «صَقْرٍ» وَهُوَ جَدِيدٌ
بَعْدَ خَطْبٍ لِنَاجِذِيهِ جُرْوحٌ
فِي فَرَادِي اندِمَالْهَنْ بَعِيدٌ
فَالْخَطْبُ الْجَوارِحُ الْقَلْبُ عَنِي
كُلُّ يَوْمٍ عَدِيدِهِنْ يَزِيدُ
فَكَانَ الْخَطْبُ كَنْ نَعَاماً
ضِمْنَ قَلْبِي بَدَا لَهُنْ هَبِيدٌ^(٢)
وَلَوْ أَنَّ الْخَطْبُ أَبْقَيْنَ صَبَرًا
لِي إِلَيْهِ مِنْ جَرْهَنْ أَعْوَدُ
مَا شَكَوْتُ الْزَمَانَ مَا بَيْنَ مَنْ هُمُّ
لِزَمَانِي طَرَّأَ عَلَيَّ جُنْودٌ
أَنَا أَدْرِي أَنَّ الشَّكِيَّةَ مِنْهَا
لَسْتُ إِلَّا شَمَاتَهُمْ أَسْتَفِيدُ

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

غيرَ أَنَّ الْخَطُوبَ أَفْنَيْنَ صَبْرِي
 أَكْلَاتِ وَالصَّبْرُ ذُخْرِي الْوَحِيدُ
 وَلَا بَرَزَتِ الْخَطُوبُ جَلِيدًا
 ذُخْرَهُ اضْطَرَّ لِلشَّكَاءِ الْجَلِيدُ
 زَفَرَاتُ الْحَزِينِ مَا تَمَّ مِنْهُ
 نُّ اخْتِيَارًا مِنَ الْحَزِينِ الصَّعُودُ
 جَهَدْتُنِي صَرُوفُ دَهْرِي حَتَّى
 غَيْرَ شَكْوِي صَرُوفِهِ لَا أُجِيدُ
 كُلُّ صَوْتٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِأَنْيَنِ
 لَمْ يُجِدْهُ ذُو الْعَلَّةِ الْجَهَودُ
 مَا مَقَالِي الْمَرْكُ الشَّجَوَ فِي نَفْ
 سِكَّ مِنِي انبُاعَهُ مَقْصُودُ
 بَلْ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَهْوَاهُ يَاتِي
 يُطَرِّبُ السَّامِعِينَ مِنِي النَّشِيدُ
 بِيَدِ أَنَّ الَّذِي يَرْزِفُ مِنَ الشَّعْ
 رِسْرُورًا يَأْبَاهُ حُزْنِي الْمَدِيدُ
 وَمِنَ الصَّعِيبِ أَنْ يَفْوُهُ بِمَا يَبْ
 عُثُّ غَيْرَ الْكَابَةِ الْمَفَوْدُ
 مَا شَجَتْكَ الْخَنَسَاءُ لَوْلَمْ يُصِبْهَا
 فِي أَخْيَهَا عَادِي الزَّمَانِ الْعَنِيدُ
 بَلْ حَبَا بِالسَّرْرَرَ - مِنْكَ فَوَادًا
 أَحْرَنَتْهُ أَنَّا ثَهَا - التَّغْرِيدُ
 وَبِنَاتُ الْهَدِيلِ لَوْلَمْ يُذِبْهُ
 نُّ حَنِينُ إِلَى الْهَدِيلِ تَائِيدُ

ما رأيتَ الغصونَ - مهـما يُرْجعُ
 نَنْوَاحًا عـلـى الغصـونـ - تـمـيـدـ
 لا تـؤـمـلـ لـدـيـ مـطـربـ شـعـرـ
 فـاسـانـيـ عنـ قـصـدـهـ مـصـدـودـ
 لم أـحـاـولـ سـوـى الشـكـاـةـ فـعـدـيـ
 عنـ سـبـيلـيـ شـيـطـانـ بـؤـسـيـ المـرـيدـ
 فـتـرـاهـ عـنـ غـايـتـيـ دـوـنـ عـالـمـيـ
 لـيـ نـحـوـ الشـكـاـةـ مـنـهـ يـذـوـدـ
 فـتـرـانـيـ أـشـكـوـ وـقـصـدـيـ أـنـيـ
 لـاـتـهـانـيـ إـلـىـ صـدـيقـ أـقـوـدـ
 فـتـجـيـ الصـدـيقـ مـنـيـ الـقـوـافـيـ
 حـامـلـاتـ شـكـوـايـ وـالـيـوـمـ عـيـدـ
 فـيـرـيـنـيـ مـنـهـ التـطـيـرـ صـدـاـ
 خـافـيـاـ فـيـهـ بـشـرـهـ الـمـعـهـودـ
 فـتـرـانـيـ أـشـكـوـ وـقـصـدـيـ وـعـدـ
 لـلـمـوـالـيـ أوـلـمـعـادـيـ وـعـيـدـ
 وـكـذاـ لـاـ يـزـالـ عـوـضـ يـلاـقيـ
 غـيرـ مـاـ رـامـ أوـنـوـيـ الـمـحـدـودـ^(١)
 فـالـتـمـسـ لـيـ سـعـادـةـ مـنـ إـلـهـيـ
 حـينـ يـحـويـكـ لـإـلـهـ الشـجـودـ
 فـأـعـلـ الدـعـاءـ مـنـكـ يـُنـافـيـ
 هـتـمـامـاـ دـعـائـيـ الـمـرـدـودـ

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبداً. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول: ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فِيْ أَقْبَلَ الدُّعَاءِ مِنْكَ قَبْرَوْلَةً
 فَتَرَانِي وَنَحْسُ جَدِّي سُعُودَ
 فَبِحَسْبِي سَؤَالُ رَبِّيْ خَيْرًا
 لِيْ مِمْنَ سَوْالِهِ الْجَهَادَ
 فَأَقْدِيْ فَخْلُ الصَّلَاةِ دُعَاءً
 كُلُّ حَيْنٍ لِرَفِعِهِ تَجْدِيدَ
 فِي صَلَاةِ يَذْلِفُ فِيهَا وَيَعْنُو
 - لِلَّذِي صَاغَ شَخْصَهُ - الصَّنْدِيدَ
 فَارَمَ عَبْدَالْعَزِيزَ بِالسُّقْلِ فَقَرِيَ
 فَسَوْالُ التَّقِيِّ سَهْمُ سَدِيدَ

رُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ تَحْتَ دُجَاهَ
 أَبْدَأَ الْفَكَرَ تَارَةً وَأَعْيَدَ
 بِاَحَثَّا فِيهِ عَنْ طَرِيقِ خَلاصِ
 مِنْ هَمْمَوْ يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيدَ
 قَدْ هَدَاهَا إِلَى فَرْوَادِي احْتِياجِي
 كُلُّ مَا دُونَهُ الْحَيَاةُ تَرْوِيدَ
 فِيْ وَلَيِّ الدُّجَى وَكُلُّ طَرِيقِ
 خَلَتْ فِيهِ الْخَلاصُ لِي مَسْدُودَ
 فَأَقْضَى النَّهَارَ مَا بَيْنَ كُتْبِ
 أَنَا صَبُّ بِمَا وَعَتْهُ عَمَيْدَ
 فَإِذَا الْلَّيْلَ عَادَ عُدْتُ إِلَى مَا
 كُنْتَ فِيهِ وَالنَّاسُ حَوْلِي رُقُودَ
 وَأَخْبَرَ رَأَيْتَ أَنْ رَكْوَبَ الْ
 بَحْرِ فِيهِ لِفَاقَتِي تَشْرِيدَ

فإذا الْبَحْرُ مَوْتٌ مِّنْ نُورٍ عَيْنِي
 هـ - شبيهي من الورى - مفقود
 فَأَنَا الْيَوْمَ فِي الْكَوْيْتِ أَقْنَاسِي
 مِنْ شَقَاءِ مَا لَا يَطِيقُ الْحَدِيدُ
 بَيْنَ مَثَرِيِ الرَّسَامَةِ عَارًا
 فَهُوَ طَوْعٌ لِلْإِمسَاكِ عَنْهُ يَحِيدُ
 لَيْسُ يُصْغِي إِلَى شَكَاتِيِّ مَهْمَا
 زَارَ سَمْعَيْهِ بِالشَّكَّاَةِ الْقَصِيدِ
 لَا يُلِينُ الْمُقْلُّ مِنْهُ بِشَكْوَاهِ
 هـ فَؤَادًا بِهِ اسْتَبَدَ الْجُمُودُ
 وَمُقْلُّ يَوْدُ إِسْعَادَ مَثَلِي
 فِي الْبَرَايَا لِوْسَاعِدَتِهِ الْجَدُودُ
 فَلَكُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ بُخْ
 لِـ وَبُؤْسٍ أَنْ يُسْعِدَانِي قُيُودُ

* * * * *

لَسْتُ أَدْرِي أَفِي الصَّحِيفَةِ دُرُّ
 زَفَّهُ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّشِيدُ
 مَسْتَشِيرًا تَعْجُبِي إِذْ أَتَانِي
 وَهُوَ عَقْدٌ - وَلَمْ يُثْقَبْ - نَضِيدُ
 أَمْ أَمَانٌ قَضَى عَلَيْهِنَّ يَأْسِي
 مِنْ يَسَارِي وَفُرْشُهُنَّ مُهَوَّدٌ
 قَدْ تَبَدَّلَ بِالْمَلَامَاتِ حِيَاةً
 فَازْدَهَانِي مِنْهُنَّ عُمْرُ رَدِيدُ
 أَمْ زُهْوَرُ يَرْقَنَ حُسْنَانَا وَرِيَاً
 كُلُّ أَنْفٍ وَكُلُّ طَرْفٍ يَرْوَدُ

بِلْ ثَنَاءُ أَجَادَ نَسِيجَ قَوَافِ
- ضُمِّنَتْهُ - ذاك الصَّنَاعُ الْمُجِيد
وَبِحَسْبِ مَعْرِيزٍ عَنْ حَظْوَظٍ
شَفَّ نَفْسِي مِنْهُنَّ عَنِ الْمَصْدُود
إِنْ شَرَوْى عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْحَصِّ
دِ بِذِكْرِي بَيْنَ الْأَنَامِ يُشَيد
أَيُّهَا الْمَذِيْعُ بَيْنَ الْبَرَايَا
ذَكْرُ مَنْ مَلِءَ عَيْشَهِ التَّنْكِيد
كَيْفَ لَانِ الْفَرْؤَادُ مِنْكَ بِأَرْضٍ
أَنْجَبَتْكَ الْلَّيْانُ فِيهَا فَقَيْد
وَلَعَدَوْى الْبَلَادِ بِالْيُبْسِ وَالْ
يَنِ بِنِيهَا تَغْلِبُ مَشَهُود

أنا مازلتُ في الـكـويـتِ أـعـنـي
كلَّ صوتٍ يـشـجـى به الجـلـامـود
وهي تـزـدـاد قـسـوةً فـغـنـائـي
لـشـقـائـي تـتـمـمـةً وـمـزـيد
فـكـأنـ الـكـويـتـ ما دـمـتـ فـيـها
قـفـصـ فـيـه بـاـبـلـ غـرـيـد
أـيـأـسـتـنـي مـنـ أـنـ تـرـقـ لـحـالـ
شـابـ مـنـهـا عـلـى شـبـابـيـ الفـودـ^(١)
جـهـلـتـ حـقـيـ الـكـويـتـ فـلـمـ يـوـ
لـ التـفـاتـاـ مـنـهـا إـلـيـهـ الجـيدـ

(١) الفود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الفاء لضرورة القافية.

وَعَلَى جَهْلِهَا الْخَرْبَحَفِي
 تَتَاظُّلُ عَلَيْ فِيهَا الْحُقُود
 فَكَائِنِي عَمَالِهَا مِنْ حَقَوقِ
 طَارِدُ طَوْعَ مَطْمُعي لَا طَرِيدُ
 فِيهَا الْيَوْمَ بَيْنَ كِيدِ وَأَيْدِ
 تَاتِقِينِي شَعَالُ وَأَسْوَدَ^(١)
 فَنَصِيبِي مِنْهَا التَّوْقُّعُ لِلإِلَيْ
 ذَاءِ يَوْمِي وَلِيَلِي التَّسْهِيد
 وَصَمَّتْنِي حَتَّى بِجَحْدِ إِلَهِ
 مَا تَمَشَّى لَهُ بِبَالِي الْجُحُود
 وَيَقِينِي - بِأَنَّ رَبِّي مُدِيَلِي
 مِنْ ذُوِي الظَّلْمِ - عُدُّتِي وَالْعَدِيد^(٢)
 فَرْجَائِي عَزْفُنُ إِلَهَ عَتَادِي
 إِذْ عَتَادُ الْقَوْمِ الْقُوَى وَالنُّقُود
 وَمَفَازِي فِي عَاجِلِي إِنْ تَوَانِي
 فَهُوَ فِي آجِلِي لَدِيْ أَكِيد
 أَنَّ لَوْلَا إِيمَانُ بَالَّهِ وَافِي
 نَارَ مَحِيَّا مِنْ هُبُوبِي الْخُمُود
 فَانْتَهَارِي - لَوْلَا يَقِينِي - خَيْرُ
 مِنْ حَيَاةِ لَا تَرْتَضِيَهَا الْقُرُود
 كَيْفَ يَحْيَا لَوْلَا يَقِينُ ضَعِيفُ
 نَابَذَتْهُ عُمُورُهَا وَالزُّيُود

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكراة له عليهم.

لَسْتُ أَدْرِي لِمَ الْكَوْيْتُ نَبَتْ بِي
 وَقَرِيرِخِي تَاجُ لَهَا وَعْقَود
 وَمِنْ الْبِدْعِ أَنْنِي لَسْتُ أَهْوَى
 صَرْمَهَا وَهِيَ لِلأَدِيبِ تَكِيد
 فَكَانَ الْأَدِيبُ فِيهَا مَقْيِمٌ
 حَشْوَأَطْمَارِهِ النَّزِيْهَةِ سِيدٌ
 رِبَّمَا سَوْلَتْ لِي النَّفْسُ مَنْا
 هَا إِلَى مَا تُقْيِمُ فِيهِ الصَّيْدُ^(١)
 فَثَنَانِي عَنْ أَنْ أَغْسَادِ أَرْضِي
 عَهْدُ حُبِّ لَهَا لَدِيْ عَهْيَدٌ
 لَا تَسْتَأْنِي أَنَا أَحِبُّ بَلَادًا
 أَسْتَعْسِي مُذْكُنْتُ فِيهَا وَطِيدٌ
 فَجَوَابِي عَلَى سَوْالِكَ لَا السَّمَنْ
 قَوْدُ عَنْدِي وَلَا هُوَ الْمَوْعِدُ
 إِنْ سِرَّ الْغَرَامِ بِالشَّيْءِ مَا كَا
 نَ لَشَمْلِ الْأَسَى بِهِ تَبْدِيدٌ
 وَغَدَا فِيهِ لَا سَرْرَ حِيَاةً
 وَسَرْرَوْيِ فِي مَوْطَنِي مَوْعِدٌ
 فَإِذَا بَانَ سَرْرُ حُبِّ مَحِبٌّ
 تَيِّمَّ مَتْهَاهِئُمُ أَوْ جَوْدٌ
 فَفَرَّامِي بِمَوْطَنِي دُونَ فِيهِ مِي
 سَرَرَهُ حَالٌ مِنْ شَقَائِي سَدَودٌ

(١) الصَّيْد: جمع أصيده، وهو من يرفع رأسه كبراً، وهنا يريد بالصيد العظماء.

بَا بَلَادًا فِيهَا الْفَقِيرُ يُعَانِي
مَا يُعَانِي فِي نَارِهِ نَمَرُود
لَيْتَ فِيكِ الْجُدُودُ أَسْعَدْنَاهُ أَوْ
لَيْتَهَا فِيكِ مَا نَمَثْنَاهُ الْجُدُود
فَالْأَسَاسُ الَّذِي عَلَيْهِ شَقَائِي
قَامَ أَتَيَ بِفَاقَاتِي مَصْفُود
فِيكِ الْفَقْرُ عِنْدَ أَهْلِيكِ ذَنْبُ
مَا لِسُبْلِ اغْتِفَارِهِ تَمَهِيد
فَإِنْ قَرِيَ ظَلَلْتُ فِيكِ كَائِنِي
دُونَ جُرْمٍ طَرِيدُ جُرْمٍ شَرِيد

تَسْأَيْ يَا نَفْسُ

كُنْتُ لَوْلَمْ أَعَلِّ النَّفْسَ مِمْنَ
غَيَّبَتْ مِنْهُمُ الْجَسْوَمَ الْحُدُودُ
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ لِلنَّفْسِ مَا ضَا
قَعَ عَلَيْهَا خَنَافِهَا الْمَشْدُودُ
إِنْ هَذَا الْوَجْدَ يَا نَفْسُ يَمْحُى
هُسْوَاهُ عَمَّا قَاتَلَ وَجْدٌ
وَزَمَانُ الْوَجْدِ هَذَا إِلَى جَنْ
بِ زَمَانِ الْوَجْدِ ذَاكَ زَهْيدٌ
فَاعْلَمُ الَّذِي يُلَاقِي شَقَاءً
مَسْتَمِرًا هُنَا، هُنَاكَ سَعِيدٌ
فَالْئَنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ قَعُودًا
مَثْقَلًا بِالشَّقَاءِ مِنْهُ الْقُتُودُ
طَاوِيًّا مِنْ دُنْيَاكَ بِالْعِبَءِ مَا لَمْ
تَنْأِمْنَهُ عَلَى الطَّوَّاهِ الْحُدُودُ
فَمِنْ الْعَدْلِ بَعْدَ طَيِّ مَدَاهُ
يَحْمُلُ التَّنَقْلَ أَنْ يُرَاحَ الْقَعُودُ
وَعَلَى عَدْلٍ مِنْ كَمَا شَاءَ كَنَّا
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا عَالَمَتْ شَهِيدٌ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ مَقْصُودَنَّعَمَا
ءِتَّوَالِي عَلَيْهِ مِنْهَا وَفُودٌ

ثُمَّ أَبْصَرْتَ حَوْلَ ذَاكَ مُقْلَأً
 قَدْ عَدَاهُ فِي الدَّهْرِ عِيشُ رَغِيدٍ
 فَشَبَّى هَانِ بَائِسٌ وَغَنِيٌّ
 فِي وِجُودِهِ اسْتَحَالَ الْخَادُود
 ثُمَّ لَمْ يَعْلَمْ الْمَقِيمُونَ فِيهِ
 أَقْصَى يَرْمَقَامُهُمْ أَمْ مَدِيدٌ
 وَهَبِّيَهُ يَطْوُلُ فَالْطَّوْلُ مِنْهُ
 عَنْ ثَمَانِينَ غَالِبًا لَا يَزِيدُ
 وَهِيَ تَمْضِي كَمَا اسْتَمْرَتْ أَوْ اسْتَحَدَ
 لَتْ خِيَالًا تَخِيَّلَتْهُ الرُّقُودُ
 فَإِذَا مَا انْقَضَتْ تَسَاوِي النَّقِيَضَا
 نِسْعَيْدُ الْحَظْوَظِ وَالْمَنْكَودُ
 بَلْ تَرِينَ الْفَقَاهَةِ يَرَأْسُنَ حَالًا
 حِينَ يَغْدو بِالنَّفْسِ كُلُّ يَجُودُ
 ذَاكَ أَنَّ الْفَقَاهَةِ يَرَيْنَ حَلًّ عَنْهُ
 قَيْدٌ حَزْنٌ بِقَابِهِ مَعْقُودٌ
 وَحَلِيفُ الثَّرَاءِ يَنْجَابُ عَنْهُ
 ظِلٌّ أَنْسٌ مِنْ فَوْقِهِ مَمْدُودٌ
 وَهَبِّيَ أَنَّ ذَلِكَ السَّرَّاَيَ مَنْيَ
 فِي التَّسَلَّي يَنَالُهُ التَّفَنِيدُ
 أَيَنَالُ التَّفَنِيدُ أَنْ يَتَسَاوِي
 فِي التَّرَابِ الْمَحْدُودِ وَالْمَجْدُودِ
 إِنَّ هَذِي الْقَبْرُ فِيهَا مَلُوكٌ
 سَبَقَ وَنَا إِلَى الْبَلَى وَعَبَّيْدٌ
 فَتَسَأَّلَ يَا نَفْسُ أَوْ فَأْرِينِي
 مَا بِهِ فَاتَ عَبْدَهُ الْمَعْبُودُ

واسألي الدود والبلى ما استباحا
 منهم، يخبر البلى والدود
 استباحات فاوت القوم حتى
 لا سمات لهم ولا تحديد
 فالورى في قبورهم ليس فيهم
 حاسدٌ ميزة ولا محسود
 لوطقى الماضين فكره مثير
 يزدهيه ثراوه الحشود
 فهو طوع الغرور يملك عطفة
 به اختياراً - إذا مشى - التأويد
 فكأن الفتى لفطر التبااهي
 في حلاها اختالت فتاة رود
 لأديل التواضع الدهر من كعب
 رلوجه الغنى به تسويد
 إن كل الذين بمال غروا
 غافل عن مائه أو بآيد
 كيف يمشي فوق الصعيد اختياراً
 مشية يجتوبه منها الصعيد
 من درى أن جسمه من طعام
 للصعيد المقال^(١) معدود
 أيهذا المدل بالمال مهلاً
 إن أم الممنون بعد واد
 وهي حبلى يكاد يحبو إليها

(١) المقال: الذي يقله. أي يحمله.

في ذِرَّكَ الْمَخَاضُ وَالْتَّولِيدُ
 فَإِذَا مَا أَتَتْ وَحْتَمًا سَتَّاتِي
 بِوَلِيدٍ بِهِ الْبَشَائِرُ سُودٌ
 مِنْ نَعِيٍّ بِهِ يُسَرُّ الْمُعَادِي
 وَنُواحٍ بِهِ يُسَاءُ الْوَدُودُ
 بَزُّ مِنْكَ الْبَشِيرُ بُشَرَاهُ قَسْرًا
 وَهِيَ مَا أَتَاهَكَ الْتَّجْرِيدُ
 لَا تُعَالِجُ بِالْمَالِ كَسْرَ فَؤَادٍ
 مِنْ فَقِيرٍ فَمَا الْمَالُ عَهْوَدٌ
 وَهَبِ الْمَوْتُ قَدْ تَأْنَاكَ حِينًا
 حَاصِدًا أَيُّهَا الْهَشِيمُ الْحَصِيدُ
 فَإِيَّالِيكَ شِيمَتَاهَا قِيَامٌ
 بِالْفَتَى تَارَةً وَآخَرَى قُعُودٌ
 وَتَأْمُلُ فَإِنْ أَحْوَالَ مِنْ حَرْوَ
 لَكَ طَرَّا لَقَوْلَتِي تَأْيِيدٌ
 فَلَئِنْ كَانَ وِرْدُكَ الْيَوْمَ رِفْهَا
 كُلُّ حَوْضٍ عَنْهُ الْفَقِيرُ مَذُودٌ
 فَلَقَدْ تَطْرُقُ الْعَوَادِي بِمَا يَذْ
 بُتُّ فِيهِ مَا تَرُوحُ الْوَرِيدُ
 فَإِذَا بِالْحِيَاضِ مِنْهَا يُوَاتِي
 مَاضِي الْفَقْرِ كَيْفَ شَاءَ الْوَرْدُ
 وَإِذَا بِالصَّدِي الْمَلْحُ تَلَظَّى
 مِنْ حَدِيثِ الْإِمْلَاقِ مِنْهُ وَقُوَودٌ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ بَيْتِ يُسَرِّ مَنْيَعٍ
 ظَلَّ مَا ظَلَّ وَهُوَ عَالٍ مَّشِيدٌ
 سَاكِنُوهُ لَمْ يَشْكُّهُمْ مِنْذَ حَلَّوا

جَانِبَيْهِ مِنْ رِيحِ أَنْسٍ رُكُودٌ
كُلُّ شَيْءٍ مَمَّا يُجَدُّ سَرورًا
وَارْتِيَا حَا فِي سَاحَتِيْهِ عَتِيدٌ
ثُمَّ لَمَّا طَغَى ذُوُوهُ وَتَاهُوا
خَرَّ مِنْهُ الْذُرْيُ وَخَانَ الْعَمُودُ
فَإِذَا الْبَيْتُ عِبْرَةُ الدَّهْرِ يُشْفِي
وَاعْظَمَا مِنْهُ رَكْنُهُ الْمَهْدُودُ
وَكَائِنٌ مِنْ صِفَرِ كَفَّ تَائِيٌ
عَنْهُ حِينًا مَا يَشْتَهِي وَيُرِيدُ
مَرْحَنِينَ لَهُ وَلَمْ تَرْفِي كَ
فَيْهِ مَمَّا بِهِ يُعَاشُ زُنُودُ
كُلُّ زَنْدٍ يُورِي بِكَفِ سِواهُ
هُوَ فِي رَاحَتِيْهِ كَابِصَأُودُ
كَابَدَ الْعُرْيَ وَالْجَمَاعَةَ حَتَّى
مُنْيَاتَاهُ عَبَاءَةَ وَثَرِيدُ
كَامَا الْأَلِيلُ جَنْ جَنْ طَوَاهُ
صَائِحًا مَالِمَنْ صَاحِبَتُ هُجُودُ
وَإِذَا مَا غَدَأَدَا يُسْمِعُ الصُّ
مَ قَلْوَبَا قَمِيْصَهُ الْمَقْدُودُ
شَمَّ لَمَا أَنْ أُوْشَكَ الْيَائِسُ يُمْضِي
حَكَمُهُ فِي رَجَائِهِ وَيَسُودُ
أَدْرَكَتَهُ مَفْيِثَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ
لَهُ فَاضَحِي يَخْضَرُ مِنْهُ الْعُودُ
فَرَأَى يَاسِ الْمَعِيشَةِ رَطْبًا
وَذَمِيمَ الْحَيَاةِ وَهُوَ حَمِيدٌ

****[]

(١) ظاهره: عاونه.

(٢) قد: قطع.

(٣) عز: قل حتى لا يكاد يوجد.

أوحد الظباء

يَرُوعُ فَوَادِي بِالْجَفَا مِنْ أَوْدَهُ
إِذَا لَمْ يَرُعْ مِنْهُ فَوَادِي بُغْدَهُ
وَبُعْدُ حَبِيبِ النَّفْسِ يَقْتُلُ وَحْدَهُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا ظَاهَرَ الْبُعْدُ صَدَهُ^(١)

فَمَا سَلَّ سِيفًا صَارَمًا مِنْ صَدُودِهِ
فَكَانَ سَوْى قَلْبِي الْمَعْذِبِ غَمْدَهُ
وَلَا شَحَدَتْ أَيْدِي تَنَائِيهِ صَارَمًا
فَقَدْ سَوْى أَحْشَاءِ صَبْرِي حَدَهُ^(٢)

وَمَنْ كَانَ بِالظَّبِيبِ التَّفَورِ غَرَامَهُ
فَأَتَعْسُ جَدًّا فِي الْبَرِيَّةِ جَدًّا
تَلَوْتُ بِعَيْنَيِّي مَسَمَّعِي صُورَةَ الْبَهَا
بِالْفَاظِلَهِ مِنْهُ تَكُونَ عِقْدَهُ

فَأَمَّنَ قَلْبِي أَنَّهُ أَوْحَدُ الظَّبَا
جَمَالًا وَأَنْ قَدْ عَزَّ فِيهِنَّ نِدَهُ^(٣)

غَرَازُ صَرِيمٍ فِي الْكَوَافِتِ كَنَاسُهُ
وَقَيْصَرَهُ مَوْهَهُ بَيْنَ الْخَارِعَ وَرَنَدَهُ
فَمِنْ رَوْضِ حُسْنِ الصَّبْرِ فِي الْقَلْبِ رَعِيَّهُ
وَمِنْ مَا عَرَزَائِي فِي الْجَوَانِحِ وَرَدَهُ^(٤)

تَوَاصَلَ مِنْهُ الْوَصْلُ لِي قَبْلَ عَلَمِهِ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

بـأـنـي عـلـى حـُكـم الصـَّـبـَـابـَـةِ عـَـبـَـدـَـه
 فـلـمـا دـرـى أـوـرـى لـظـى الـهـجـرـ وـاغـتـدـى
 يـُعـذـبـنـي فـيـهـا كـائـنـي ضـِـدـه
 وـأـشـفـعـ من شـعـرـي إـلـيـهـ بـشـافـعـ
 عـلـى كـلـ ظـبـيـغـ يـرـهـ عـَـزـَـرـَـهـ
 وـأـرـسـلـأـهـ مـعـ كـلـ نـَـدـبـ إـخـالـهـ
 يـَـهـونـ لـهـ حـتـىـ من الـبـَـدـرـ قـُـودـهـ^(١)
 فـيـرـجـعـ مـنـهـ خـَـابـ السـَّـعـَـيـ قـائـلـاـ
 غـَـرـالـكـ هـذـاـ لـيـسـ يـُـمـكـنـ صـَـيـدـهـ
 سـَـعـيـنـالـهـ فـيـ كـلـ مـنـهـجـ حـيـلـهـ
 لـصـَـيـدـ ظـبـاءـ إـلـإـنـسـ كـنـاـ تـُـعـدـهـ
 وـقـلـنـاـ إـذـاـ لمـ تـشـفـ صـَـقـرـاـ بـزـورـةـ
 فـمـنـ وـجـدـهـ الـذـاكـيـ سـيـحـوـيـهـ لـحـدـهـ
 فـقـالـ دـعـوـهـ يـَـدـعـيـ الـحـبـ كـانـبـاـ
 وـكـيـفـ إـلـىـ الـأـعـمـىـ تـَـسـَـرـَـبـ وـجـدـهـ
 طـرـيقـ الـهـوـىـ لـلـمـرـءـ رـؤـيـةـ عـيـنـهـ
 وـنـهـجـ هـوـىـ صـَـقـرـ عـَـمـَـاـهـ يـَـسـُـدـهـ
 وـإـنـ لـمـ يـَـمـتـ فـيـ الـحـبـ صـَـقـرـ كـماـ اـدـعـيـ
 فـمـُـسـْـتـَـحـِـكـمـ إـلـإـعـسـارـ سـوـفـ يـَـهـدـهـ

□

(١) صـفـدـتـنـيـ: أـوـنـقـتـنـيـ وـقـيـدـتـنـيـ. وـالـصـفـادـ مـاـ يـوـثـقـ بـهـ وـيـقـيدـ.

ذكرى مولد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

رَفَعَ اللَّهُ مَجْدَ بَيْتِ الْخَادِمِ
وَذَوِيهَا مِنْهُ بِخَيْرِ عِمَادِ
فَعَالَيْهِ مَعَ الصَّلَاةِ سَلَامُ
فِيهِ يُمْلَأُهُما جَمِيلُ اعْتِقَادِي
سَيِّدُ الرُّسُلِ كُلُّمَا رَمْتُ مَذْحَارِي
لَكَ أَرْجُو بِهِ صَلَاحَ مَعَادِي
وَتَاهَّبْتُ لِلْدُّنُونِ إِلَيْهِ
بِقَوافِي مَا مَلَنَّ عنِ إِنْجَادِي
صَفَّدْتُنِي يَدَاقُصُورِي عَنْهُ
(١) فَأَنْاعَنَهُ مِنْهُمَا فِي صِفَادِ
لَيْسُ فِي حَلْبَةِ النَّنَاءِ عَلَى مَجْدِ
دِكَّ أَهْلَ الْجَرْيِ مِثْلُ جِيَادِي
وَكَفَانِي بِالْعَجْزِ عَذْرًا مَبِينًا
وَعَلَيْهِ يَوْمُ الْلِقَاءِ اعْتِمَادِي
فَاعْفُ وَاصْفُحْ فَأَنْتَ لِلْعَفْوِ وَالصَّفْحِ
حِلْثَلِي فِي النَّاسِ خَيْرُ جَوَادِ
هَذِهِ لِي لَلْهُ الْوِلَادِ وَفِيهَا

(١) يَرْبِدُ: يَغْبُرُ وَيَسُودُ.

(٢) الإِسْعَاد: الإِعْانَةُ وَالْإِسْعَادَةُ.

(٣) مَبِيرٌ: مَهْلِكٌ.

(٤) بِسْلٌ: تَقَالُ بِمَعْنَى الْحَرَامِ، وَتَقَالُ بِمَعْنَى الْحَلَالِ. وَهُنَا يَرَادُ بِهَا مَعْنَى الْحَرَامِ.

لك يشدو بمدحهٔ كلُّ شاد
 ولِعَجْزِي عنه جَعْلَتُ إلى الصَّمَمْ
 بِرْغَمِي بَيْنَ الشُّدَادِ اسْتَنَادِي
 أنا مَا زلتُ من هَمْوَمِي أَسْرِي
 تحت لَيلِ يَرِيدُ كُلَّ ارْبَدَادِ^(١)
 وَرَضِيُّ الْقَرِيبِ لِلشَّاعِرِ الْمَهَمَّهَ
 مَمُومٌ مَا كَانَ قَطُّ ذَا إِسْعَادِ^(٢)
 فَإِذَا مَا أَذِنْتَ لِي بِالْتَّشَكِّي
 مِنْ هَمْوَمٍ عَلَيَّ ذَاتِ احْتِشَادِ
 فَشَّ كَاتِي إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مُفْغِي
 وَمُخْبِلٌ بَاغِي الْمَقَالَةِ عَادِ
 قَدْ أَضَلُّوا بِاسْمِ الْدِيَانَةِ مَمَّنْ
 جَهَّلُوا كُلَّ رَأْيٍ أوْ غَادَ
 كَمْ أَمَاتُوا لَكِ يَعِيشُوا نَفُوسًا
 لَمْ تَزَلْ بَعْدُ حَيَّةً الْأَجْسَادِ
 فَادْعُ يَا خَيْرَ مُنْقِذِنَا عَلَيْهِمْ
 بِرْزَوَالِ يَعْمَمُهُمْ وَنَفَادِ
 مَا لِجُرْحِ الْعَرْوَةِ الْيَوْمَ - إِلَّا
 أَنْ يَزُولُوا عَنْ وُجُوهِهَا - مِنْ خِيَمَادِ
 لَمْ يَكُنْ قَوْمُ الْكَرَامُ عَلَى جَهَّهِ
 لِمُبِيرِ لَوْلَا هُمْ فِي تَمَادِ^(٣)
 أَوْهَمُوهُمْ بِأَنَّ وَرَدَ حِيَاضِ الْ
 عِلْمِ بَسْلُ دِينًا عَلَى كُلِّ صَادِ^(٤)
 فَغَدَا الْقَوْمُ مِنْهُمْ فِي اقْتَرَابِ

(١) عن: غالب وقه، ويريد هنا أنه جافاهم. عذتهم: صرفتهم.

وَمِنَ الْعِلْمِ كُلُّهُ فِي ابْتِدَاعٍ
 وَإِذَا الْعِلْمُ لَمْ يَشْعُرْ بَيْنَ قَوْمٍ
 شَاعَ فِيهِمْ هَلَكْهُمْ بِأَطْرَادٍ
 كَلَّمَا قَامَ مُخَلَّصٌ يَنْصَحُ النَّاسَ
 سَوَّيْهِمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ
 مُتَوَجِّحٌ نَّسْرَ الْعِلْمِ وَإِطْلَا
 عَشْمَوْسِ الْعِلْمِ فِينَا الْهَوَادِي
 كَاشِفٌ عَنْ فَوَائِدِ الْعِلْمِ مُبْدِئٌ
 كُلَّ مَا جَهَلَ مَعْقِبٌ مِّنْ فَسَادٍ
 طَالِبٌ أَنْ يُحَارِبَ الْجَهَلَ بِالْعِلْمِ
 حَمْ مُجِدٌ فِي نُصْحِهِ ذُو اجْتِهَادٍ
 كَفَرَتْهُ عَمَائِمُ قَرْبَ الْجَهَنَّمِ
 لِإِلَيْهَا مَنْتَابٌ عَيْدَ الْمُرَادِ
 فَهِيَ تَخْشى إِذَا اسْتَنَرْنَا عُقُولًا
 فَوْتَ خَافِي أَغْرَاضِهَا وَالْبَادِي
 تَتَقَىيُّ أَنْ يُحَارِبَ الْعِلْمُ مِنْ أَلَّا
 قَوْا إِلَيْهَا لِجَاهِهِمْ بِالْقِيَادَةِ
 وَانْقِيَادُ السَّوَادِ مِنْتَابٌ إِلَيْهِ
 مِنْ لَعْمَرِي مِنْ مَهَلَكَاتِ السَّوَادِ
 وَقَدْ اِنْقَادَ جَاهِلًا فَاجْرِيَادَةً
 عَيِّ عَلَيْهِ حَزَنًا وَذُبْ يَا فُؤَادِي
 فَرَقَّتْنَا تَلَكَ الْعَمَائِمُ حَتَّى
 أَيَّاسَتْنَا مِنْ أُلُوفَةٍ وَاتَّحَادَ

(١) العسجد: الذهب.

وَإِذَا عَرَّ الْأَتْحَادُ بَنِي الْعُرْ
 بِعَدَتْهُمْ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَوَادِي^(١)
 أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَامِلُهَا عَلَيْنَا
 لِزَمَانِ الْعَوَادِي مِنَ الْأَجْنَادِ
 قَسَّمُونَا بِاسْمِ الدِّيَانَةِ أَقْسَاءً
 مَا لِيَحْظَوْا بِالْعَسْجَدِ الْمُسْتَفَادِ^(٢)
 ثُمَّ قَالُوا كَذَلِكَ الدِّينُ وَالَّذِي
 نُنْبَوِدُ وَالْكُلُّ مِنْهُمْ بِوَادِ
 أَبِأَيْلِ التَّفْرِقِ الدِّينِ يَبْغِي
 مِنْ ذُوِيهِ دَوَامَ مُرْدِي السُّرْقَادِ
 لَا لِعَمْرِي بِلِ الدِّيَانَةِ تَقْضِي
 بِاجْتِمَاعِ الْأَهْزَابِ وَالْأَفْرَادِ
 مَا أَتَى الدِّينُ نِقْمَةً وَهَلَكَ
 بِلِ حَيَاةِ وَرَحْمَةِ الْعَبَادِ
 أَحْيَاهُ الْأَقْوَامُ مَا اسْتَثْمَرُوهُ
 مِنْ بَذْوِرِ اجْتِمَاعِهِمْ وَالْوِدَادِ
 أَمْ تَرَوْنَ الْحَيَاةَ فِيمَا جَنَّوْهُ
 مِنْ مَجَانِي شَتَّاتِهِمْ وَالْتَّعَادِي
 أَيُّ شَعْبٍ إِذَا تَنَافَرَ لَمْ يَشْ
 لُكُ اِنْتَقَاصَ الْحَيَاةِ بَعْدَ اِزْدِيَادِ
 فَإِلَى الْوَحْدَةِ الْحَمِيدَةِ عُقْبَى
 نَادِيَا مُصْلَحَ الْعَرَوِيَّةِ نَادِيَا

(١) وَرَى الزَّنْدُ وَرِيَّا: اتَّقدَ.

(٢) النَّادِيَا الْدَاهِيَّةِ.

(٣) الرِّقَاقُ الْحَدَادُ: يَرِيدُ بِهَا السَّيُوفَ.

فَهِيَ بَعْدَ إِلَهٍ خَيْرٌ كَفَيلٌ
 بِبَارُوغِ الْمُنْنِي وَخَيْرٌ عَتَادٌ^(٢)
 هَلْ رَأَيْتُمْ لَامَةً فِي الْمَعْالِي
 قَبْلَ جَمْعِ الْقُلُوبِ وَرَدَيْ زِنَاد١)^(١)
 نَحْنُ أَبْنَاءُ يَعْرِبٍ لَوْغَةً أَنَا
 إِخْوَةٌ فِي الرَّجْوِ لِلْمِيلَاد
 وَالْمَعْدِيُّ يَغْرِبُ عَلَى حَا
 لَيْ رَخَاءٌ مِنْ دَهْرِنَا وَاشْتَدَادٌ
 وَعَلَى إِخْوَةِ الْكَرَامِ التَّصَافِي
 لَا التَّنَافِي كَسَائِرِ الْأَضَادِ
 فَعَلَامَ افْتَرَاقُنَا وَإِلَى مَا
 نَحْنُ نَشَقِي مِنْهُ بِكُلِّ نَاد١)^(٢)
 جَاءُنَا الدِّينُ جَامِعًا لَا مُشْتَأِ
 فَاجْمَعُونَا فَالْجَمْعُ أَصْلُ السَّدَادِ
 وَانْفَقُدُوا كُلُّ قَائِلٍ بِاِفْتَرَاقٍ
 تَعَالَمُوا زَيْفَهُ لَدِي الْاِنْتَقَادِ
 فَهُوَ إِمَّا يُعَكِّرُ الْمَاءَ حَتَّى
 يَتَسَّتِي لَهُ طَرِيقٌ اصْطَيَادٌ
 أَوْ غَبَّبِيٌّ وَالْكُلُّ مِنْ ذَا وَهَذَا
 لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْمَهَالِكِ حَادٍ
 فَانْصَحَّوْهُمْ فَإِنْ أَنَابُوا وَإِلَّا
 فَتَوَقَّوْهُمْ أَخْطَارَهُمْ بِالْجَهَادِ

(١) صقر قريش هو عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

(٢) طير الأيدي يكتنفي به عن النقود.

جَرِدُوا كُلَّ مِنْهُ وَلِوَيَرَاعٍ
لَسْتُ أَدْعُوكُ إِلَى الرِّقَاقِ الْحِدَادِ^(۳)
وَأَبِينَوا لِلنَّشْرِ مَا هُمْ عَالِيَةٌ
مِنْ ضَلَالٍ وَحْتَهُ وَعِنْدَهُ
فَعَلَى كُلِّ ذِي حَجَّ وَبِيَانِ
ثَبِيعَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْأَوْلَادِ
وَبِقَاءِ الْمَخَّاَلِ أَبَانِ شَقَاءِ
لِبَانِيَنَا، وَبَعْدُ فِي الْأَحْفَادِ
وَلِكُلِّ مَنَا وَمَنْ هُمْ وَلَا شَ
لَكَ جَزَاءُ إِلَهٌ بِالْمَرْصَادِ
فَهُوَ عَدْلٌ وَعَدْلُهُ لَا يُسَاوِي
بَنِينَ أَهْلِ الْإِغْرَاءِ وَالْإِرْشَادِ
إِنَّمَا كَانَتِ الْعَمَائِمُ عَنْنَا
نَّ الْمُعَالِي وَالْمَجْدُ فِي الْأَجَادِادِ
يَوْمَ كَانُوا مَلُوكَ هَدْيِ الْبَرِيَا
فِي دَمْشَقٍ وَبَعْدُ فِي بَغْدَادِ
وَبِلَادِ زَهَّتْ بِهِ قَرْقَرِيشِ
يَوْمَ تَحَايَقَهُ بَتَّاكَ الْبِلَادِ^(۱)
فَئَنَّهَا مَغْوَطْنَا لِيَوْمِ لَا عَا
شَوَا فَخَاحَا لِصِيدِ (طَيْرِ الأَيَادِي)^(۲)
نَافَسُوا كُلَّ أَيْمٍ وَيَتَمِيمٍ
وَكَسِيرِ الرِّجَالِيْنِ وَالْأَعْضَادِ
فِي سَؤَالِ الزَّكَوةِ وَالرِّفْدِ مِنْ كُ
لِّ مُرْزَكٍ وَكُلِّ ذِي إِرْفَادِ^(۳)
أَقْوِيَاءُ عَلَى التَّكَسُّبِ لِوَشَا

وَوَالْكَانُوا كَسَائِرِ الْأَمْجَادِ
 وَمِنِ الْعُمَارِ وَالْأَثَامِ عَلَى مَنْ
 لَمْ يُغْنِهِ الزَّمَانُ بِاسْتِعْدَادِ
 أَنْ تَرَاهُ كَفِيرٌ هُنَذِي الْعَا
 هَاتِ فِي مَدْدِيَّةِ اسْتِمْدَادِ
 لَا تَلُومُوا عَلَى الْعَمَائِمِ مِنْ صَا
 لَبَجْنَدِيْنِ مِنَ الْقَوَافِيِّ الشَّدَادِ
 رَفِعُوهَا عَلَى الرَّؤُوسِ لِكِيمَا
 يَضْعُونَا بَعْدَ الرُّبُّا فِي وَهَادِ
 فِي بَأْيَدِي الْعِدَالِ الْكُلُّ غَرَاسِ
 مِنْ عُلَانَا كَانُوا أَدَاءَ حَصَادِ
 نَحْنُ لَوْلَا شُرُورُهُمْ مَا غَدَوْنَا
 لِسَيِّوفِ الْعِدَا مِنَ الْأَغْمَادِ
 كَلَمَا صَالَتِ الْأَعْدَادِيْنِ عَلَيْنَا
 مَهَدُوا بِالشَّقَاقِ طُرْقَ الْأَعْدَادِيْ
 مَا وَجَدْنَا وَقَدْ بَحْثَنَا طَوِيلًا
 غَيْرَهُمْ لِابْلَاءِ مِنْ قُوَّادِ
 افْتَقَدْنَا مَجَدَ الْجُدُودِ فَأَنْبَأَ
 نَا فَصِيحًا لِلْسَّانِ كُلُّ افْتَقَارِ
 أَنَّ رَكْنَ الْمَجَدِ الَّذِي شَيَّدَهُ
 هَدَمَ تَهْمَمَ مَائِمُ الْأَوْغَادِ
 وَعَجَيبُ أَنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ حَتَّى

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سابغ طويل، والضوافي: السوابغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكسae.

أَدْعُوكُمْ أَنْهُمْ لِتَشْبِهُنَّ
لَهُ فِينَا كَانُوا مِنَ الْأَطْوَادِ^(١)
فَهَلِ الدِّينُ رَدُّ كُلِّ جَهَنَّمِ
مِنْ بَنِي قَوْمِنَا إِلَى أَحَادِ^(٢)
مِثْلَ مَا يَشْتَهِي الْعَدُوُّ إِذَا
شَاءَ وَضُعَ الأَغْلَالُ فِي الْأَجْيَادِ
وَهَلِ الدِّينُ بَدْرُ كُلِّ شِقَاقِ
مُثْمِرِ الْبُغْضِيِّ مُعْقِبِ الْأَحْقَادِ
أَمْ تَرَاهُمْ مِنْ أَدْعَائِهِمُ الْخَ
لَا بِجَرْوَاهُ ضَرَّوا وَفِي الْأَبْرَادِ^(٣)
لَيَ ذُرُوا فِي عَيْنِ كُلِّ غَبَّيِّ
وَبِأَيْدِيهِمْ نَأْضَرَ رَمَادِ
إِنْ أَيَ الْتَنْزِيلِ لِوَقْرَوْهَا
أَمْ لِي الْوَعْدِ خَائِفِي إِلَيْعَادِ
لَغَدُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَنَافِيِّ
وَالْتَّاجَافِيِّ سَدَّاً مِنَ الْأَسْدَادِ
وَأَعَادُوا ذُوي الشَّمَاتَةِ بِالْعُرْ
بِ جَمِيعِهِمْ وَهُمْ مِنَ الْحُسَادِ
رَبُّ فَالْطُّفُّ بَنَا وَأَيْقَظَ ذَوِينَا
مِنْ مَنَامٍ عَلَيْهِمْ ذِي امْتَدَادِ



(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

كلاهـما في ازدياد^(١)

كأَمَا زَرْتُكُمْ أَمْرَتُمْ بِشَيْءٍ
مثْلُهُ يَقْتَضِي مَزِيداً الْوِدَادِ
وَلَكُمْ مِنِّي الْمَوْدَةُ كَانَتْ
مثْلَ شَكْرِي كلاهـما في ازدياد
ثُمَّ صَارُوا إِلَى تَنَاهٍ عَنِ الْإِنْ
مَاءِ مُغْيِي قَصَائِدِي وَفَوَادِي
فَإِلَى كَمْ مِنْ جَمِيلٍ تُوَالُوا
نَأْمُورَا بِهَا مَا كُتِمْ قِيَادِي
مَا تَرَكْتُمْ مِنْ مَنْزِلٍ فِي فَوَادِي
لَسْوَاكُمْ مِنْ حاضِرٍ أَوْ بَادِ
جَئْتُ لِرِفْدٍ وَحْدَهُ فَإِذَا بِي
مِنْكَ أَحْظَى بِمُرْفِدٍ وَبِهَادِ
مِنْذِ حَرَضْتَنِي عَلَى بَذْلِ جِدِّي
فِي تَلْقِي الْفَصْحِي وَبَذْلِ اجْتِهَادِي
كَانَ شَغْلِي جَمِيعُهُ فِي نَهَارِي
بَلْ وَلِيَلِي تَطْلُبًا لِلخَدَادِ
وَلَقَدْ ذَقْتُ طَعْمَهَا الْحَلَوْحَتِي
لَيْسَ إِلَّا مَنْأَلَهَا مِنْ مَرَادِي
وَلَكَ الْفَضْلُ لَيْسَ لِي أَنْ تَأْتِي
لِيَ مَا رُمِّتُ مِنْ لُغَى الْأَجْدَادِ

صَفَرَ اسْمَ الْكَوِيتِ مِنْ كَانَ سَمِّيَ
 قَبْلَ مَأْتَاهُ يَا أَبَا الْأَمْجَادِ
 وَحِجَابُ الْغَيْوَمِ إِذَا ذَاكَ يُخْفِي
 مِنْكَ نَزْرَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ
 وَلَهُ الْجَهْلُ بِالْفَيْبِ عَنْهُ
 حِينَ سَمِّيَ الْكَوِيتُ عُذْرُ بَادِ
 لَوْدَرِي أَنَّهَا سُتُّشِرْقُ شَمْسًا
 مَثَلَهَا الْيَوْمَ فِي سَمَاءِ الْبَلَادِ
 تَتَعَالَى هَذَا الْعُلُوُّ وَتُرْزِهِ
 كُلُّ رَاءِ بِنْرَهَا الْوَقَادِ
 لَهَبَاهَا التَّكْبِيرُ غَيْرُ مُحَابِ
 وَتَفَادِي التَّصْغِيرِ كُلُّ التَّفَادِي
 فَلْتَاعِشْ لِلْعُلُوِّ وَلِلْمَجْدِيَا (سَا
 لُمْ) سِيفَا تَخْشِي شَبَاهُ الْعَوَادِي
 لَمْ تَفْرُزْ قَبَّلَ الْكَوِيتِ بِمَنْ لَمْ
 يَرَ فِيهَا يَوْمًا مِنَ الْأَعْيَادِ
 مَثَلَ يَوْمِ يَتَمْ لِاَخْنَادِ فِيهِ
 مِنْ ظَهِيرَةِ مَا تَمَّ وَقْتَ إِيَادِ
 حَقْقَ الْلَّهِ مَا تُحِبُّ فَقَاءِي
 مِنْ هَوَاهَا قَدْ هَامَ فِي كُلِّ وَادِ
 سَتْرَانِي مُزَوَّدًا مِنْ جَنَاهَا
 مَثَلَ مَا تَشَتَّهِي بِأَطْسِيبِ زَادِ
 فَفَرَامِي يَزَدُّ مِنْهَا بِحُسْنِ
 لَمْ تَنْلُ مَثَلَهُ وَجْهُهُ الْخِرَادِ

لَوْ أَحْسَنَ الْجَمَادُ مِنْهُ بِشَيْءٍ
لَرَأَيْنَا بِهِ جَنَّوْنَ الْجَمَادَ

****□

(١) المبن: الكذب.

يا خيالي

خيال حقة يقتني بعدي ستبقى
تذكّرُ بي صِحَابيَ والأعادي
فما بُغْضي وإن فَنِيتْ عظامي
بِفَانِ ما رأوكَ ولا ودادي
وبين هواهم إِيَّايَ مَيْنَا
وَمَقْتَهُمْ عِظَاتُ السَّواد^(١)
فَجَدَّدْ فِيهِمْ حُبِّي وبُغْضي
كَكُلْ مَذْكُورٍ بَيْنَ الْعِبَاد
عَسَى تجديكَ الْخَدِيْنِ يَغْدو
وفيه لعشري عِظَاتُ ارشاد
فَلَمْ يَثْمِرْ سُوى هذِينِ غَرْسِي
مَسَاعِي طولِ عمرِي في بلادي
أَبَى تقديرَها وطنِي فصاحت
أَغَبْنُ مَذْغُرِستُ إلى الحصاد
أُيجِزِي غارسي غَبْنَا طويلاً
أشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ خَرْطِ الْقَتَاد
وَكَانَتْ صِيحَةً ذَهَبَتْ خِيَاعاً
كمالُ وأنها انبعاثٌ بِوادٍ
فَدَعَنِي أَشْتَكِي مَكْرُوهَ غَبْنِ
جناهُ عَلَيَّ لِلْوَطْنِ اجْتَهَادِي

وَعِشْ لَا غَيْبَنْ يُوجِعُ مِنْكَ قَلْبًا
 وَهَلْ وَجَعْ لِطَرْسٍ أَوْ مِدَاد
 بَرَزَتْ إِلَى الْوَجْدَ بِغَيْرِ حِسْبٍ
 فِي الْيَتِي شَبِيهُكَ مِنْ جَمَاد
 فَأَوْلَا الْحِسْبُ لَمْ يَأْلِمْ لَخَطْبٍ
 مُمْضِيَا خَيْالِي مِنْ فَوَادِي
 وَهَلْ هَذَا الْوَجْدُ سَوْى خَطْبٍ
 مُمْخَنَّاتٍ جَدِيدٍ أَوْ مُعَادٍ
 وُجُودٌ وَدَتْ الْعُقَلَاءُ أَنْ لَوْ
 بَقُوا فِي الْغَيْبِ عَنْهُ وَالْبَعْدَ
 تَمَنُّوا أَنْهُمْ لَا شَيْءٌ ظَلَّا
 مَدِي مَا لِلْوَجْدِ مِنْ امْتَدَادٍ
 فَمِنْهُ لِلَّائِي يَحْوِي جَمِيعًا
 تَكُونَ مَصْدَرُ النَّوْبِ الشَّدَادٍ
 وَوَجْهُ السُّرُّ فِيهِ مَا اجْتَلَّهُ
 أَنْاسٌ عَنْهُ تَسْأَلُ كُلُّ هَادٍ
 أَطَلَّتْ تَطَلُّعِي طَرْوَاعَ اشْتِيَاقي
 إِلَى ذَاكَ الْحَيَا الْفَيْرِبَادِ
 فَلَمْ أَرْهُ وَعَنْهُ لَمْ يُتَّحْ لِي
 سُلُوكُ الْيَائِسِينَ مِنَ الْمُرَادِ

إلى لِوَامِي في العزلة

إذا وَجَدَ الْفَتِيْ يَوْمًا سَرُورًا
بِمَجَتمِعِ الْوَرَى أو بِانْفَرَادٍ
فَعَنْهُ لَا يَمْلِيْلُ وَإِنْ تَوَالِيْ
عَلَيْهِ لَوْمُ الْأَسْرَةِ حِدَادٌ
وَكِمْ يَوْمٍ سُرِّرَتْ بِهِ وَحْيَدًا
وَمَا سَرَّتْ مُخَالَطَةً فَوَادِيْ
فَعَنْ لَوْمِي إِلَى عُذْرِي وَإِنْ لَمْ
تَرَوْلِي فِي انْفَرَادِيْ مِنْ سَادَادٍ
فَمَا يُجْدِي الْمَلَامُ وَقَدْ تَنَافَىْ
تَمَامًا مَعْ مَرَادَكُمْ مُرَادِيْ
إِذَا بِيْ عُزَّلَتِي أَفْضَلْ لِغَيْ
فَإِنَّ الْغَيَّ مِنْهَاجُ الرِّشَادِ
وَهُلْ شَكَرْتُ أَوْ اسْتَبَقْتُ صَلَاحًا
نَفْوُسُ مَا شَكَتْ مَخَضَنَ الْفَسَادِ
إِذَا مَا خَيْرُ لَمْ يُسْبِقْ بَشَرٌ
بِهِ كَانَ الْفَتِيْ نَزْرًا اعْتِدَادٌ
وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ طَعْمٍ لَذِيدٍ
لَعِينِ لَمْ تَذْقُ طَعْمَ السُّهَادِ
وَفَخْلُ الْمَاءِ لَا يَبْدُو لِمَنْ لَمْ

(١) المِحَايَا: الْوَجْه.

يَرِدْ مَنْهُ زُلَّاً وَهُوَ صَادِ
 فَإِنْ نَفْسِي أَضَلَّتْنِي صَوَابِي
 فَمَا لِي غَيْرَهَا مِنْ بَعْدِ هَادِ
 فَمَا هِيَ فِي يَدِيْ هَادِ سَوَاهَا
 إِلَى مَا شَاءَ تَارِكَةُ قِيَادِي
 وَلِيَسْتُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى دَلِيلِ
 سَوْى تَجْرِيبَهَا ذَاتَ اِنْقِيَادِ
 فَعَمَّا شَاءَ مِنْ أَمْرِ لَامِ
 يَسْأُؤْهَا سَيْرُهَا بِيْ فِي اِطْرَادِ
 وَلَيْسَ لَتَرْكِ أَمْرٍ أَوْ لَزُومٍ
 لَهُ مُثْلُ اِخْتِيَارِ النَّفْسِ حَادِ
 وَهُلْ حَسْنُ الْقَرَارِ عَلَى الرَّوَابِيِّ
 لَمْنَ لَمْ يَخْبُرُوا قُبْحَ الْوَهَادِ
 دَعَا نَفْسِي وَعَزَّلَتْهَا إِلَى أَنْ
 تَرَى فِيهَا مُحَيَا الْخُرُّ بَادِ^(١)
 وَهِيَ نَئِذٍ تَكُونُ كَمَا أَرْدَتُمْ
 مَلَازِمَةُ الْمَجَامِعِ وَالْمَوَادِيِّ

العزلة

وَجَدْتُ الْإِنْفَرَادَ يُرِيحُ نَفْسِي
فَمَلَّتُ بِجَمِيلَتِي لِلْإِنْفَرَادِ
فَرَرْتُ مِنْ اجْتِمَاعَاتِ الْبَرَاءَا
وَبِي مِنْهُنَّ مَوْجِعَةُ الْفَؤَادِ
وَلَا تَنْقِمْ عَلَيَّ الْبُعْدُ عَنْهُمْ
فَنَفْسِي أَسْتَعْذَبُ ثَمَرَ الْبَعْدِ
وَخُذْ لَكَ غَيْرَ مَنْهَا جِي سَبِيلًا
فَأَسْتَعْذُ لِعَادِلٍ طَوْعَ الْقِيَادِ

□

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

الفصل فضل البداي^(١)

شُكْرِي أَكْرَرُهُ لِعَبْدِ الْهَادِي
فَعَلَيَّ مِنْهُ الْيَوْمُ فَضْلٌ بَارِ
سَبَقْتُ زِيَارَتَهُ مَحَلِّي زَوْرَتِي
لَحَلِّهِ وَالْفَضْلُ فَضْلُ الْبَادِي
مَا كُنْتُ أَحَلُّ أَنْ أَفْزُزَ بِزَوْرَةِ
مِنْهُ لِهُونِ مَكَانِتِي بِبَلَادِي
لَكِنْ حَدَاهُ إِلَيْ فَرْطُ مَرْوَةِ
وَكَفِي بِهَا نَحْوِي لِهِ مِنْ حَادِ
إِنَّ الْكَوِيتَ أَدِيبُهَا فِي شِقَوَةِ
مَمْتَدَّةِ لِيَسْتَ بِذَاتِ نَفَادِ
فَكَانَهُ فِيهَا لِطَولِ شِقَائِهِ
فِي نَارِهِ «فَرْعَوْنُ» ذُو الْأَوْتَادِ
فَهَلِ الْأَدِيبُ كَذَا بِكُلِّ مَكَانَةِ
«مِصْرٍ» عَرِينِ الْأَسْدِ أوْ «بَغْدَادِ»
إِنْ كَانَ هَذَا فَالْمَلَوْدُ حَقُّهُ
تَطْوِيقُ لَبَّتِهِ بِحَيَّةِ وَادِ
كَيْلَا يَعْوُدُ يَبْثُ مِنْ آدَابِهِ
شَيْئًا بِمَجَلسِ مُعْشَرِ أَوْ نَادِ
هَيَهَاتِ مَا تَلَكَ الْبَلَادُ مُخْيَعَةً
حَقُّ الَّذِي يُعْلَى لِوَاءَ الْخَنَادِ

لَكُنْمَا وَطْنِي - وَلَسْتُ بِقَائِسٍ
 بِلَدًا بِهِ - عَنْ مُشَبِّهِي بِرُقَادٍ
 مَا كَانَ حَقّيْ أَنْ أُطْلِيلَ بِمُوْطَنِي
 ذِي الرِّيْ شَكْوِيْ ذِي الْأَوَامِ الصَّادِي
 لِوْقَامِ الْأَدْبَاءِ فِيهِ مُقْدَرٌ
 يَضْعُفُ الْهَجَنِينَ وَرَاءَ كُلِّ جَوَاد

(١) تربط الشاعر صقرًا بحافظ وهبة صدقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيرًا، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

قيوده عماه^(١)

أَحْفَظَ وَهَبَّةً قَدْ كِدْتُ أَتَي
إِلَيْكَ مِنْ أَمَالِ الْوَلَا قِيَودِي
مَجِيئِي لِلْسَّلَامِ إِلَيْكَ حَقُّ
وَلَسْتُ أَجِيزُّ عَنْ حَقٍّ قُعُودِي
وَلَكِنْ بِي قِيَودِي مَائِلَاتُ
إِلَى مَا أَشْتَهِي عَنْهُ مَحِيدِي
فَبِي مَالَتْ قِيَودِي مُرْغِماتُ
لِإِخْلَالِي بِسَوْاجِبِيِّ الْأَكْيَدِ
قِيَودُ لَوْبَهَا شُدَّتْ أَسْوَدُ
لَخَافَ مِنَ الْمَهَا ضَارِيِّ الْأَسْوَدِ
وَقِدْمًا قَدْ رَسَّفْتُ بِهَا طَوِيلًا
لِمَوْدُودِ الْزِيَارَةِ أَوْ وَدُودِ
وَكَنْتُ بِهَا عَلَى الرَّسَفَانِ أَقْوَى
فَأَضَعَفَ طَولُ حُمَّا يِهِنْ عَوْدِي
فَهَا أَنَا لَا أَطِيقُ بِهَا حِرَاكًا

(١) أَوْدِي بِهِ: ذَهَبَ بِهِ.

(٢) عَضِيدَه: أَعْانَه.

(٣) الصَّبَب: الْمَوْضِعُ الْمُنْهَدِرُ.

(٤) صَدْفُ عَنِ الشَّيْءِ: عَدْلُ عَنْهُ وَمَالٌ. وَالصَّدِى: شَدَّةُ الْعَطْشِ.

(٥) الرَّوَاء: حَسْنُ الْمُنْتَظَرِ.

(٦) الْبَلَاغُ: الْكَفَايَةُ، أَيْ مَا يَكْفِي.

وإن هي لم تُصْنَعْ لِي من حديد
 وحَسْبِي بِالْعَمَى قِيدًا مُمْضِيًّا
 فِي الْجَمِيلِ أَذَاهُ مُودِي^(١)
 فَكَيْفَ بِهِ إِذَا عَاهَدْتُ أَذَاهُ
 عَلَى إِنْسَانٍ عَاثِرَةَ الْجُدُودِ^(٢)
 لِعَمْرِي لَمْ أُرِدْ مَاءً لِغَيْرِي
 يَطِيبُ الطَّعْمُ مِنْهُ لَدِي الْوَرْدِ
 فَلَمْ تَمْزِجْهُ أَيْدِي سَوْءِ حَظِي
 بِمُغْفِرٍ عَنْهُ نَفْسِي بِالْحُسْنَوْدِ
 أَحْوَمُ عَلَيْهِ حَوْمَ الطَّيْرِ عَطْشِي
 فَمَنْ صَبَبَ أَطْلُ إِلَى صُعُودِ^(٣)
 وَأَصْدِفُ بَعْدَ طَولِ الْحَوْمِ عَنِهِ
 وَفِي نَفْسِي صَدَاهَا ذُو وَقْدَوْدِ^(٤)
 فَهَا أَنَا لَمْ أَرَلْ - وَالْكُلُّ رَاوِي -
 عَلَى ظَمَاءً مُخْرِبِي مُبِيدِي
 كَائِنِي فِي الْكَوْيِتِ عَلَى رُواهَا
 سَكَنْتُ مَفَارَةً حُفْتُ بِبِيدِ^(٥)
 شَكْوَتُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ بَنِيهَا
 بِأشْعَارِي مِنَ الْبَؤْسِ الشَّدِيدِ
 وَلَوْ أَنِي حَصَلتُ عَلَى بَلَاغِي
 لَمَا أَعْلَمْتُ بِالشَّكْوَى قَصِيدِي^(٦)
 فَمَا أَشْكَوْتُ عَلَى طَولِ اشْتِكَائِي
 وَلَوْ بِالْتَّافِهِ النَّزْرِ الرَّهَيْدِ

(١) بَعْلَ بِالشَّيْ بَعْلَ - كَفْرَحَ فَرَحَ - ضَجَرَ وَتَبَرَّمَ وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَصْنَعُ فِيهِ.

فَكُنْتُ كَائِنِي أَشْكُو احْتِياجًا
 بَعْلَتُ بِهِ إِلَى صُمٌّ رُقُودٌ^(۱)
 وَمَا ذَنَبِي سَوْيَ أَنِي بِنَصْحِي
 صَرِيحٌ فِي النَّثِيرِ وَفِي النَّخِيدِ
 فَمَهْلِ حَظُّ الْأَدِيبِ بِكُلِّ أَرْضٍ
 كَحْظِي غَيْرُ مَأْمُولِ السُّعُودِ
 وَهَلْ نَحَسَتْ سِوَايِ فَتَّى صَرِيحًا
 صَرَاحَتُهُ بِإِرْشَادٍ مُّفْيِدٍ
 أَفِدْنِي تَسْتَفِدْ خَلْعِي رَدَاءً
 عَلَيْكَ مِنَ الثَّنَا أَخْفِي الْبُرُودِ

أَحْافِظَ كُلَّ مَكْرَمَةٍ وَمَجَدٍ
 طَرِيفٌ حِينَ يُذَكَّرُ أَوْ تَأْلِيدٍ
 شَكْوَتُ إِلَيْكَ وَالْمَنْحُوسُ يُشَكُّو
 بِلَيَاهُ إِلَى الْحُرُّ السُّعُودِ
 فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مُعِينًا
 عَلَى إِيَرَاءِ مِقْدَحِهِ الْحَمَّارِودٌ^(۲)
 وَإِمَّا أَنْ يُعَزِّزَهُ وَحَسِبِي
 عَزَاءُ مِنْكَ بِالْقَوْلِ السَّدِيدِ
 أَرَدْتُ بِكِ أَلْمَتِي هَذِي اعْتِذَارًا
 وَلَسْتُ بِهِ الشَّكُونُ بِالْمُرِيدِ
 وَلَكِنَّ الْأَنْيَنَ يُشَوِّبُ قَسْرًا
 بِهِ أَقْوَالَهُ وَاهِي الْوَرَيَدِ
 أَحْافِظُ قَدْ أَصْاعَتِنِي بِلَادِي

(۱) السفع: السود، جمع الأسفع.

على حفظي لها حُسْنَ الْعُهُودِ
 فمُحَمَّدُ الْعُهُودِ لَدِيْ باقٍ
 لغَيْرِ بَلَى بِمَنْظَرِهِ الْجَدِيدِ
 وَبِالْمَذْمُومِ أَفْضَى مِنْ فَوَادِي
 تَنَاسِيَهُ إِلَى التَّنْسِيِّ الْحَمِيدِ
 أُرِيَهَا مِنْ وِجُوهِ النُّصْحِ بِيَخْنَانِ
 بِحُكْمِ هُوَ لَهَا عَنْدِي عَهِيدِ
 وَلَمْ تَبْرَحْ تُلَاقِيَنِي بِسُفْفِ
 مَخِيفَاتٍ مِنْ الْبَغْضَاءِ سُودِ^(١)
 وَلَسْتُ عَلَى إِدَامَةِ بَخْسِ حَقِيْ
 وَطَوْلِ الْغَمْطِ بِالرَّجْلِ الْجَائِيدِ
 فَهَلْ لِي فِي سِواهَا عَنْ حِمَاهَا
 بِدَيْلٌ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ
 طَرِيدَ ضَيَاعَهَا عَنْهَا سَأْمَضِي
 فَأَيُّ الْأَرْضِ أَصْلَحُ لِاَطْرِيدِ
 فِي الْأَرْضِ طَارَ أَدْرِي أَنْتَ مَنِّي
 وَبِالْأَحْرَارِ فِيهَا وَالْعَابِدِ
 سَئَمْتُ إِقَامَتِي مَا بَيْنِ قَوْمٍ
 عَلَيْهِمْ ذَكَرْ نَارُ الْحُقُودِ
 وَمَا بَذَرْتُ يَدَايِ بِذَرْ سَوْءِ
 فَمَنْ بَذَرِي أَقْوَلُ أَتَى حَصِيدِي
 رَشِيدُهُمْ يُجَامِلُ بِإِنْتِقَاصِي
 وَقَصَدَ إِسْاعَتِي غَيْرَ الرَّشِيدِ
 فَمَا عُذْرُ الذَّكِيِّ إِلَيْهِ مِنْهُمْ
 فَإِنِّي عَارِفُ عُذْرَ الْبَائِدِ

(١) العتيد: الحاضر المعد. عتـد الشيء، وعتـاده: أي عـتـادـه، أرادـ بها المصـدر.

لِحَكْمَةِ أَتَيْنَا الْدُّنْيَا

لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْ طَرِيقٍ يُؤْدِي
سَالِكِيهِ أَوْ بَعْضَهُمْ لِلسُّعَادَةِ
فَلَا هُنَّ اسْمُ بَيْنَ الْأَنْامِ شَهِيدٌ
وَمُسْمَاهٌ مُّسْتَحْيِلٌ الشَّهَادَهُ
مَا رَأَيْنَا إِلَّا شَقَاءً عَتِيدًا
لِبَنِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ أَوْ عَتَادَهُ^(١)
وَعَلَى الْعِلْمِ بِالشَّقَاءِ تَرَانَا
نَتَمَنِي مِنَ الْبَنِينَ الزِّيَادَهُ
أُمُّ حِبٍّ أَوْ لَادَهُ الْوَالِدُ الْمُسْ
كَيْنُ أُمُّ كَانٌ مُبْغِضًا أَوْ لَادَهُ
إِنْ يَكُنْ وَالْدُ الْبَنِينَ مُحِبًا
فَالْمَاذَا قَدْ فَكَ بَابَ الْوَلَادَهُ
وَهُوَ بَابٌ مُذْمَرٌ مِنْهُ إِلَى الدُّنْذُ
يَا تَمَنِي فِي وَجْهِهِ إِيْصَادَهُ
أَفَيَرْضِي الْمُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ الْحَ
بُوبَ يَشْكُو مِنَ الشَّقَاءِ اشْتِدَادَهُ
أَوْ يَكُنْ حَاقدًا يُرِيدُ انتِقامًا
فَسُلْوَهُ مَاذَا نَمَا أَحْقَادَهُ
إِنَّمَا يَحْقِدُ الْحَقُودُ عَلَى مِنْ

(١) الحيوان: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

قدْ رَاهُمْ بَيْنَ السُّورِيَّ أَهْدَادَهُ
 وَبَنْوَهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ لَمْ يَأْتِ
 تُوا بِأَمْرِ يَسْوَءُ مِنْهُ فُؤَادَهُ
 وَإِذَا لَيْسَ عَنْ هَوَىٰ أَوْ لِبُخْضِ
 رَامَ ذُو النَّسْلِ نَسْلَهُ وَأَرَادَهُ
 بَلْ لِأَمْرٍ أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 مِنْ بَنِيهِ إِلَى الْوُجُودِ الْوِفَادَهُ
 وَإِذَا مَا أَرَادَ رَبُّكَ أَمْرًا
 بِدَأَ الْأَمْرَ قَادِرًا وَأَعْمَادَهُ
 أُوجِدَ الْوَالَدُ الْقَدِيمُ اسِرِّ
 سَابِغُ الْكَثْمِ يَقْتَضِي إِيجَادَهُ
 فَأَتَى الْوَالَدُ الْقَدِيمُ إِلَى الدُّنْ
 يَا اضْطَرَارًا كَمَا أَتَّهَا الْجَرَادَهُ
 ثُمَّ أَغْرَاهُ بِالْتَّنَاسُلِ إِغْرَا
 إِلَيْهِ أَلْقَى اضْطَرَارًا قِيَادَهُ
 فَتَأَلَّقَ الْوُجُودُ مِنَّا مَسْوَقًا
 فَمَسْوَقًا كَمَا تَأَلَّقَ جَمَادَهُ
 وَتَأَلَّقَ أَعْلَى الْحَيَاوَيْنِ وَالْأَدْ
 نَى وَأَزْهَارَ نَبْتَهِ وَقَتَادَهُ^(١)
 فَتَرَانَا نَحْيَا وَنَهْلِكُ مِثْلَ الزَّ
 زَرْعٍ لَاقِي مِنْ بَادِرِيَهِ حَصَادَهُ
 بِذَرْوَهُ وَلَمْ يَشَأْ ثُمَّ قَامُوا
 بِحَصَادٍ - وَمَا اشْتَهَاهُ - أَبَادَهُ
 وَأَرَانَا مُنْذَ الْوِلَادَهِ حَتَّى الْ
 مُوتِ فِي لَا إِرَادَهِ أَنْدَادَهُ

لَوْمَكُ الْتَّصْرُفُ الْحُرُّ لِمَ أَخْ
 خَسَعْ لِطَبْعِي وَقَدْ عَلِمْتُ فَسَادَه
 لَا وَلَا مِلْتُ عَنْ طَرِيقِ حِجَائِي
 بَعْدَ عِلْمِي صَلَاحَهُ وَرَشَادَه
 لَيْسَ لِي مِنْ إِرَادَهُ فِي مَقَالٍ
 قِيلَ عَنِّي أَسَاءَهُ أَوْ أَجَادَه
 مَا أَرَاهُ مُؤَهِّلِي لِثَنَاءٍ
 تَقْتَضِيهِ لِمَنْ أَجَادَ الْعَادَه
 أَوْ أَرَاهُ مُبَرِّراً لَا تَقَادِي
 مِنْ مُمِرِّلَهُ أَسَاءَ انتِقَادَه
 وَكَقْوَلِي جَمِيعُ فِعَالِي فَمَاتَهُ
 كُلُّ كُفَّيْ اِنْحِلَالَهُ وَانْعِقَادَه
 إِنَّمَا كَانَتِ الإِرَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ
 دِعَ - مَا شَاءَ - مِنْ طِبَاعِ عِبَادَه
 فَإِلَى طِبَاعِهِ الْمُرْكَبِ فِيهِ
 أَعْزُ إِسْرَافَ مُسْرَفِ وَاقْتَصَادَه
 لَا يُطِيقُ الْمُخَلُّوقُ تَبْدِيلَ طَبِيعَه
 بِسَواهُ وَإِنْ أَطْالَ جِهَادَه
 قَسْوَهُ الصَّرَخِرِ لِمَ تَعْدُهَا لِيَانَا
 لَطَمَاتُ الْأَمْوَاجِ مِنْهُ صِلَادَه
 لَا وَلَا الصَّرَخُ قَدْ ثَنَى لِيَنَّ الْمَا
 ءَقَسِيَّاً وَقَدْ أَدَمَ جِلَادَه
 كَانَ هَذَا الْحِكْمَهُ وَاكْتَنَاهُ الْ
 كُنْهِ مِنْهَا أَعْيَا الْحِجا وَاجْتَهَادَه

ذاك ما لا أحُولُ عنهُ اعتقاداً
تاركاً كُلّ ناظرٍ واعتقاده

(١) عراه يعروه: غشيه، والغير: الحوادث.

(٢) يعز عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كون الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيده تكوينه، والرفت مصدر رفته يرفته رفتاً: كسره ودقه أو جعلها جمع رفات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(١) رمٌ: صار رمة. ودثر: قدم وصار دارسًا.

(٢) الدكتاء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

أَدْمِ بَكْ إِيمَانِي

أَمَنْ كَوْنَ الْكَوْنَ الْعَظِيمَ بِمَا بِهِ
مِنَ الْمَدْهُشَاتِ الْحَائِرَاتِ بِهَا الْفِكَرُ
وَسَنْ نَوَامِيسًا عَلَيْهِنَ قَدْ جَرَى
قَرُونًا مَلَيِّنًا وَلَمْ تَعْرُهَا غَيْرُ^(١)
وَأَوْدَعَ فِينَا مِنْ لَطَائِفِ صُنْعِهِ
وَمُحْكَمِهِ مَا الْعُقْلُ مِنْ بَعْضِهِ أَنْبَهَرَ
يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ كَمَا يَشَاءُ
إِذَا أَوْغَلَتْ فِي رَفْتِهَا هَذِهِ الصُّورَ^(٢)
أَيْبُدًا مِنْ لَا شَيْءَ تَكُونُ خَالِقَهُ
وَيَدْرُكُهُ عَنْ أَنْ يَعُودَ بِهِ خَوْرَ
إِذَا مَا اسْتَحَالَ الْعَوْدُ فَالْبَدْءُ مِثْلُهُ
وَأَرْسَخَ مِنْهُ فِي اسْتَحْالَتِهِ مَقْرَرٌ
مِنَ الْبَدْءِ عَوْدُ الشَّيْءِ أَدْنَى صَعْوَدَةً
بِحُكْمِ النُّهَى فَاسْأَلْ نُهَاكَ عَنِ الْخَبَرِ^(٣)
وَمِنْ عَجَبِ إِقْرَارِهِمْ بِابْتِدَاعِهِ
بِدَائِعَ مِنْ لَا عَيْنَ قَبْلُ وَلَا أَثْرٌ
وَقَدْ أَنْكَرُوا أَنْ يُسْتَطِعَ إِعَادَةً

(١) أثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعروفة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

لَا هُوَ مُنْشِيٌّ إِذَا رَمَّ أَوْ دَتَرَ^(١)
 وَلَوْ وَحَدُوا الْأَمْرَيْنِ زَالْ تَعْجُبِي
 وَلَكِنَّهُ لِلْفَرْقِ مَا لَتِ يَدُ النَّظَرِ
 وَأَعْجَبُ مِنْهُمْ مَنْ تَرَى اللَّهَ عَيْنَهُ
 بِأَثْارِهِ مِنْ كُلِّ مَا جَلَّ أَوْ صَفَرَ
 وَيَصْبَحُ فِي شَكٍّ مَرِيبٍ فَوَادِهُ
 بِإِثْبَاتِ مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ ظَاهِرٌ
 وَلَكِنْ إِذَا مَا اللَّهُ أَعْمَى مِنَ الْفَتَى
 بِحَسِيرَتِهِ لَمْ تُجْدِهِ حِدَّةُ الْبَصَرِ
 فَيَا مَنْ بِهِ آمَنَتْ غَيْرَ مُمْكَنٍ
 أَدِمْ بِكَ إِيمَانِي بِعَيْدًا عَنِ الْخَطَرِ
 فَكَمْ شَبَهَهُ دَكَنَاءُ جَنَّ ظَلَامُهَا
 فَكَدَتُ أَصْلُ الْخَرْقَ فِيهِ إِذْ اعْتَكَرَ^(٢)
 وَلَوْلَمْ تُنِرْ سُرْجُ الْعَنَيْرَةِ لِيَلَهَا
 لَأَفْنَيْتُ فِيهِ الْعُمْرَ أَسْرِي عَلَى غَرَرَ

(١) الإِمْرُ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الشَّنِيعُ.

يقولون^(١)

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح
يقولون لي إننا عهداك يا صقرُ
إلى الصبرِ تدعوكَ من أح恨َ الدهرُ
وتوصي بإمساكِ الدموع ذوي البُكَا
إذا ما غدتْ تُبليهمُ التُّوبُ الغُبْرُ
فما لكَ قد أصبحتَ أجزَعَ جازعَ
كأنكَ قبلَ اليوم لم تدرِ ما الصَّبْرُ
وما لبُحورِ الدمعِ مَدَّتْ ولم يكنْ
ليركها ما بينِ أجفانِكَ الجَزْرُ
فقلتُ لهم قد كانَ ذاكَ ولِي حِجاً
فزايَلَ مُذ زالَ ابنُ سالمِ الحِجَرُ
فَقَتْلُ (عليٌّ) لم يَدْعَ لِيَ منْ نُهَىَ
فأعرَفُ ما خيرُ الأمورِ وما الشَّرُّ
فإنْ فاضَ دمعُ العينِ مني كابَةً
(فليس لعينٍ لم يفضِّ ما وفها عذر)^(٢)
وإنْ حالَ ما بياني وبينَ جَلادَتي
أَسَى كَادَ أنْ ينشقَّ منْ وقعيِ الصَّدَرُ
فما أنا منْ يُسْطِيعُ ردِّ يَدِ الأَسَى
إذا مَا لقلبي مَدَّها حادثٌ إِمْرُ^(٣)
وما بينِ أحداثِ الزَّمانِ مُخْسَرٌ

لـذـكـ فـي أـيـامـهـ حـادـثـ مـرـ
 فـلا تـعـذـلـونـيـ إـنـ بـكـيـتـ عـلـىـ فـتـيـ
 بـكـتـهـ كـمـاـ أـبـكـيـ مـكـارـمـهـ الـغـرـ
 فـما بـرـحـتـ تـرـجـوـ النـمـوـ مـكـارـمـ
 عـلـىـ حـبـهـاـ مـنـهـ اـنـطـوـيـ نـاشـئـ حـرـ
 عـلـىـ أـنـهـ مـاـ غـابـ إـلـاـ وـكـأـلـهـاـ
 بـأـفـقـ عـلـاهـ دـوـنـهـاـ الـأـنـجـمـ الـزـهـرـ
 فـفـيـ رـحـمـةـ الرـحـمـنـ مـنـهـ غـخـانـ فـرـ
 إـلـىـ مـوـتـهـ كـانـ الـحـفـاظـ هـوـ الـجـسـرـ
 وـلـاـ بـرـحـ (الـرـقـعـيـ)ـ يـسـقـيـهـ هـاـطـلـ
 مـنـ الـغـيـثـ يـحـكـيـ أـدـمـعـيـ فـيـخـهـ الـغـمـرـ
 فـبـيـنـ روـابـيـهـ الشـهـيدـ اـبـنـ سـالـمـ
 بـأـيـديـ الـحـفـاظـ الـمـرـ خـطـلـهـ قـبـرـ
 بـأـيـديـ الـنـايـاـ كـلـ حـيـ سـيـنـ طـوـيـ
 وـإـنـ طـالـ فـيـ الدـنـيـاـ الـغـدـورـ لـهـ عـمـرـ
 وـلـكـنـ حـسـنـ الذـكـرـ لـيـسـ بـمـنـطـوـ
 طـوـالـ الـلـيـاليـ يـاـ (عـلـيـ)ـ لـهـ نـشـرـ
 فـنـمـ غـيـرـ مـحـزـونـ فـذـكـرـكـ خـالـدـ
 حـمـيـدـ وـهـلـ مـاتـ اـمـرـوـ وـلـهـ ذـكـرـ
 وـمـاـ أـنـتـ مـنـ يـحـيـاـ حـيـاةـ وـإـنـماـ
 حـيـاتـيـنـ تـحـيـاـ مـاـ لـشـمـسـ هـمـاـ سـتـرـ
 حـيـاتـيـنـ تـحـيـاـ يـاـ (عـلـيـ)ـ شـهـادـةـ
 وـذـكـرـيـ وـهـاتـانـ السـعـادـةـ وـالـفـخـرـ

(١) الشطر مضمون من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعين لم يغض ماؤها عن.

هكذا صقر

أتَيْتُكَ مَا أَنْتَ جَانِيهِ تَائِبًا
وَمَا زَالَ فِي أَحْبَابِهِ هَكَذَا صَقْرُ
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مِنْ أَحَبِّ بَتْوَيْتِي
مِنَ الذَّنْبِ يَجْنِيَهُ أَتْبُّ وَلَهُ الشُّكْرُ
وَمِمَّا اسْتَمَرُوا عَكْسَ أَمْرِي فَالْهُوَيِ
لَدِي الصَّبَّ يَحْلُو فِيهِ أَنْ يُعَكِّسَ الْأَمْرُ
وَمَا دَمْتُ أَسْتَحْلِي الَّذِي أَنَا صَانِعٌ
فِيَا زِيدُ قُلْ مَا شَتَّتَ فِيَا عَمْرُو
إِذَا الْمَرْءُ أَرْضَى نَفْسَهُ وَحْبِيَّهُ
فَإِلَيْسَ لَا قَوْالِ الْوَرَى عَنْدَهُ قَدْرٌ
وَأَهْنَأُ عُشَاقِ الْبَرِّيَّةِ عِيشَةً
فَتَّى سَمْعَهُ عَمَّا يُقَالُ بِهِ وَقَرَ
فَمَنْ تَتَدَافَلُ سَمْعَهُ الْأَسْنُ الْوَرَى
فِي وَشْكٍ أَنْ لَا يَسْتَقْلَ لَهُ فِيْكُرٌ
وَكُلُّ أَمْرِي أَصْفَى إِلَى كُلُّ قَائِلٍ
غَدَا كُلُّ عُرْفٍ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ نُكْرٌ
فَلَا تَسْتَمِعُ مَا زَخَرَفُوا مِنْ مَقَالِهِمْ
فَكُمْ زَخَرَفُوا لِلصَّبَّ مَا ضِمِّنَهُ الشَّرُّ
وَمَنْ غُرَّ مِنْ لَمْ يُجَرِّبْ فَمَا أَنَا
لِتَجْرِيَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ مُغْتَرٌ

من الناس مَنْ أقصى أمانِيهِ أَنْ يَرِي
 لباس العشيقَيْنِ الَّذِي يَنسِجُ الْهَجْرُ
 فَمَا كُلُّ مَنْ أَحْلَى لِكَ الْقَوْلَ مُخْلِصٌ
 وَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَجِيَّتُهُ الْخَيْرُ
 فَإِيَّاكَ مَا قَيِيلَ أَنْ تَقْطَعَ الذِّي
 بِهِ مَنْكَ يَوْمَ الْحَزْنِ يَنْشَرُ الصَّدْرُ
 فِيَّا رِيمًا يُصْبِيكَ بَعْدَ وَصَالَهُ
 وَقَدْ حَطَّ مِنْكَ الْقَدْرَ فِي عَيْنِهِ الْغَدْرُ
 فَتَدْنُو وَيَنْأِي وَالْخِيَانَةُ غَبِّهَا
 نَدَامَةُ أَهْلِيَّهَا الشَّدِيدَةُ وَالْخُسْرُ^(١)
 وَمِنْ عَزْهُ مِنَ الْقَاءِ حَبِّيَّهُ
 غَدَا كُلُّ حَلْوٍ وَهُوَ فِي ذُوقِهِ مُرُّ^(٢)
 وَعَادَ الْفَضَاءُ الرَّحْبُ وَهُوَ لِخَيْرِهِ
 عَلَيْهِ - كَمَا تَقْضِي قَطِيعَتُهُ - قَبْرُ
 وَبَاتَ يَرِي الدُّنْيَا كَمَا هِيَ كَلِمًا
 عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَيَامُهَا نُوبٌ غُبْرٌ
 فَلَوْلَا التَّلَاقِي عَنْ هَوَى لَمْ يَكُنْ عَلَى
 مُمْضِيَّاتِ مَا الدُّنْيَا تَرِيدُ بِنَا سِرْ
 وَلَوْلَا هُمْ لَمْ تُبْصِرُوا عَلَى أَرْضِهِ فَتَّى
 يَوْدُ وَيَهْوَى أَنْ يَطْوُلَ بِهِ الْعُمْرُ
 فَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا لِتُتَعَمَّرَ حَقْبَةً
 بَسَّكَانِهَا لِوَفَاتِهَا ذَلِكَ السُّرُّ

(١) غَبِّهَا: عَاقِبَتِهَا.

(٢) عَزْهُ: غَلَبَهُ.

وَمَنْ لَمْ يَذْقُ يَوْمًا لِقَاءً عَلَى هُوَ
 فِي مِنْ تَحْسِي بِنْتِ كَرْمَتِهِ سُكْرُ
 وَمَنْ لَمْ يَؤْدِبْ بِهِ جَرِ حَبِيبِهِ
 زَمَانُ فِي الْجَرَانِ أَدَبَنِي الدَّهْرِ
 فَعَنْدِي - مَا لَمْ يُبْلِي هَجْرُ أَحَبِّتِي
 فَوَادِي - لَهُمْ عَنْ كُلِّ بَارِدَةٍ عُذْرٌ
 فَإِنْ تَنْفَدِ الأَعْذَارُ يَوْمًا وَلَمْ تَزَلِ
 إِلَيْيِ جَنَائِيَاتُ الْأَحَبَّةِ تَنْجَرُ
 لَجَائِي إِلَى الصَّبَرِ الَّذِي قَطُلَمْ يَخْنُونَ
 عَلَيْهِمْ وَلَكُنْ عَنْهُمْ خَانِي الصَّبَرِ
 حَيَاةُ الْفَتَى - مَا لَمْ يُسَرَّ - حَمَامَهُ
 وَصَّحَّتْهُ سُقْمُ وَثَرَوْتُهُ فَقَرَ
 وَلَمْ أَرَ فِي الدُّنْيَا سَرُورًا سَوْيِ الَّذِي
 يُخَيِّلُهُ مِنْ وَصْلِ أَحَبَابِنَا سِحرٌ
 فَصِيلٌ وَالْقَ مَنْ أَحَبَبَتْهُ تَجِدِ الدُّنْيَا
 سَهْوَلًا وَلَا فَالدُّنْيَا مَسْلَكٌ وَعَرَ

****[]

أندر شيء الحر^(١)

يقولون لي في وجهك الحزن قد بدا
وفيه لنا لاح التخجر يا «صقر»
فقلت لهم «عيسى القطامي» عازمُ
على سفر فالقلب مني به جمر
وهل لي سوى «عيسى» إذا الخير مسني
بلقياه عندي ينجل لي الهم والضرُّ
وهل بعْد «عيسى» الْحُرُّ لي من مؤانِسٍ
 وأندر شيء في الأنام هو الْحُرُّ
ومن ذا سواه إن شكوت أعناني
 وإن أهْفُّ وأفانيولي عندَه عذر
فكم من جميل جاءني منه كاملٍ
يحف به من طيب شيمته الشُّكر
كأني الذي أُسْدِي الصُّنْيَعَ وهكذا
من الناس من تزكتو خلائقُ الزهر
وكم لقة طَّأْتُ أذناي للاء لفظه
فأهدته نحو الصَّدَرِ فانشرح الصَّدَر
ولؤلؤ لفظ الْحُرُّ أوفَّرْ بهجة
وأشمن من درّ به يسمح البحر

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المختار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

الْمَا عَصَى «صَقِرًا» عَلَى الظَّمَاء الصَّبَرُ
وَأَوْشَكَ أَن يَنْبَتَ مِنْهُ بِالْعُمَرُ
وَعَدْتَ بِإِنْقَاعِ الصَّدَى وَعَدْ مَا طَلِ
كَائِنَ تَخْشَى أَن يَبُوْخَ لَهُ حُرُ^(١)
فَقَدَّمْتُ مِنْ شَكْرِي إِلَيْكَ جَمِيلَهُ
فَلَمْ يَلْقَ تَقْدِيرًا لَدِيكَ لِهِ الشُّكْرُ
أَطْلَتْ مَقَامِي بَيْنَ يَأْسِيِ الرَّجَا
وَسَهَلْ مَقَامَ الرَّءَ بَيْنَهُمَا وَعَرَ
فَقَدْ تَمَّ أَوْ قَدْ كَادَ عَامٌ وَمِثْلُ مَا
وَعَدْتَ بِهِ يَكْفِي لِإِنْجَازِ شَهْرٍ
فَإِنْ كَانَ مَا حَاوَلْتَ بِالْوَعْدِ حِيلَةً
لِيَسْعِي بِلَا عَرْفٍ بِشَكْرِي لَكَ الشُّعُرُ
فَذَلِكَ أَمْرٌ لَيْسَ يَنْوِيهُ مَبْتَغِ
مَزِيدَ الْعُلَا مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ حِجْرٌ^(٢)
وَذَاكَ لَأَنَّ الشُّكْرَ يَغْدو وَحَلَوْهُ
إِذَا ذَكَرُوهُ حَولَ حِيَاتِهِ مُرُّ
وَإِنْ كُنْتَ تَنْوِي بَعْدَ مَوْتِي سَقَايَتِي
إِذَا ضَمَّنَنِي يَوْمًا مِنَ الظَّمَاءِ الْقَبْرِ

(١) بَيْوَخ: يَسْكُن وَيَفْتَر.

(٢) الحجر: العقل.

فَقَصَدُكَ هَذَا مُذْكِرِي قَوْلَ بَعْضِهِم
 (إِذَا مَتْ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطَرُ)^(١)
 وَظَنَّنِي فِيكَ الْيَوْمَ أَنْ تَمْحُوَ الَّذِي
 بِإِثْبَاتِهِ يَعْدُوكَ حَمْدِيَّاً وَالْأَجْرُ
 وَيَحْزُنُنِي أَنِي كَتَبْتُ لَمْ تُجِبْ
 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ طِرْسُ لَدِيكَ وَلَا حِبْرٌ
 وَلَوْ كَانَ هَذَا وَاقِعًا كَنْتُ عَاذِرًا
 فَعَنْدِي لِإِخْرَانِي إِذَا عَجَزُوا عُذْرٌ
 وَمَا كَانَ عَنْ عُذْرٍ وَلَكِنْ تَهَافَنُ
 وَحَاشَاكَ أَنْ تُلْفِي وَشِيمَتُكَ الْفَدَرُ
 وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِيكَ الْوَفَاءُ سَجِيَّةً
 لَمَّا مَسَّ مَطْوِيُّ الْعَتَابِ لَكَ النَّشَرُ

* * * *

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:
 معلتي بالوصول والموت دونه إذا متْ ظمانًا فلَا نزل القطر
 وهو من قصيده في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:
 أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر

كلمة البركة^(١)

لَئِنْ ذَادَ عَنِي صَاحِبِي مُعْدِمًا شَكِي
لَهُ ظَمَاءً يَوْمًا فَلَا مَرَّ بِي الْقَطْرُ
وَلَا زَالَ فِي جَنَبِي أَوْ فِي قَرَارِتِي
لِتَضَيِّعِ مَا اسْتُوْدِعُتُ مِنْ مائِهِ قَطْرُ
وَلَا ابْتَلَّ مَا يَسْكُبُ الْمَزْنُ (شَتْرُ)
إِذَا فَاضَ مِنْ مَسْكُوبِهِ غَيْرُهُ (شَتْرُ)
وَمَا كَانَ «صَقْرُ» مِنْ يَذُودُ ذُوِي الظَّمَاء
عَنِ الْوَرِدِ فَلِيمُكُثُّ عَلَى جُودِهِ «صَقْرُ»
فَعَهْدِي بِهِ لِلْحَمْدِ وَالْأَجْرِ صَابِيَا
وَمَا خَيْرُ مَنْ لَمْ يُصْبِهِ الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ
وَمَا الْحُرُّ مَنْ يَرَوِي وَيَعْطَشُ جَارُهُ
وَلِكُنَّ مِنْ بِالْعَكْسِ يَأْتِي هُوَ الْحُرُّ
وَبِيَا وَارْدِي رَفِقًا بِمَشِيكِ وَاثِيدِ
وَإِلَّا فَظَاهَرَانَا دَنَا مِنْهُمَا الْكَسْرُ
وَإِنْ كَانَ سَهْلًا جَبْرُ ظَهْرِي فَلَمْ يَكُنْ
لَيْسَهُلُّ بَعْدَ الْكَسْرِ مِنْ ظَهْرِكَ الْجَبْرُ
وَإِيَاكَ وَالْوَطْءِ الْعَنِيفِ فَرِبِّيَا
غَدَ الْكِلَيْنَا فِيهِ أَوْ بَعْضِنَا ضُرُّ

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة. غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهراً ثم ردتها.

وإن رُمْتَ في جوفي النزولَ فما أرى
 بذلك بأساً عندما حاجةٌ تعرُّو
 ولكن له شرطان لا بدَّ منهما
 هما في تدليك الترفُقُ والطُّهرُ
 وكن أخذًا بالنصيحةِ مني فربما
 إلى مأخذِي بالنصيحةِ منك ستخذلُ
 لعلَكَ في أتيكَ تحتاجَ رأفي^١
 كما بي إلها منك في حاضري فقرَ
 فما الْكَلِينَا صورةُ مستمرةٌ
 على كيميا الدَّهْرِ ما بقيَ الدَّهْرُ
 ويا ربما حلَّتْ حيائُكَ تربتي
 وحلَّ جمودي فيك وانعكَسَ الأمرُ
 فأصبحتَ في ماضي زمانِكَ بركةً
 وأصبحتَ إنساناً كما شاءَ الدُّورُ
 فنحن وأنتُم في الزمانِ ودورِه
 سواءً لكلِّ يعتلي مرةً قدرُ
 دوالِيكَ نعلو بالحياة وأنتُم
 علينا بها تعليون طورًا ولا فخرُ
 فاحوالنا رهن التحولِ ما غدا
 عليهاليومِ أو لليلتهِ مرُّ
 وكم قد تبادلنا بما مرّ صورةً
 وشكلاً ولكن مات في نفسك الذُّكرُ
 وإن قلتَ إن الدُّورَ شَكَّ به الحِجا
 وكشفُ ظلامِ الشَّكْ أمرٌ به عُسرٌ
 أقلُّ لكَ قوله ليس لالشَّكْ منهجهُ
 إلى صدقه في ما يرى الحُسْنُ والجُنُونُ

الْمُأْتَكَوْنُ مِنْ جُسْرٍ مُجْدِدَكُمْ
 وَاعْزَازُهُمْ عَرَفُوا إِذَا لَأْلَمُهُمْ نُكْرَ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلَّيْ فَجُلَّيْ مِنْهُمْ
 وَإِنْ ظَنَّ غِرْرُ غَيْرَ ذَلِكَ أَوْ غُمْرَ^(١)
 أَعْادَهُمْ إِكْسِيرُ طَولِ زَمَانِهِمْ
 وَهُمْ - ضَمِنْ عَفْرَ أَنْتَ وَاطِئَةً - عَفْرَ^(٢)
 وَأَيْ رَوَابِي الْأَرْضَ أَمْ أَيْ وَهْدَهَا
 لِأَسْلَافِكُمْ مَا خُطَّ أَثْنَاءَهُ قَبْرَ
 فَإِنْ لَمْ تُرَاعِنِي فَرَاعُوا أَبُوَةَ
 بِهِمْ غُصَّ نَجْدُ الْأَرْضِ وَامْتَلَأَ الْغَورُ
 وَهَا أَنْتَ بِلِ كُلِّ امْرَئٍ خَلْفَ جَدِّهِ
 يَجِدُّ بِهِ مِنْ مَرِّ أَيَامِ سَيِّرِ
 عَلَى أَنْتِي مِنْكُمْ وَمِنِّي أَنْتُمْ
 لَأَنِّي بِعُضُّ الْأَرْضِ وَهِيَ لَكُمْ جِذْرَ
 إِذَا سَأَلَ الْفِكْرَ الْفَتِي عَنْ تُرَابِهِ
 أَجَابَ جَوَابًا طِبْقًا مَا قَلَتْهُ الْفَكِرَ
 وَهُلْ سَارَ ذُو عَقْلٍ صَحِيحٍ عَلَى الثَّرَى
 وَفِي سِيرِهِ الْزَّهْوُ الْذَمِيمُ أَوِ الْكِبْرُ
 فَمَا اخْتَالَ مِنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ غَيْرُ مِنْ
 أَدَمَ لِهِ السُّكْرُ الْفُرُورُ أَوِ الْخَمْرُ
 وَلَوْمَيْ عَلَى الصَّاحِينِ إِلَّا إِذَا انبَرَوْا
 لِتَأْدِيبِ مِنْ أَنْسَاهُمُ الْأَدَبَ السُّكْرُ
 فَمِثْلُ غُواةِ الْقَوْمِ يُلْفِي رَشِيدَهُمْ
 إِذَا ضَلَّ عَنْ تَأْدِيبِهِمْ وَلِهِ صَبْرٌ

(١) الغمر: الذي لم يجرِب الأمور.

(٢) العفر: التراب.

وَمَنْ يُسْتَطِعْ وَعْظَ الْفُوَاةِ وَلَمْ يَعْظِ
 فَعَنْ أَزْرِهِ مِنْ صُنْعِهِمْ لَمْ يَمْلِ وِزْرُ
 مِنَ الشَّرِّ تَرْكُ النُّصْحِ مِنْ ذِي كَيَاسَةٍ
 مَطِيقٌ لِذِي غَيٌّ إِذَا ذُكِرَ الشَّرِّ
 وَخَيْرُ الْوَرَى إِنْ يَغْرِقَ الْفُلُكُ مِنْ هَدَى
 إِلَى الْعِبْرِ غَرْقاًهُ إِذَا خَفِيَ الْعِبْرُ^(١)
 وَلَيْسَ الَّذِي يَنْحُوُ عَنْ خِبْرَةٍ بِهِ
 وَيُعْرِضُ عَنْ قَوْمٍ بِهِ مَا لَهُمْ خُبْرٌ
 وَهَلْ تَرْفَعُ الْأَفْعَالُ مِنْ أَرْشَادَ الْوَرَى
 وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ نَاصِبٍ إِرْشَادِهِ جَرُّ

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب^(١)

ما في العراقِ لشمسِ فَخْلَكَ مُنْكَرُ
أَنَّى وقد سَمَقْتُ تُنْيِرُ فَتَبَهَرُ

شَمْسُ مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ قَدْ اهْتَدَى
بِخَيَائِهَا مَذْ أَشْرَقْتُ مِنْ يُبْصِرِ

شَمْسُ لَهَا مِنْ ذِي الْمُعَالِي «طالِبٌ»
شَرَفٌ فَلِيَسْتَ عَنْ سِوَاهُ تَحْسِدُرُ

شَمْسٌ إِذَا أَخْفَى شَبِيهَتِهَا الدُّجَى
أَوْ رَاحَ يُخْفِي مِنْ سِنَاهَا الْعِثْيرُ^(٢)

فَهِيَ الَّتِي مَذْ أَشْرَقْتُ قَدْ أَقْسَمْتُ
أَنْ لَا تُرَى يَوْمًا بِشَيْءٍ تُسْتَرِ

لَكُنْ بِهَا عَشِيتُ عُيُونَ عَصَابَةٍ
حَسَدَتُكَ شَمْسَ الْفَضْلِ وَهِيَ تُنَورُ

فَغَدَتْ مِنَ الْحَسَدِ الْمَذِيبِ قَلْوَبُهُمْ
تَشَكُّلَظَى فِيهَا يُشَبُّ وَيُسْتَرَ

وَالْأَهْلُ لِلشُّكْرَانِ مِنْ يَشْقَى بِهِ
قَوْمٌ وَأَقْوَامٌ تُسَرُّ وَتُحَبَّرُ

وَمَحْبَتِي الْفَضْلِ الْمُبِينَ وَأَهْلَهُ
طَبَعُ لِعَمْرِي فِي لَا يَتَفَيَّرُ

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر لتلقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العثير: الغبار.

فلَا تراني جئتُ أهدي مِدحَةً
 في هالك الإخلاصُ مني يَظْهَر
 ومحبتي إِيّاكَ مجاهدُ الذي
 هو كُلُّ ما يحويه مثالي مُفْسِر
 أما الكويتُ فإنها قد أصبحتَ
 بِحُلولِكَ السامي بها تتبخَّر
 ولما عجَّبَ أن تَبَخَّرَ بلدةً
 فخرًا ومثلكَ راحَ فيها يَخْطُر^(١)
 إنَّا عرفنا فيكَ كُلَّ مَازِيَّةً
 يُثْنِي عليها ذو الْحِجَاءِ ويَشْكُر
 فلَا بِمَقْدِمَكَ الْكَوْيَتُ قد اغْتَدَى
 حَظًّا عَظِيمًا لِّكَوْيَتٍ وَمَفْخَرٌ

* * * * *

لما رجعتَ إلى العراقِ مُسَأَّلًا
 مما علىكَ من السياسةِ يُحْذَرُ
 أعلنتُ صوتي بين قومي قائلًا
 اليومَ عادَ إلى شَرَاهُ الْقَسْوَرَ^(٢)
 وهل العراقُ الرَّحِبُ إلا غابةٌ
 من «طالب» فيها الشجاعُ غَصَّنَفَر
 يا «طالب» العلياء نلتَ من العلا
 مالم يَنْلِ شَرَواهُ نجمُ أزهار
 فغدوتَ في أفقِ الفضائلِ كوكبًا
 عالٍ^(٣) كما تهوى الفضائلُ يُسْفِر

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنساً إذا ما رحت فيها تخطر».

(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

فِحْسَالُكَ الْغُرُّ الزَّوَاهِرُ إِنْ غَدَا
إِحْسَاؤُهُنَّ عَلَى امْرَئٍ يَتَعَسَّرُ
فَلَكُمْ تَعَالَّتْ أَنْ يَحْيِطْ بِعَدْهَا
يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ قَبْلُ مَنْ هُوَ أَشَعَّرُ

فهد الكريـم فرع خير^(١)

يَا نَجْلَ سَالِمِ الَّذِي أَخْلَقُهُ
أَثْنَى عَلَيْهَا النَّثْرُ وَالأشْعَارُ
مِنْ أَفْضَلِ الْأَقْوَاتِ عِنْدِي حِنْطَةُ
مِنْهَا غَدَتْ أَهْلُ الْكَوْيْتِ تُمَارُ
لَكُنْ إِجَادَةُ طَبْخِهَا أَوْ خَبْزِهَا
حِرْنَا بِهَا وَأَظَنْ أَنْ سَنَحَارِ
قَالُوا إِذَا كَرَرْتُمْ صُنْعَالَهَا
أَتَقْنَةُ نَتَمُوْهُ فَكَذَّبَ التَّكَارَ
كَمْ مَرَّةٌ جَاءَتْ تِجَارِبُنَا بِهَا
عِكْسَ الَّذِي نَهْوَاهُ أَوْ نَخْتَارُ
كُلُّ التِّجَارِبِ قَدْ ذَهَبَنَ بِهَا سُدَّيْ
فَجَمِيعُهُنَّ مَتَاعِبُ وَخَسَارُ
وَالجُوعُ لَمْ يَتَرَكْ لَنَا وَقْتًا بِهِ
تِصْفُو - لَكِي نَتَعَلَّمَ - الْأَفْكَارُ
فَأَغْرَيْتُمْ مِنْ الْجُوعِ الَّذِي آلَمَهُ
مِنْهَا عَلَى نَفْسِي التَّقَتُ أَظْفَارُ
بِأَطْسَابِ الْأَرْزِ الَّذِي قَدْ شَاقَنِي
مِنْهُ وَصَالُ مَنْعُشُ وَمَزارُ
إِنِّي لَا ذَكْرُ طِيبَهُ وَمَسَاغَهُ
فَيُمْيِيْتُ عَنِ السَّلْوَةِ التَّذْكَارُ

(١) قالها في الشيخ فهد السالم الصباح.

هيهات أن أسلو لذاته التي
تُطوى فينشر فخاها السُّمَّار
إني لأُمِلُّ منك مأْمَلًا إِذَا
صَعْبَ المِرَامُ وَعَزَّتِ الأَوْطَارُ
فأبُوك يا فهد الكريـم تحققـتْ
فيـه ليـ الآمالـ وهيـ كـبارـ
لم لا أُمِلُّ فـرعـ خـيرـ طـابـ ليـ
من أـصـلـهـ وـأـعـذـوبـ الإـثـمـارـ
أـخـصـبـتـ فـيـ أـيـامـهـ حـتـىـ لـقـدـ
أـوـهـمـتـ أـنـ جـمـيـعـهـاـ «ـآذـارـ»

چنہ لا دار^(۱)

أَنَا مِنْ لَا يَرْزَالُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي
قَرُبَ مِنْكُمْ سَعَادَةً وَفَتَحَارَ
فَإِلَهٌ هَذَا سَوْى الدُّنْوِ إِلَيْكُمْ
مِنْ مَزَايَا الْحَيَاةِ لَا أَخْتَارَ
غَيْرَ أَنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ شِدَّةِ الْحَاجَةِ
رَبِّ بَسْجِنٍ مِنْهُ يَعِزُّ الْفَرَارَ
لَا تَقُولُوا إِنَّ الصُّقُورَ إِذَا مَا
سُجِنَتْ فِي سُجُونِهَا لَا تَحْارَ
كُنْتُ كَاسِمِي صَقْرًا وَلَكُنْيَةِ الْبَيْوِ
مِلْأَفْنِ قَدْ عَمَ جَسَمِي هَزارَ
فَدَعَوْنِي مِنْ اسْتِزَارَةِ جَسَمي
فَخَعِيفُ الْجُسُومِ لَا يُسْتَزَارَ
وَفَوَادِي لَدِيكُمْ مِنْ ذِي زَمَانِ
جَمَعْتُ فِيهِ شَمَائِلَنَا الْأَقْدَارَ
وَعَلَى «الْوَطَيْةِ» التَّحِيَّةُ مِنْ
سَامِرَتُهُ مِنْكُمْ بِهَا الْأَحْرَارَ^(۳)
فَأَعْادَ السُّمَّارُ فِيهَا حَصَامَهَا
وَهُوَ أَبْهَى مَا يَضْمُنُ الْمَحَارُ

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالمالك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالمالك يرسل ابنه صالح بن عبدالمالك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبيق عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعتذر عن عدم الحضور لشدة الحر.

٢) الوطبة: مكان.

وَئِنِي رَمَأْهَا كَأَجْمَلِ مَا «نِي
 سَانُ» يُبَدِّي لِنَاظِرٍ أَوْ «أَذَارُ»
 فَكَانَ الْمَصْفِيفَ فِي هَا رَبِيعُ
 نَشَرَتْ بُسْطَ زَهْرَهِ الْأَمْطَارِ
 وَكَذَا كَلْ بِقَعَةٍ كَانَ فِيهَا
 مِنْ أَبِي صَالِحِ الْعُلَالِيِّ جَارٌ
 كُلُّ دَارٍ تَخْرُجُ مُنْ نِي وَعُلَاهُ
 فَهَيْ وَاللَّهِ جَنَّةٌ لَا دَارُ
 ذِي سَجَایَا تَوَدُّ كُلُّ الرَّوَابِيِّ
 أَنْهَا فَوْقَ هَامِهَا أَزْهَارٌ
 لَوْرَاهَا بَشَّارُ فِي آدَمِيٍّ
 تَابَ مَمَّا أَتَى بِهِ بَشَّارٌ
 أَوْ رَاهُنَّ قَائِلُ بَاضْ طَرَارِ
 عَادَ قَصْدًا مَقَالَهُ الْأَضْطَرَارِ
 جَمْعُ الْلَّهِ فِيهِ شَتَّى الْمَزَایَا
 فَلَهَا فِيهِ مَاتَقَّى وَانْحَصَارٌ
 وَعَلَى أَنْنِي إِلَيْهِنَّ صَابِ
 قَدْ تَمَادَى بِهِنَّ عَنِي نِفَارٌ
 لَوْ بِجِدٍ يَنْأَلُهَا وَاجْتَهَادٍ
 مِنْ تَأَظَّى بِهِ إِلَيْهَا أُواَرُ^(۱)
 نَلَتْ مِنْهَا أَوْ نَلَتْهَا غَيْرَ أَنَّ الـ
 نَاسَ تُرْبُّ كَأَرْضِهِمْ أَوْ نُخَار^(۲)

(۱) الأوار: لفح النار ووهجهها.

(۲) النخار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أو كمثل النبات ينْبُت مُخْطَرًا
وفيه كُراثَةٌ وعَرَارٌ
حَكْمَةٌ كُنْهٌ هَاخَفِيًّا ولِمَا
تَخْفَ مِنْهَا عَلَى النُّهَى الآثار
فَهِي كالروح في الفَعَال تجلَّتْ
واسْتَقْلَتْ بِكُنْهِهَا الأَسْتَارُ

قومي العرب

فإن تتحقق الكويتُ اليومَ عنِّي
وما ضاقت بآمثالِي الدِّيارُ
فكم بـالـدـلـلـةـ قـوـمـيـ الـعـرـبـ فـيـهـ
سيـحـلـولـيـ منـ السـعـةـ الـقـرارـ
ولـيـسـ يـمـوتـ مـنـ ظـمـاءـ وـجـوعـ
بـمـرـبـطـ ظـالـمـ إـلـاـ الحـمـارـ

أصبح

أَصْبَحْ بِمَنْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ
وَلَيْسَ بِهِ عَلَى عَيْنِيهِ خَيْرٌ^(١)
فَمَا يَهْدِي ضَرِيرًا فِي طَرِيقٍ
بِهِ الْقَاتُ كَلَاكَاتُهَا الْوُعُورَ
وَلَا يُرُوِي الْعَطَاشَ - وَإِنَّ الْحَوَا
عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ - لَهُ نَمِيرٌ
وَلَيْسَ يَشْمُ عَافٍ مِنْ قُتَّارٍ
لَطْبَخَهُ وَمَطْبَخَهُ عَمِيرٌ
فَفِيهِ مِنْ صَنْوَفِ الرِّزَادِ مَا لَا
تَزَالُ لَهُ بِهِ تَغْفِلِي قُدُورٌ
وَلَنْ يَجْمَعُهُ وَالْبُؤَسَاءُ نَادِيٌّ
تَغْشَاهُ لَنْظَرُهُمْ نُفُورٌ
وَشَالَ بِأَنْفِهِ كِبْرًا عَالِيَّهُمْ
بِمَا أَتَتْهُ دُنْيَاهُ الْغَرُورُ
رَوِيدًا أَيُّهَا الْطَاغِي رَوِيدًا
فَإِنَّ الدَّهَرَ خَدَاعٌ غَدُورٌ
فَقَاتِلَكَ أَطْلَعَ الإِثْرَاءُ مِنْهُ
لَقَوْمٌ أَنْجُمًا زُهْرًا تُنَيِّرُ

(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنَّوا أَنَّهَا تَبْقَى فِي مُعَادٍ
 - وَأَنَفُ الظَّنُّ مَرْغُومٌ - تَغْوِيرٌ
 فَحَسِبَ إِنْ عَقَلْتَ بِهِمْ نَذِيرًا
 فَقَدْ يَجْدِي ذُوِي الْعِقْلِ النَّذِيرَ
 يَوْمُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا حَوْتُهُمْ
 مُضاجِعًا أَنَّهَا لَهُمْ قُبْرٌ
 لِرَأْيِهِرِيرٍ مِّنَ الْجُنُونِ فِيهِمْ
 وَلِيَثُ الْجُنُونِ فَتَاكُ هَصْورٌ
 وَلَوْلَا شُحُّ أَهْلِ الْمَالِ مِنْنَا
 لَا اسْتَحْسَبَاهُمُ الْمَوْتُ الْمَرِيرُ
 تَبَارِكَ مِنْ أَفَادَهُمْ بِحَوْرًا
 مِنَ الْأَمْوَالِ زَاخِرَةً تَمَّورٌ
 وَأَسْكَنَ فِي جُوانِحِهِمْ عَلَيْنَا
 قَلْوَبًا دُونَ قَسْوَتِهَا الصُّخْورُ
 فَمَا يُشْجِيْهِمْ لِلْبُؤْسِ فِينَا
 مَزَامِيرُهَا أَبْدًا نَعِيرُ
 فَصَبَرَأَيُّهَا الْبُؤْسَاءُ صَبَرًا
 فَعَقَبَ الصَّبْرَ يَحْمَدُهَا الصَّبُورُ
 فِي الصَّبَرِ الْجَمِيلِ لَكُمْ رِحَابٌ
 إِذَا خَاقَتْ بِكُمْ لِلْبُؤْسِ دُورٌ
 وَإِنْ أَذَا كُمْ جَعَوْعَ فَمَمَنَهُ
 بِعُثْنَوْنِي يَلْوُحُ لَكُمْ قَتِيرٌ
 وَإِنْ تُصْبِحْ شِيَابِكُمْ رِثَائًا
 فَفِي مَاشِتَائِيَ فِي ثَوْبِي فُزُورٌ
 لَنْرَقْبُ مَا طَوَاهُ الْغَيْبُ عَنَا
 فَعَنْهُ سَوْفَ تَرْتَفَعُ السُّتُورُ

لعلَّنا بجوف الغيبِ خيراً
 وعلَّ الدهرَ بالحسنى يحُور
 لئنْمكْث تحت ظلِّ الصبرِ حتى
 يحين لنا من الآتي سُفُور
 عسانا أن نقول إذا رأينا
 مصيرَ الصبرِ يا نعم المصير
 وشوبُ الصبرِ فيه لابسٍ
 جمالٌ لا يجيء به الحرير
 وفي أخراء كلُّ أخي اصطبارٍ
 لدى مولاه بالحسنى جدير
 فحسبُ الصابرين بذا ثواباً
 ففي هذا لهم خيرٌ كثير
 بحسنِ الصبرِ أوصيكم لأنني
 بباعي عن إعانتكم قُصر
 ولو أني ملكت ولو قُروشاً
 لقامت لبَّتها فيكم أدورُ

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان^(١)

كُلُّ طَفْلٍ بِكَفَّهِ عَصَافِرُ
مِنْ أَذَا هَا يَكَادُ فِيهَا يَبُورُ
مُتَأَدِّ مِنْ قَبْضَةِ الطَّفْلِ وَالطَّفْلِ
لُلُّهُ مِنْ أَذى الطَّيْرِ وَرِسُورُ
حَسْبَ مَا العَادُ يَقْتَلُهُ وَكُمْ أَبْ
صَرَّتْ شَرَّاً مِنْ عَادَةِ يَسْتَطِيرُ
عُودُ الْأَهْوَى بِالْطَّيْرِ فَأَبْدَى
صَفْوَهُ مَا لَهَا بِهِ تَكْدِيرُ
وَهِيَ فِي الْحِسْنَى مُثَلَّهُ فَادِيهَا
مُوجِعُ الطَّفْلِ مُوجِعُ مَحْذُورٍ
وَهُوَ عَنْهَا بِمَا لَا شَعُورٌ عَدَادُ
مِنْ تَمَاثِيلِ لَهْوِ مَيْسُورٍ
لَكِنِ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ عَلَيْهِ
فَاتَّهُ مِنْ أَمْوَارِهِ الْتَّافِكِيرُ
فَأَرَادَ السُّرُورُ لِلْطَّفْلِ مِنْ حَيْثُ
ثُإِلِيَّ الطَّفْلِ يَهْتَدِي التَّغْرِيرُ
إِنْ غَيْرُ الْأَمْرِ الَّذِي رَامَ لِلْطَّفْلِ
لِسُرُورًا بِهِ أَبْوَهُ مَرِيرُ

(١) تُدَنِّي أَنْوَاعُ العَصَافِيرِ فِي مَوْسِمِ الرَّبِيعِ قَادِمَةً مِنَ الْجَنْوَبِ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الصَّبِيَّانِ نَصْبُ الْفَخَّاخِ لِهَذِهِ الْطَّيْرِ وَصَيْدُهَا وَاللَّعْبُ بِهَا. فَقَالَ هَذِهِ الْقُصْدِيَّةُ.

إذ يرى طفلاً يشب على ما
 ليس يرضي به الإله القدير
 أترى بارئ الطيور براها
 لترى من أذى الورى ما يخبيه
 رب إثم على الورى سنه آتته
 عادة والسلسلة ول منه وعمر
 إن لهو الولي بالطير زور
 - لودري والد الولي - خطير
 عليه العقاب لا بد أن يأته
 تي وشروع تعجيه التأخير
 فهو إن لم يلقي الجزاء مدى العم
 رفع عمر الإنسان جداً قصير
 وسيلاقاه بعد ما ينقضى العم
 ركما لا يشاء وهو عسير
 يغفر الله للولي فهل ذنب
 بآبيه كذنبه مغفور
 فأليس عن مقالي العقل إن لا
 عقل دار بما أقول خبير
 لم يهبه إلهه العقل إلا
 لهداه فهو النذير البشير
 ليس يدرى ضلاله من هداه
 من لهادي الحجاء لا يستشير
 فاتخذ منه في الأمور مشيراً
 وفق آثار نصحة إذ تسير
 هل ترى العادة الائمة غررت
 من بمصباح عقله يستنزير

حُسْنٌ عاداتِ أُولَيْنَا أوِ الْقُبْ
 حُ بِهِ عَنْهُمَا تَشْفُ السُّتُور
 فِيَ بَيْنِ الْعَادَ الَّذِي هُوَ لِلأَخْ
 لَذِ أَوِ التَّرْكِ مَسْتَحِقٌ جَدِيرٌ
 فَلَا بَائِنَا عَوَادُ شَتِّي
 رَسَخَتْ بِيَنِ نَالَهُنَّ جُذُورٌ
 بَعْضُهَا يَنْطَوِي عَلَى الْقُبْحِ وَالشَّ
 رُّ وَفِي بَعْضُهَا جَمَالٌ وَخَيْرٌ
 وَهُوَانَا اقْتِفَاءَ عَادَاتِهِمْ إِنْ
 لَمْ تُنْرِهِ سُرْجُ النُّهَى دَيْجُورٌ
 وَعَسِيرُ التَّمْحِيقِ وَالْكَشْفُ عَنْهِ
 مِنْ إِذَا سُرْجَهَا أَضَانَ يَسِيرٌ

* * * * *

أَيْهَا الطَّفْلُ أَنْتَ عَنِّي عَلَى مَا
 سُمْتَهُ الطَّيْرُ مِنْ أَدَى مَعْذُورٍ
 مَا لِأَمْرٍ تُمْرِعُهُ بَاهٌ أَوْ تَحْ
 لَوْلَدِي ذِي طَفْوَةٍ تِقْدِيرٍ
 فَحِجَاءُ الصَّغِيرِ عَنْ فَهْمِهِ الْعُقْ
 بِي لِأَمْرِهِ يَجِيءُ صَغِيرٌ
 لَسْتَ أَنْتَ الَّذِي جَنِيتَ عَلَى الطَّيْرِ
 أَنْتَ لَوْلَا وَلِيْ أَمْرِكَ لَمْ تَنْ
 رُبْ إِلَى الطَّيْرِ مِنْ يَدِيكَ شَرُورٌ
 مَا غَدَا فِي يَمِينِكَ الطَّائِرُ الْمِسْ
 كِيْنُ لَوْلَا أَبُوكَ وَهُوَ أَسِيرٌ

هو الْقَاهُ فِي يَدِيكَ كَانْ لَمْ
 يَدْرِي مَا مِنْهُمَا تُقَاسِي الطَّيْورَ
 كَمْ رَأَى طَائِرًا بِكَفَّكَ يَوْمًا
 وَهُوَ مِيتٌ مِنْ ضَغْطِهَا مَعْصُورٌ
 أَوْ رَأَى رَجَلًا رَهِينًا خَيْطٍ
 وَهُوَ حَيٌّ بِخَبَطٍ مَجْرُورٌ
 أَوْ رَأَاهُ يَشْكُوكِتَاف جَنَاحِي
 هَوْمَنَهُ الْقُوَّا يَبْدِي دَامِ كَسِيرٌ
 أَوْ رَأَى رِيشَهُ النَّظَلِيمَ حَوَالِي
 لَكَ مِنَ النَّثْفِ وَهُوَ مُلْقَى نَثِيرٌ
 أَوْ رَأَهُ سَجِينَ سَجِينٌ سَمِّيَ
 قَفْصًا، مِنْهُ شَاقَةُ التَّحْرِيرِ
 فَهُوَ مِنْهُ حُبُّ التَّحْرِيرِ فِي النَّا
 سِلْعَيْنِيَهُ مَا تَوَهُ يُدِيرَ
 يَتَوَحَّى حُرَّاً رَحِيمًا يُفَادِي
 سَجَنَهُ مِنْ يَمِينِهِ تَكْسِيرٌ
 وَأَبُو الطَّفْلِ حَوْلَ مَا الطَّفْلُ يَأْتِي
 إِلَى طَيْرِهِ بِصَيْرُضَرِيرٍ
 يَتَشَكَّى بِمَلِءِ فَيِهِ إِلَيْهِ
 حَسَبَ مَا شَاءَ كَرِبَهُ الْمَوْفُورَ
 وَتَنَزِّيَ الْآلامُ مِنْهُ جُسَيْمًا
 يَجْهَلُ الصَّبَرَ قَلْبُهُ الْمَفْطُورُ^(١)
 وَكَانَ الشَّكَاةَ عِنْدَ أَبِي الطَّفْلِ
 لِأَغَانِيَ أَتَى بِهِنَّ الْحُبُورَ

(١) تنزي: تجعله يثبت. والمفطور: المشقوق.

والتنزي من هول ما هو يلقى
 رقص أنسٍ عن جدِّ مائور
 مشهدُ لوبه حس صخور
 لغدتْ رقةً تذوب الصخور
 كلُّ ما رمتُ أن أعي بـ رـ عـ نـ
 ضاق ذرعاً بـ عبرـتـي التـ عـ بـ يـ
 وهو لم يـ نـ هـ الخـ مـ يـ رـ ولا العـ
 لـ فـ هـ مـ اـتـ عـ قـ اـهـ والـ خـ مـ يـ
 أم رأى ذنبـ العـ ظـ يـ حـ قـ يـ رـ
 مثلـ ما يـ وـ هـ الـ آـثـ يـ الـ غـ رـ رـ
 لا أراه يـ رـ قـ إـ لـ إـ زـ اـ مـ اـ
 صـ دـ مـ تـ هـ بـ عـ كـ سـ هـ هـ الـ أـمـ وـ رـ
 فـ رـ أـيـ طـ يـ رـ صـ بـ يـ أـ وـ أـضـ حـ يـ
 وـ هـ وـ فـ يـ كـ فـ طـ يـ سـ رـ هـ زـ زـ زـ رـ
 فـ بـ عـ كـسـ الـ أـمـ وـ رـ منـ سـ كـ رـ الـ غـ
 رـ رـ يـ شـ قـ يـ فـ وـ ؤـ اـدـ الـ خـ مـ وـ رـ
 وـ سـ يـ شـ قـ يـ بـ مـ ثـ ذـ الـ وـ أـ دـ هـ يـ
 إنـ عـ دـ اـهـ مـ نـ فـ عـ الـ تـ غـ يـ يـ يـ
 فـ أـ يـ تـ بـ مـ نـ ذـ نـ بـ وـ لـ يـ كـ فـ رـ
 فـ الـ مـ لـ لـ اـذـ الـ تـ اـبـ وـ الـ تـ كـ فـ يـ
 يـاـ قـوـيـاـ فـمـ الـ خـ عـ يـ بـ شـ كـ وـ اـ
 دـ مـ عـ اـنـ اـهـ شـ رـ هـ مـ فـ غـ رـ
 إنـ مـنـ صـاغـهـ وـ صـاغـكـ مـسـ مـوـ
 عـ لـ دـ يـهـ مـاـ يـ شـ تـ كـيـ مـنـ ظـ وـ رـ

وَبِكُونِ الْجَزَاءِ مَا شَكَّ مَنْ مِنْ
 هُوَ اسْتَقَامَ التَّفْكِيرُ وَالتَّنْقِيرُ
 كُلُّ أَمْرٍ إِلَيْهِ جَئَتْ سِيَاقًا
 كَقَرِيبًا جَزَاؤُهُ الْمَذْهُورُ
 فَأُلْمِتَ مَا شَكَّ مِنْ صَنْعٍ تَجْدُهُ
 مُثْمِرًا حَسْبًا مَا تَكُونُ الْبَذُورُ
 وَتَوْقُعُ يَوْمَ الْجَزَاءِ فَمَا يَوْمُ
 جَزَاءِ الصَّنْعِ مِنْكُ شَطِيرُ
 وَلَكُلٌّ مِنْ صُنْعِهِ أَوْ عَالِيهِ
 لَا سُواهُ قَائِمَةُ الْكَثِيرُ
 وَصَنْعُ الطَّفْلِ الْمَدْبُرِ مَصْنُونٌ
 عَوْلَىٰ مِنْهُ لَهُ تَأْثِيرٌ
 فَإِذَا النَّجْلُ لِلطَّيْورِ عَلَى النَّا
 جِلٌ وَقَفٌ جَزَاؤُهُ مَذْهُورٌ
 إِذْ يَمْيِنُ الْوَلِيدُ لَوْلَا أَبْوَهُ
 لَمْ يَنْبُ طَائِرًا لَهَا تَسْخِيرٌ
 إِنَّمَا الطَّفْلُ سَائِرٌ حَسْبَ مَا يَأْتِ
 تِي لَهُ مِنْ وَلِيٍّ الْتَّسْيِيرُ
 قِلْبُ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَنْشَأَ الطَّفْلُ
 مُلْعَنٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَمَ الظُّهُورُ
 فَبَطَّلُونَ الْأَمْرُ عَنْهُنَ قدَّشُ
 كَغْلٌ إِلَّا مَذْهُورٌ بِهَا الظُّهُورُ
 يَسْتَقِيمُ الْغَصْنُ النَّخْيِيرُ إِذَا مَا
 قَوْمَوْهُ وَالْطَّفْلُ غَصْنُ نَخْيِيرٌ

وَكَمَا شَاءَهُ الْقَوْمُ يَبْقَى
 بَعْدُ يُبْسِلُهُ عَلَيْهِ مَرْرُور
 لِلْمُرَبِّي فِي الطَّفْلِ صَنْعٌ كَفَانِي
 بَسْطَهُ الْآنَ أَنَّهُ مَشَهُور
 غَيْرُ خَافٍ مِنَ الْمَرَبِّينَ فِي الْأَطْ
 فَال - حَتَّى أَبِيَّنَهُ - التَّأْثِيرُ
 وَتَأْمَلُ يَظْهَرُ لِعِينِكَ مِنْفَ
 سَوْعٌ مُرَبِّي الْوَلَدَانِ وَالْمُخْرُورُ
 مَاتَقَاهُمْ أَوْرَاقُ سِفْرِ تِنَافَتُ
 مِنْ فَرِيقِهِمْ بِهِنَّ السُّطُورُ
 وَعَلَى الْفَطْرَةِ الْقَدِيمَةِ كُلُّ
 يَوْمٍ لَاقَى حَيَاةً مَفْطُورَ^(١)
 لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قُبَيلٌ الْمُرَبِّي
 سَنَعْظِيمُ مِنْ فَرْقِهِمْ أَوْ حَقَّيْرُ
 وَبِمَا جَاءَهُ الْمَرَبِّونَ مِنْ بَعْدِ
 دُتْنَافِي صُعْدَوْهُمْ وَالْحُدُورُ
 فَالْمُرَبِّي - لَا أَتَاهُ إِلَيْهِمْ
 حَيْنَ رَبِّي - الْمَذْمُومُ وَالْمَشَكُورُ
 فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الصَّفَرِ فَإِمَّا
 وَازْرُ أَنْتَ فَفِيْهِ أَوْ مَوْزُورٌ
 لَا تَغْرِنَكَ عَادَةُ بِالثَّفَشِي
 مَا الثَّفَشِي لِعَادَةٍ تَبْرِيرٌ
 كَمْ تَفَشَّتْ مِنْ عَادَةِ الْمُفَاشِي
 أَوْلَأً فِي الْوَرَى لِهَا مَمْرُورٌ

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وَهُمْ بِالْعُقُولِ لَوْفَحَ صُوْهَا
 سَرَّهُمْ طَيْلُهَا وَسَاءَ النُّشُور
 قَلْ مِنْهُمْ فَحَصْ بِهِ يَتَجَلَّ
 مَسْتَجَازُ الْعَادَاتِ وَالْمَحْظَور
 قَلَّدَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ فِي مُرِيبَا
 تِمَنِ الْعَادِ فَحَصْهَا مَهْجُور
 لَأْتُقَلَّدْتَهَا يَدَأْعَمِي لَأْعَمِي
 فَوْقَ دَرْبِ مَا شِيهِ كَابِعَثُور
 عَابِرُ الدَّرْبِ خَلَفَ هَادِ ضَرِيرِ
 يَتَأَذَّى إِنْ لَمْ يُمِمِّتْهُ الْعُبُور
 وَاسْلُكِ الدَّرْبَ نَاظِرًا مِنْكِ بِالْعَيِّ
 نِهْدَاهُ يَسْهُلُ عَلَيْكِ الْمُرُور
 لَوْأَرَادَ إِلَهٌ تَعْطِيَكَ الْعَيِّ
 نِتَخَطَّى إِنْسَانَهَا التَّنْوِير
 أَيُّهَا إِنْسَانُ إِنَّ الْحَيَاوِيِّ
 نِلَهَا بِالصَّنْيِعِ مِنْكِ شُعُور
 كُلُّ جَنْسٍ مِنْهُنَّ لِلنَّاسِ فِي الإِحْسَانِ
 سِنِدٌ وَفِي الشُّعُورِ نَظِير
 فَلَمَا زَادَتْ تُذِيقُهَا مَا عَلَيْهِ
 مِنْكِ لَوْذَقَتْهُ يَجِدُ النَّكِير
 الْخَفْفِ الْحَيَاوَانِ جُرْتَ عَلَيْهِ
 أَمْ لَأْمَرَ سِرْسِوَاهُ أَنْتَ تَجَوَّر
 لَسْتُ أَدْرِي مَا سِرْ ظَلِمَكَ وَالظُّلْمُ
 حُمْ بِهِ لَفْتَى يَسْوِي الْمَصِير

أَمِنْتَ الْعَدْلَ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ
لَكَ عَنْهُ مَتَرْجِمٌ وَّذِيرٌ
إِنْ عَدْلًا إِلَّا مَا ارْتَابَ فِيهِ
مَنْ إِلَيْهِ بِالْفَكْرِ كَانَ يَحْوِرُ
فَأَجِلْ فِيهِ طَرْفَ فَكْرَكَ تَرْجِعُ
بَعْدَ هَذَا الْعُمَى وَأَنْتَ بِصَيْرٌ

من أعمى إلى عميان

اللأعمى بِمَحْيَاهُ سُرورٌ
وهل يَا صَقْرٌ فِيهِ لَهُ حُبُورٌ
فَقَاتُ لَهُمْ عَمَى الْعُمَيَانِ أَسْرٌ
وَهُلْ فِي الْأَسْرِ يَبْتَهِجُ الْأَسْيَرُ
فَقَالُوا عَمَّيُ أَكْثَرُهُمْ سِمَانٌ
وَهُلْ سِمَانٌ بِلَا أَنْسٍ يَصْبِيرُ
فَقَاتُ لَهُمْ سِيمَانُ الْعَمَّيِ مَاتَ
مَشَاعِرُهُمْ فَلَا يَسِيرُ
وَمَوْتُ مَشَاعِرِ الْعُمَيَانِ دَرْبُ
عَلَيْهِ لَهُمْ مَسَرَّتُهُمْ تَسِيرُ
أَلْمَ يَسْلَمُ مِنَ السِّمَانِ الْمَعْرَيِ
وَبِشَارٍ وَمِثْلُهِ مَا يَسِيرُ
وَأَنَّى يَكْتَسِي هَذَا لَهْمًا
وَكَانَ امْنَ ذَكَاءٍ وَهُوَ نُورٌ
وَمَا الْأَنْوَارُ إِلَّا مِنْ سَعَيْرٍ
وَهُلْ يُبْقِي عَلَى الْلَّاهِمِ السَّعَيْرِ
ذَكَرْتُهُمَا فِي عَيْنَيْ سِيلَا
دَمَاءً ضَمْنَاهَا مَاءً غَزِيرٌ
هُمَا أَخْوَايْ قَدْسَلَفَا وَإِنِّي
وَمَفْتُهُمَا وَمَا لَهُمَا نَظِيرٌ

فَسَكُّ بُكُّمَا دُمْوَكُمَا احْتِجَاجٌ
 وَقَدْ يَحْتَجُ بِالْدَمْعِ الْفَقِيرِ
 عَلَى زَمَنٍ عَلَى الْعُمَيَانِ مِمْنُ
 تَحَرَّرَ فَكَرُهُمْ فِيهِ يَجُورُ
 أَلَمْ يَمْنَعْ تَلَاقِهِمْ إِلَّا
 يُخَفَّ فِيهِ عَنْهُمْ مَا يَخْبِرُ
 درى أنَّ الْخَرِيرَ لَهُ سَرُورٌ
 كَبِيرٌ حِينَ يَلْقَاهُ الْخَرِيرِ
 فَشَتَّتَ شَمَاءِهِمْ تَشْتِيتَ مِنْ لَمْ
 يُقَرِّعُهُ عَلَى الْجَوْرِ الْخَمِيرِ
 كَأَنَّ زَمَانَنَا مَالِكُ ظَلَومٍ
 عَلَى ضَعَفَاءِ أَمْتَهِ يُغَيِّرُ
 فِي سَلْبِ مِنْهُمْ مَا يَشَتَّهِيهِ
 وَمَا إِلَّا هَوَاهُ لَهُ مُشَيْرٌ
 تَرَاهُ فِي بَوَاحِرِ مِنْ هَوَاهٌ
 دَمْوَعُ الْبَائِسِينِ لَهَا بَحْرٌ
 يَسِرُّنَ إِذَا يَسِرُّنَ عَلَى بُخَارٍ
 صَدُورُ الْمَعْدَمِينَ بِهِ تَفَوَّرٌ
 أَكَادُ أَذْوَبُ مِنْ حَنَقِي إِذَا مَا
 تَمَثَّلَ فِي مَخِيلَاتِي شَرِيرٌ
 أَعْضُ أَنَامَلِي عَخَّالْغَيْظِي
 عَلَى مَنْ تَسْتَخْفُهُمُ الشُّرُورُ
 وَأَضْرَبُ بِالْيَمِينِ وَلَيْسَ فِيهَا
 سَوْى عَكَازَةٍ فِيهَا فُطُورٌ^(١)

(١) فطور: شقوق.

لَأَفْ طُرَّ رَأْسَ مَنْ يَبْغِي عَلَى مَنْ
 بَهْ قَعَدَتْ مَنْ النَّاسُ الدُّهُور
 فَأَكْ سِرْ مَنْ أَوَانِي الْأَوَاتِي
 تَأْيِيْهَا عَلَى مَثْلِي عَسِير
 هَنَاكْ أَفْيِيقْ مَنْ أَلَمِي بِقَوْمٍ
 مَنَاطِيدُ الشُّرُورِ بِهِمْ تَطْيِير
 فَأَعْلَمُ أَنْنِي فِي صَحْنِ دَارِي
 وَمَا حَوْلِي عَظِيمٌ أَوْ حَقِير

يُمَرْقِّنِي انْحَطَاطُ الْعُمَى حُزْنًا
 وَكَأْلُهُمْ عَلَى الْعَالِيَا قَدِير
 فَإِنْ تُعْزِّرْ أَكْ فَهُمْ رَمَاحٌ
 يَشْوِقُ شَجَاءَهُمْ مِنْهَا صَرِير
 وَتَصْفَرْ مِنْ مَدَافِعَ فِي دَفَاعِ
 يَهُزُّ كَرِيمَهُمْ مِنْهَا هَدِير
 فَفِي درسِ الْعَالِمِ لَهُمْ رُقَيْيٌ
 تَمَنَّى مُثْلَهُ الشُّعْرَى الْعَبْرَور
 وَفِي درسِ الْعَالِمِ لَهُمْ مَحَلٌ
 تَوَدُّ لَوْ انجَلَتْ فِيهِ الْبُدُور

«لَهُومِيروس» فِي اليونان فَخَلَّ
 يُفَاخِرُ مِنْهُمْ فِيهِ الْفَخَور
 وَ«طَه» قَدْ بَنَى مَجَدًا رَفِيعًا
 لَهْ بَيْنَ الْوَرَى شَأْنُ خَطْيِير

وَفِي هَذِينِ أَسْوَةٌ كُلُّ أَعْمَى
لِبَيْبِ قَلْبٌ قَلْبٌ كَبِيرٌ

مـ مـ مـ مـ
مـ مـ مـ مـ

عَلَيْكُمْ مُعْشَرَ الْعُمَّامِيَّانَ أَنْ لَا
يَمْسَسْكُمْ عَنِ الْعَالِيَّاً فَتُورٌ
فَقَدْ يَبْنِي ضَرِيرُ الْقَوْمِ مَجَادًا
يُقْصِرَ أَنْ يَفْوَزْ بِهِ الْبَصِيرٌ
وَلَيْسَ تَنَالُ يَا عُمَّامِيَّانَ فَخَرًا
بِهَذَا الْعَصْرِ عُمَّامِيَّانَ تَخُورٌ
فَأَعْصَارُ التَّكَاسُلِ قَدْ تَوَلَّتْ
وَهَذِي بِالنَّشَاطِ لَكُمْ عَصْرٌ
عُمَّيْلُ الْعُمَّامِيَّانَ مَقْبَرَةٌ وَلَكُنْ
لَهُمْ مِنْهَا بِعَالِمٍ هُمْ نُشُورٌ
فِي الْعِلْمِ الشَّرِيفِ لَكُمْ حَيَاةٌ
تَحْفُّ بِهَا الْحَامِدُ وَالْأَجَورُ
وَهُلْ أَصْبَتْ سُوَى هَذِينِ شَخْصًا
لِهِ لُبُّ تَمِيمٍ يَزْبُزُ بِهِ أَمْرُورٌ
وَلَا تَرْضَوْا جَهَالَتِكُمْ فَإِنِّي
رَأَيْتُ الْجَهَلَ كَأَلْبَتْهُ عَقْوَرٌ
يُعِيشُ الْجَاهَلُونَ مِنِ الْبَرَايَا
كَمَا تَحْيَا بِدُنْيَا هَا الْحَمِيرٌ
يَحْمِمُ أَهْلَهَا نَوْهًا كَلُّ عَبِيْرٌ
وَيُؤْقِنُهَا عَلَى الْكَدِ الشَّعِيرٌ

فرق كبير

أيش كوشوك حولك الفقر الفقر
ومالك وافر جم كثير
كأنك لا تحس له شاكا
يردها الأنين أو الزفير
فدعه وهو عاري الجسم طاو
فمش هد بؤسه لك لا يخمير
لأن قبيح بخلك طال حتى
تخوفه ففارق الخمير
ولا تغبأ متى تشع بشيء
فذاك الشيء حمد أو أجور
وما كل أمرئ أثرى لحمد
وأجر مستحق أو جديـر
فبعض اليسـر في الدارين شـرـ
على ذي اليسـرـ منـا مـسـتـطـير
ومنـهـ الـبعـضـ يـعـقـبـ حـسـنـ أـجـرـ
وـحـمـداـ لـيـسـ تـبـالـيـهـ الـدـهـورـ
وـمـغـنـيـكـ الـمحـاسـبـ عنـ قـرـيبـ
وذاك العـالـمـ الـعـدـلـ الـقـدـيرـ
وـماـ عـدـلـهـ لـكـ مـنـ فـرارـ
وـمـنـكـ عـالـيـهـ لـاـ تـخـفـيـ الـأـمـورـ

سَتَنْدُمُ وَالنَّدَامَةُ لَيْسَ تُجْدِي
 إِذَا الزُّرَاعُ أَجْنَثَهَا الْبُذْرُ
 هُنَالَكَ بَيْنَ مَا يَجْنِي بِخَيْلٍ
 وَيَجْنِي مَحْسُنٌ فَرْقٌ كَبِيرٌ
 فَذَاكَ لَهُ أَسَى فِي مَنْزَلِيْهِ
 وَذَا فِي الْمَنْزَلَيْنِ لَهُ سَرَورٌ
 فِي الْأَوْلَى جَرَاءُ الْفَعْلِ يَاتِي
 مُعَجَّلٌ وَفِي الْآخِرِي الْآخِرِ
 وَعَدْلٌ لَلَّهُ لَا يُلْغِي جَرَاءً
 فَلَا يَغْرِرُكَ بِاللَّهِ الْفَرَورٌ^(١)
 تَسَاءَلُ هَلْ تَرَى إِلَّا أَنْسَاسًا
 عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرِي تَسِيرٌ
 وَأَيُّ الْمَذَاهِبُ بَيْنَ إِلَى شَرَاهُمْ
 لِتُرْخِي مِنْهُ فَوْقَهُمُ السُّتُورُ
 رَأَيْتَ الْمَالَ يَتَبَعُ مِنْهُ نَعْشًا
 لَكِي يَلْقَاهُمَا مَعًا الْحَفِيرُ
 وَلَوْدَنَوْا مَعَ الْمَوْتِي ثَرَاءً
 أَطَالَتْ هُرْزَاهَا بِهِمُ الْقَبْرُ
 وَأَصْبَحَ فِي الْثَرَى الْمَدْفونِ فِيهِ
 ثَرَاءُ الْقَوْمِ وَهُولَهُ نَظِيرٌ
 فَسِيَّانِ الصَّفَائِحُ مِنْ نُخَارٍ
 عَلَى الْمَوْتِي هُنَالَكَ وَالصُّخْرُ
 جَمِيعُ الْمَالِ يَغْدو وَهُوَ إِرْثٌ
 لَا يَدِيْكَانْ عَنْهُ بِهَا قَصْرٌ

(١) الغرور: الشيطان.

فَيَذْهَبُ نَادِمًا ذُو الْبُخْلِ لِكُنْ
 مِنَ الْوَرَاثِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ
 فَلَا تَغْبِطُ مِنَ الْمُثْرِينَ شَخْصًا
 عَنِ الْإِحْسَانِ يُعْرِضُ أَوْ يَجُودُ
 فَخَيْرُ الْمَالِ مَا يَتْنَى رِوَاءً
 عِطَاشَ الْفَقْرِ بَارِدُهُ النَّمِيرُ^(١)
 وَشَرُّ الْمَالِ مَا مَنْعَتْهُ أَيْدِ
 أَنْاسًا أَمْرُ عُسْرِهِمْ عَسِيرُ
 فَأَشْقَى النَّاسِ كُلُّهُمْ غَنِيُّ
 لِعَافٌ لَيْسَ يُرجَى مِنْهُ خَيْرٌ^(٢)
 وَلَيْسَ يَشْكُ فِي مَشْقَاهُ مَنْ
 سُوِيَ مِنْ طَرْفُ نُهَيَّتِهِ ضَرِيرٌ^(٣)
 تَعَالَى اللَّهُ مِنْ لَوْشَاءِ أَثْرَتْ
 إِنَاثُ النَّاسِ طُرَّاً وَالْذُكُورُ
 فَإِغْنَاءُ الْجَمِيعِ مِنَ الْبَرَایَا
 عَلَيْهِ هَيْنُ سَهْلٌ يَسِيرُ
 وَلَكُنْ غَيْرُ ذَاكَ قَخْدَاهُ فِينَا
 فَكَانَ الْيُسْرُ وَالْعُسْرُ الْمَرِيرُ
 وَمَا إِغْنَاءُ وَالْإِفْقَارُ إِلَّا
 لِسِرِّ مَا عَلَيْهِ لَنَا ظَهُورٌ
 وَظَنَّنَّيْ أَنْ هَذِي النَّاسُ لَوْلَمْ
 يَفْتَهَا ذَلِكُ السُّرُّ الْخَطِيرُ

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

أتى من شُحّهِ أعمى نُهَاهُ
 عن الإحسان و هو بَصِيرٌ
 ولم تَرْ مأيًّا لِلنَّاسِ يَوْمًا
 إِلَيْهِ عَنْ مَكَارِمِهَا تَحُورٌ^(١)
 وظَلُّوا وَاصْطَنَاعُ الْعُرْفِ فِيهِ
 زُيُودُهُمْ تُنَافِسُهَا الْعُمُورُ
 وَلَمْ يُتَّمِّمْ مَنَّا لَا قَطُّ إِلَّا
 لِيَبْذَلَهُ كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ
 وَلِكُنْ سِتْرُ سِرِّ الْلَّهِ ضَافٍ
 وَقَدْ يَبْدُلُنَّاسٍ مِنْهُ نُورٌ
 لَذَا شُغِفتُ بِبَذْلِ الْعُرْفِ نَاسٌ
 وَنَاسٌ مِنْهُ كَانَ بِهِمْ نُورٌ

(١) تحور: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

عبدالله بن الشيخ سالم الصباح^(١)

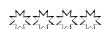
لَئِنْ لَمْ أَرُدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلَّ مَنْ
عَلَيَّ لَهُ فَخَلُّ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ
كَفَخَلُّ أَبِيهِ الْحُرُّ سَالِمٌ الَّذِي
أَبِي حُبُّهُ إِلَّا التَّمْكُنُ فِي صَدْرِي
فَمَا انْفَكَ قَلْبِي أَيْبَا مِنْهُ ذَاهِبًا
إِلَيْهِ لِعَمْرِي طَوْعًّا أَشْوَاقِهِ الْكُثُرِ
وَلَوْ أَنِّي أَسْطَعْ وَحْدِي أَزْدِيَارَهُ
لَكُنْتُ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَتَّصِلُ السَّيْرِ
وَلَكُنْنِي مَا سَرَّتْ وَحْدِي مَرَّةً
فَعُدْتُ وَلَمْ تَجِرْ جَبِينِي يَدُ الْجُدْرِ
كَأَنَّ لِجَدْرَانِ الْكَوْيِتِ جَمِيعِهَا
عَلَيَّ تِرَاتُ غَيْرُ مَنْسَيَّةٍ الْذِكْرِ
فَهَنَّ مَتَى أَبْصَرْنِي دُونَ قَائِدٍ
رَدَدْتُ نَظِيمَ الصَّبْرِ مِنِي إِلَى نَثَرٍ
أَظْنُ كَأَنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاتَّرًا
وَهُنَّ بِصَفْعِي الْيَوْمِ يَأْخُذُنَ بِالْوِتْرِ

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح أسبوعياً، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتباً عليه في انقطاعه.

فِيْسِ اِمْنَى هَذَا لَذَك بِصَفَعَةٍ
 وَذَك إِلَى هَذَا بِصَفَعِ لَهُ مُرْ
 وَلَيْسَ لِعُكَازِي وَإِنْ طَالَ مِنْ غِنَى
 تَجَاهُ صَنْيَعِ الْجُدْرِ أَوْ أَنْمَلِي الْعَشَرَ
 فَأَبْقَى شَرِيدَ الْبُلْبُ حَتَّى يُتَاحَ لَي
 كَرِيمٌ عَنِ الإِسْعَافِ لَيْسَ بِمُزَورٍ
 فَيُرْجِعُ بَيْ لِلْبَيْتِ أَشْكَرُ فَخَلَهُ
 وَطَوْرَا أَنَالُ الْجُدْرَ بِالنَّطْقِ الْهُجْرَ
 وَمَا كَانَ قَوْلُ الْهُجْرِ خُلْقِي وَعَادِتِي
 وَلَا يُمْبِيغُ مَا بِصَدْرِي مِنَ الْحَرَّ
 وَلَكِنْ غَيْظَ الْمَرِءِ يُخْرِجُهُ إِلَى
 سَوْيِ عَادِهِ أَوْ خَدْدُ أَخْلَاقِهِ الْفَرَّ
 وَهَلْ لِغَيْظِ مُخْنَقٍ مِنْ تَأْمُلٍ
 فَيُعَدِّلُ عَنْ شَرِّ الْأَمْرُ إِلَى الْخَيْرَ
 فَمَا غَضَبَ الْغَضْبَانِ بَدْءًا وَغَایَةً
 سَوْيِ أَفَةِ مَغْتَالَةِ الْعُقْلِ وَالْفَكْرِ
 فَكَمْ غَضَبَ أَلْقَى عَلَى عَقْلِ عَاقِلٍ
 مِنَ السُّتْرِ مَا تُلْقِي عَلَيْهِ يَدُ الْخَمْرِ
 فَقَدْ يَنْدَمُ الْغَضْبَانُ بَعْدُ كَائِنَهُ
 مُفْيِقٌ جَنِي كَبْرِي الْجَنَانِيَاتِ فِي السُّكْرِ
 وَأَعْرَفُ فَخْلَ الْحَلْمِ لَكِنْ مَتِي يُسْيِيْءُ
 إِلَيَّ مُسْيِيْءٌ أَنْسٌ مُثَلَّ الْوَرَى غَيْرِي
 وَهَلْ يَغْضَبُ الْإِنْسَانُ لَوْ عَاشَ ذَاكِرًا
 جَمَالَ مَزاِيَا حَلْمِهِ الْجَمَّةِ الرُّزْهُرِ
 فَأَوَيْ إِلَى بَيْتِي وَثَوْبِي لَا تَرَى
 بَهُ أَوْ بِجَسْمِي مَوْضِعًا غَيْرَ مُغْبَرٍ

فِي ترْكُنِي ذاك الفتى بعد قوله
أرى لك أن تبقى من البيت في العُقْرِ
فَمَا لخَرِيرٍ في فراقِ مكانه
من الربح إلا ما يقلُّ عن الخُسْرِ
فَلَسْتُ أرى رِيحًا وإن جَلَّ وافياً
بِمَا ترَكتُ في وجهك الجُدُرُ من حَفْرٍ
وَمَا رَقَتِ الْجُدُرانِ يوْمًا لحالتي
وَهُلْ رَقَّةُ الْلَطَينِ تُرجِي أَوْ الصَّخْرِ
وَإِنْ أَنْجُ مِنْهَا لِمَ أَعْدَّ قَطْنًا جِيًّا
إِلَى مَنْزِلِي مِنْ وَقْعَةِ بَيِّنَ الْحُمْرِ
فَكُمْ أَوْجَعَتْ صَدْرِي صَلَابُ صُدورِهَا
وَكُمْ عَفَرَتْ ظَهْرِي بِطَرْحِي عَلَى الْعَقْرِ
وَلَمْ يَرُثْ لِي مِنْ قَدْ أَفَلَتْ ظَهُورُهَا
لَقِلَّةُ مَا فِيهِمْ مِنْ الْفَهْمِ وَالْحِجْرِ
كَائِنِي لِدِيهِمْ لِلْحَمِيرِ مَمازِحٌ
فَلِيُسْ لِدِيهِمْ غَيْرُ ضَحْكِهِمُ الْمُزْرِي
فِيهِمَا أَقْعُ مُسْتَاقِيًّا لَا تَجِدُ فَمًا
عَلَى مَنْظَرِي مِنْ جَاهِلِهِمْ غَيْرَ مُفْتَرٌ
كَائِنُهُمْ شَاعُوا بِإِرْسَالِ ضَحْكِهِمْ
رِيَادَةً مَا قَدِ الْحَقْوَنِي مِنِ الشَّرِّ
وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عَاقِلٌ كَانَ عَقْلُهُ
بِمِشْبِهِ شَتَّمِي مِنْ مَلَامِي لَهُ يُغْرِي
فِيهِ ذَالِهِ ضَحْكٌ وَذَاكَ مَلَامَةٌ
خَلَالِ نَهْيِقِي مِنْ حَمِيرِهِمْ نُكْرٌ
فَتَسْمَعُ أَذْنِي مَا أَوْدُ لِأَجْلِهِ
بِأَنْ عَلَى أَذْنِي رَتَاجًا مِنِ الْوَقْرِ

وَيَا رِبَّمَا فَارَقْتُ قَبْلَ فِرَاقَهُمْ
 صَوَابِيْ أَوْ قَدْ غَبَّتْ عَنْهُ عَلَى الإِثْرِ
 فَأَمْضَيْ بِلَا رُشْدٍ كَأَنِي سَفِينَةً
 بِمَا لَتَطِمُ الْأَمْوَاجُ مِنْ لُجَجٍ خُضْرٌ
 وَقَدْ كَسَرْتُ مِنْهَا يَدُ الْوَجْدَةَ
 وَمَا لَذِيهَا بِالنَّجَارَةِ مِنْ خُبْرٍ
 فَظَلَّتْ بِهِمْ تَجْرِي إِلَى غَيْرِ وَجْهَهُ
 بِغَيْرِ الَّذِي يَنْوُونَ مِنْ جَهَةِ الْعُبْرِ^(۱)
 تَمْيِيلُ بِهَا لِلْقَصْدِ طَوْرًا وَتَارَةً
 تَمْيِيلُ بِهَا عَنْهُ يَدُ الرِّيحِ بِالْقَسْرِ
 فَأَمْشَيْ بِأَثْنَاءِ الشَّوَّارِعِ تَائِهًا
 كَمَكَّوْرَةِ السُّكَانِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ
 إِلَى أَنْ يَرَانِي رَاحِمٌ فَيَكُونُ لِي
 دَلِيلًا وَيَثْنِي عَسْرًا أَمْرِي إِلَى يُسْرٍ
 فَيَوْصَلُنِي بِيَتِي يُحَدِّثُنِي بِمَا
 يَرَاهُ يَؤْدِي كَسْرَ قَلْبِي إِلَى جَبْرٍ
 وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الْأَنْتَامِ تَبَاعِدُوا
 طِبَاعًا عَلَى رَغْمِ التَّقَارِبِ بِالنَّجْرِ^(۲)
 فَهَذَا يَؤَذِّنِي وَهَذَا يَقُولُ لِي
 بِنْفِي الْأَذِي فِي السُّرُّ عَنِي وَالْجَهْرُ
 مَلَائِكَةُ بَعْضُ الْأَنْتَامِ وَبَعْضُهُمْ
 شَيَاطِينٌ إِلَّا بِالنَّاظِرِ وَالْجِذْرِ



(۱) العبر: الشاطئ.

وكم حَوَّلْتُ سِيَارَةً بِصَفِيرِهَا
 أَنَامَلَ كَفِي الْحُمْرِ خَوْفًا إِلَى صُفْرٍ
 وَقَدْ يَصْنُفُ الدَّرَاجُ حَوْلَيْ غَافِلًا
 لَا يَبْعُدُ عَنْهُ أَوْ يُنَاهِي بِالنَّقْرِ
 فَأَرْعَدُ ذُعْرًا مِنْهُ حَتَّى كَانَما
 تَمَشَتْ بِجَسَمِي كَلَّهُ رِعْدَةُ الْقُرْ
 وَلَا غَرَوْ أَنْ خَافَ الدَّوَاهِسَ جَاهِلُ
 وَجْوهَ الْمَنَاجِي مِنْ حَوَادِثِهَا الْغُبْرِ
 فَكُمْ رُمِتُ أَنْجِي الْفَرَّ مِنْهَا فَكَانَ مَا
 أَتَيْتُ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَهْلِكِ الْكَرِ

﴿۱۳۷﴾

وَلَسْتُ أَرِي لِي قَائِدًا مَتَطَوْعًا
 يُلَبِّي مَتَى نَادَيْتَهُ بُغْيَةَ الْأَجْرِ
 وَمَا قَاتَلَتِ الْقُوَادُ لَكُنَّ جُلَّهُمْ
 بِمَا يَبْتَغِي مِنْهُ الْمَقْوِدُونَ لَا يَدْرِي
 وَمَنْ يَدْرِي يَغْفُلُ فَالْجَنِيبُ لِجَنِيبِهِ
 مِنَ الْعُمَمِ يَطْوِي الطُّرْقَ مَعَهُ عَلَى ذُعْرِ
 فَمَا كُلُّ مِنْ قَادَ الْخَرِيرَ بِكَائِنٍ
 عَلَى حَسْبِ مَا يَهْوَاهُ فِي الْمَسْلِكِ الْوَعْرِ
 وَمَنْ دَقَّ مِنْهُ الْحِسْنُ لَمْ يُلْفِ قَائِدًا
 كَمَا يَتَمَنِي إِذْ يُبَكِّرُ أَوْ يَسْرِي
 فَمَا دَقَّةُ الْإِحْسَاسِ إِلَّا بِلِيَةٌ
 وَإِنْ عَدَهَا نَعْمَاءُ كُلُّ امْرَئٍ غَرِّ
 فَلَوْلَمْ يَدِقَّ الْحِسْنُ مَنِّيَ لَمْ يَعُدْ
 عَلَى صِغَرِي يَبِيِضُ مَا اسْوَدَ مِنْ شَعْرِي

وأما الذي يشفي ويُكفي فإنه
 إلى عقوتي من شقوتي غير مُنجر^(١)
 فأرمي إذا شئت الخروج بمقودي
 لزيد على حكم الضرورة أو عمره
 فأشي كما يهواه من ثيب المشي
 إلى جنبه مستسلماً ومن البكر
 فكم مشية لا عهد لي بمنشلها
 تمشيٌّ لها بين التعير والطمر^(٢)
 ولو أنني قد نلت أرائِفَ قائدٍ
 وأرحم حتى من أبي المشيق البر
 وقلت لنفسي تلك منيتك التي
 أطلت تمنيها فقرى بها قري
 وسايرني يوماً على متن منهجه
 سويٌّ، خليٌّ من مخاطره، قفر^(٣)
 لعن من الجبن الذي هو فطرتي
 هنا لك ما يثنى سكوني إلى نفر
 فما ينتهي بي من سبيل نجوبها
 ولم يطوقلبي الخوف منها على فطر^(٤)
 وليس له ذنب ولكن سجيٌّ
 لها وحدها الذنب الذي جل عن غفر
 وأما إذا ما قادني من ضروراتي
 إليه رمت بي من ذوي الوئب والطهر

(١) العقوبة: ما حول الدار والساحة.

(٢) الطمر: الوضوء.

(٣) المنهج: الطريق الواضح.

(٤) الفطر: الشق.

فلا تسأَنْ عن حالي إِنْ حالي
لأَدْمُع حتى من قَلْوَنِي تَسْتَذْرِي
فلو أَبْصَرْت عَيْنَ الْعَتَّيْبِي بعْضَهُمْ
وقد أَمْسَكْت يُمنَاهُ أَنْمَلَتِي «صَقْر»
لَهُمْ كَمَا تَقْضِي الْمَوْدَةُ مَشْفَقًا
بَنْهُرِي عَلَى إِفْلَاتِي الْبَيْتُ أو زَجْرِي
وَقَالَ أَرَى يَا صَقْر - مَا دَمْتَ لَا تَرِي
طَرِيقَكَ - أَنْ تَبْقَى مَدِي الدَّهْرِ فِي الْوَكْرِ
فَلَيْسَ لِصَقْرٍ أَنْ يُبَارِحَ وَكْرَهُ
إِذَا سَدَّتِ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ يَدُ الْخُرُّ
فَمَا طَارَ مَكْفُوفُ الصُّقُورُ فَسَالَمَتْ
جَنَاحَيْهِ قَبْلَ الْيَوْمِ عَادِيَّةُ الْكَسْرِ
فَلَا تَجْمَعُنْ كَسْرَ الْجَنَاحِ إِلَى الْعُمَى
فَجَمِعُهُمَا يَا «صَقْر» قَاصِمَةُ الظَّهَرِ
فَكَنْ أَبْدًا حَلْسًا الْبَيْتَكَ لَازِمًا
لِكَسْرَيْهِ حَتَّى يَنْقُلُوكَ إِلَى الْقَبْرِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
بِعَيْنِيكَ مِنْ كَفَّ وَكَفَّكَ مِنْ عُسْرٍ
وَهَا أَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنْ الْبَيْتِ سَاعَةً
إِلَى مِنْ نَائِي، أَوْ مِنْ دَنَا غَرَّ مَضْطَطٍ

كَأَنِّ إِلَهِي شَاءَ قَبْلَ تَرْحُلِي
إِلَى الْعَالَمِ الْمُسْتَوْرِ غَسْلِي مِنَ الْوِزْرِ
وَلَيْسَ لِوِزْرِي غَاسِلٌ مُثْلُ شِقْوَتِي
فَأَسْيَةٌ مِنْهَا مَا فَلِي بِالْطَّهْرِ

لِهَا تِيكُمُ الْأَسْبَابِ قَاتُ زِيَارَتِي
 وَإِنْ كُنْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ عَلَى جَمْرٍ
 فَلَمْ أَسْلُ عَنْ أَفْقِ عَهْدْتُكَ بَدْرَةٌ
 وَأَمْجَادُ أَصْحَابِي بِهِ هَالَةُ الْبَدْرِ
 وَمَا كُلُّ مَنْزُورٍ الْلَّاقَاءُ بِنَاسِيٍّ
 لِعَمْرِيَّ عَنْ قُلُّ مِنْ الشُّوقِ أَوْ نَزْرٍ
 فِي أَرْبَذِي وَصَلِّ كَثِيرٌ بِلَا هَوَىٰ
 وَآخِرُ تِلْقَاهُ عَلَى عَكْسِهِ يَجْرِي

أَمْوَالِيَ عَبْدَاللهِ أَحَلَّفُ بِالَّذِي
 أُفَمَّلُ مِنْهُ أَنْ يَزِيدَكَ فِي الْعُمُرِ
 وَأَنْ لَا يَرِيكَ الدَّهْرَ سُوءًا بِأَنْ لِي
 إِلَيْكَ اشْتِيَاقُ الْمُجَدِّبِينَ إِلَى الْقَطْرِ
 وَلَكِنْ لِأَسْبَابِ كَشْفُ وَجْهَهَا
 بِمَا مَرَّ مِنْ قَوْلِي فَجَئَنَّ بِلَا سِرْ
 غَدُوتُ مُقْلَلاً مِنْ زِيَارَتِكَ الَّتِي
 يَقْلُ عَلَى إِقلَالِ أَمْثَالِهَا صَبْرِي
 فَإِنْ تَلْقَ عُذْرِي بِالْقَبُولِ فَذَاكَ مَا
 رَجُوتُ وَلَمْ أَتْرُكْ حَجاَبًا عَلَى عُذْرِي

* * * *

في اسمه

يقولون لي يا صقرُ ما لكَ واقعاً
من الكَفِّ عن طَيرِ الْقَرِيبِ على وَكْرٍ
إذا لم تُحَلِّقْ في فضا الشَّعْرِ صائداً
طَيورَ مَعانيهِ فما أنت بالصَّفْرِ
وَمَا عَلِمُوا أنَّ الْمَقَادِيرَ قد رَمَتْ
جناحيَ عن قوسِ الْحَوَادِثِ بالكَسْرِ
إلى الله أشْكُو أَنْتِي في معاشرِ
راؤْنِي من الإعْسَارِ كالْوَاوِي عَمْرو

صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بني يعرب من كُلّ ذي نجدة حُرّ
فلسطين مسْتَهَا يَدُ العَسْفِ والجَوْرِ
وأنتم لها نعم الْعَتَاد فهَيّئُوا
قُواكم وسِيرُوا نحوها أسرع السَّيْرِ
ولا تَقْعُدوا حتَّى ولو لم يكن لكم
سلاحٌ سُوِي الإيمان والحقُّ والصَّبْرِ
أيَجْمِعُ شُذَّاذُ اليهود نفوسَهُم
وما ملَكُوا من وافرِ البيضِ والصُّفْرِ
لأخذ فلسطين العزيزِ مكانُها
ورمَيَ أهاليها بِقَاصِمةِ الظَّهْرِ
ولمَّا نَنَازِلُوهُمْ نِزَالًا يَرْدُهُم
وقد يَئُسُوا من مثلها آخرَ الدَّهَرِ
لَئِنْ لَمْ يُثْرُنَا ما فلسطينُ تشتكي
أذاهُ فَإِنَّا في ضلالٍ وفي خُسْرٍ
عُرِفَنا قديمًا بالوفاء وإنني
أرى عن فلسطين التخلّي من الغدرِ
عجبت لجسمٍ يستقرُ وبعشهُ
يقلّبُهُ الظلمُ الشنيعُ على جَمْرٍ
شيوخُ وأطفالُ صغارُ ونشوةُ
تئنُ من البلوى وتشكو من الخُرُّ

فَكُمْ أَيْمِنْ تَشَكُّو هَنَالَكَ شَجَوْهَا
 وَكُمْ ثَمَّ مِنْ طَفْلٍ لَأَدْمُعُهُ يُذْرِي
 وَكُمْ مِنْ أَخِي شِيخُوكَةٍ مُتَجَلِّدٌ
 عَلَىٰ مَا بِهِ مِنْ كُلِّ مَحْرَجَةِ الصَّدَرِ
 وَقَدْ جَاهَدَتْ شُبَانُهُمْ وَكُوَّهُوَلُهُمْ
 جَهَادٌ بِالْبَهَالِيلِ غَطَارِفَةٍ غُرٌّ^(١)
 جَهَادًا بِهِ قَدْ أَعْرَبَ الْكُلُّ مِنْهُمْ
 لِعُرْبِ الْوَرَى وَالْعُجْمِ عَنْ كَرَمِ الْجِذَرِ
 جَهَادًا فَؤَادُ الْمَجَدِ سُرُّ بِوْقَعِهِ
 وَعَادَتْ لِهِ الْعُلَيَاءُ بِاسْمَةِ التَّغْرِ
 وَمَا بَرِحُوا مِنْهُ يُقِيمُونَ كُلَّ مَا
 يُدَالُ بِهِ عُرْفُ الْحَقُوقِ مِنَ النُّكْرِ^(٢)
 وَقَدْ أَصْبَحَتْ فَرَضًا مَعْوَنَتُهُمْ بِمَا
 تَصْوِنُونَ مِنْ غَالِي الْحَيَاةِ أَوِ التَّبْرِ
 لَمْ نُخْرُنَا أَمْوَالَنَا وَنَفْوَسَنَا
 إِذَا مَا رَغَبَنَا عَنْهُمُ الْيَوْمَ بِالذُّخْرِ
 وَمَا قَوْلَنَا لَهُ إِنْ لَمْ نُعِنْهُمْ
 إِذَا مَا وَقَفَنَا مَعْهُمْ وَقْفَةَ الْحَشْرِ
 إِلَى قَوْمِنَا قَوْمَا بِنَا فَلَقَدْ شَجَتْ
 مَصِيبَتُهُمْ حَتَّى الْأَصْمَ مِنَ الصَّخْرِ
 لَنْ شَهَدَ مَغْهُمْ مَا بِهِ يُحِرِّزُ الْفَتَى
 شَهَادَتَهُ أَوْ يَجْتَنِي ثَمَرَ النَّصْرِ
 فَمَا الْمَرِءُ إِلَّا مَنْ يُشَارِكُ قَوْمَهُ
 مِنَ الْعِيشِ فِي حَلُوِ الْمَذَاقَةِ وَالْمُرِّ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

إذا كان عُمُرُ المرءِ حتماً سينقضى
 ففي مثل ما هَبُّوا له يَا دَمِي فَاجْرِ
 نَسْرٌ وَأَسَادٌ سُعِيَ كُلُّ ظَالِمٍ
 لإخراجها ظلماً من الغابِ والوَكْرِ
 فعزٌّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا فِرَائِسًا
 يَمْزُقُهَا الطُّغْيَانُ بِالنَّابِ وَالظُّفَرِ
 فَهَبُّوا كَمَا تَقْضِي الْعُلَا عَنْ حَمَاهُمْ
 يَذُودُونَ ذَوَّ الْلَّيْثِ ضُوِيقَ وَالنَّسْرِ
 فَإِنْ تَنْجِدُوهُمْ يَا بَنِي الْعَرَبِ تُنْقِذُوا
 نَفْوسَكُمْ لَا غَيْرُهَا مِنْ يَدِ الشَّرِّ
 وَمَا لَكُمْ إِنْ لَمْ تَقْوِمُوا بِنَصْرِهِمْ
 لَدِيَ اللَّهِ وَالْإِنْصَافِ وَالْمَجْدِ مِنْ عُذْرٍ
 وَمَنْ ذَا يَرَى عُذْرًا مِنَ النَّاسِ لِلَّأَلِي
 إِلَى يَعْرِبِ مَتَّوَا بِأَصْرَةِ النَّجْرِ^(١)
 إِذَا قَعَدُوا عَنْ نَصْرِ إِخْوَانِهِمْ بِمَا
 لَدِيهِمْ مِنَ الْأَرْوَاحِ جَبَّاً أَوِ الْوَفْرِ
 وَهُلْ مِنْ أَوَانٍ مِثْلِ هَذَا الْطَّالِبِ
 رَضِيَ اللَّهُ فِي بَذْلِ الْحَطَامِ أَوِ الْعُمْرِ
 عَفَاءُ عَلَى غَيْرِ الْمُعْنَينِ بِمَا لَهُ
 وَمَهْجَتُهُ إِخْوَانُهُ سَاعَةَ الْعُسْرِ
 أَمَا يَتَّقِي سُخْطَ إِلَهٍ يَصْبُبُهُ
 عَلَى رَأْسِهِ أَوْ يَسْتَحِي مِنْ ذُوِي الْحِجَرِ^(٢)
 أَلَا مَا الَّذِي غَرَّ الْيَهُودَ فَأَمَّلُوا
 حَصْوَلًا عَلَى مَالٍ يُنَالُ مِنَ الْأَمْرِ

(١) النَّجْرُ: الأَصْلُ.

(٢) الْحِجَرُ: الْعُقْلُ.

أَلْمَ يَعْلَمُوا أَنَّا بَنُو الْجَرَأَةِ الَّتِي
يَحُولُّ بِهَا سَهْلُ الطُّغَاةِ إِلَى وَعْدِ
وَأَنَا الشَّجَاجِ فِي حَلْقٍ كُلِّ مَحَاوِلٍ
لَدِينِنَا وَلَوْ أَخْذَ الْقُلَامَةِ بِالْقَسْرِ
وَأَنَا بَنُو مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْهُمْ
فَتَّى جَفْنَهُ يَغْضِي عَلَى مَضَاضِ الْوَتْرِ
لَئِنْ جَهَلُوا مِنْ نَحْنُ قَبْلُ فَكَأُلُّهُمْ
سِيَصْبِحُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَهُوَ بَنَا يَدْرِي
أَلَا سَأَلُوا عَنَا الْحُرُوبِ لِيَعْرِفُوا
حَقِيقَتَنَا بَيْنَ الظُّبَى وَالْقَنَا السُّمْرِ
أَلَا سَأَلُوا التَّارِيخَ عَنَا لِيَغْتَدِوا
عَلَى خَبْرَةِ مَا نَرِيشُ وَمَا نَبْرِي
